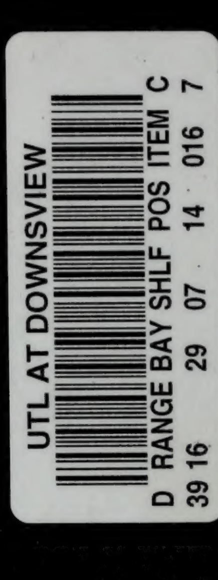
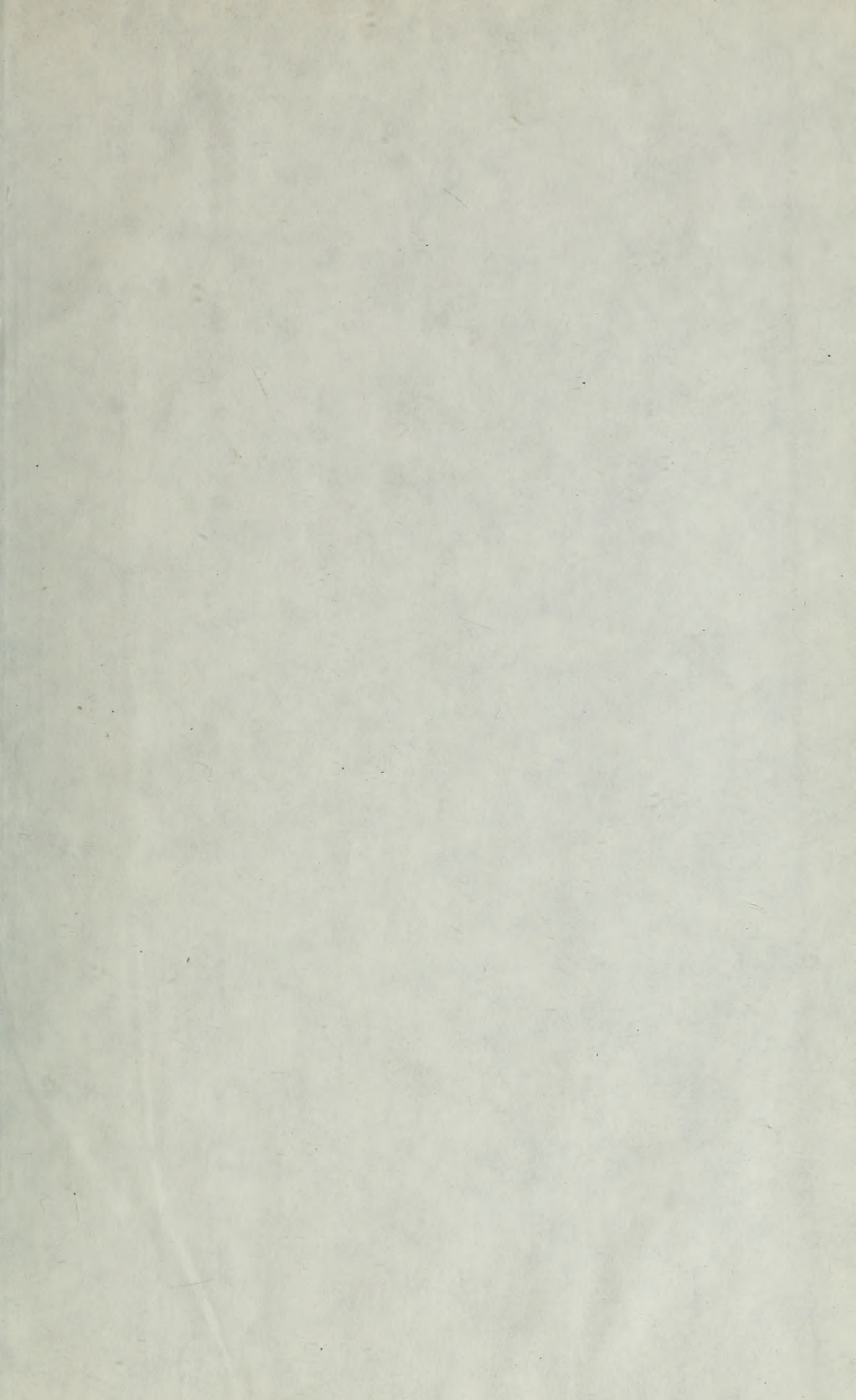

UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 16 29 07 14 016 7



فهرست بدائع الزهور في وقائع الدهور تأليف العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن اياس الحنفي رحمه الله تعالى

﴿تم الفهرست﴾

بدائع الزهور في وقائع الدهور تأليف العالم
الفاضل والهمام الكامل الشيخ
محمد بن أحمد بن اياس
الحنفي رحمه الله
تعالى ونفعنا
به آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) القديم الاول الازلى الذى لا يتحول ولا تغيره الدهور والاعصار ولا يفنيه حدثان الليل والنهار هو الذى أنشأ الوجود من العدم وقدر ما كان قبل أن يكون فى اللوح والقلم وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم واصطفى منهم نبينا محمدا وكمل به ديوان الانبياء وختم ونسخ بشريعته جميع الشرائع وأوجب طاعته على الخلائق من عاص وطائع وجعل دول الاسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين فهم ظل الله تعالى فى أرضه لكل طائع انتظم فى سلك المهتدين (أحمده) حمدا يقتضى المزيد من النعم وأشهد أن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه ذو الفضل والكرم وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما الى يوم الدين (وبعد) فقد ألفت هذا التاريخ والسير فاخترت أحسن الاخبار من نفائس الدرر ليكون نزهة لذوى العقول فللمستخبر أن يسمع وللمؤلف أن يقول فان فيه من الفوائد الغرائب ومن المنقول العجائب * وقد أوردت فى هذا الكتاب من الوقائع الجيدة واختصرت من الاشياء المسائل المفيدة وابتدأت فيه بذكر السموات والارضين وما كان قبل وجود الوجود واظهار العالم الموجود من مبدا خلق آدم عليه السلام وما جاء من نسله من الانبياء الكرام الى نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام * وسميته بدائع الزهور فى وقائع الدهور *

والمستعان

المستعان بالله تعالى فى المبدا والختام ومن هنا نشرع فى الكلام (قال) أبو زيد البلخى مخارج العلوم أربعة علم رافع وعلم ساطع وعلم نافع وعلم واضح فأما الرافع فهو علم الشريف من الاحاديث والفقه وأما العلم الساطع فهو علم الادبيات والاخبار رقيقة وأما النافع فهو علم الطب ومعرفة الحساب وأما العلم الواضح فهو علم الكهنة من السحر وما أشبهه فاختر ما تنتفع به دنيا وأخرى كما قيل

ما حوى العلم جميعا أحد * لا ولو مارسه ألف سنه
انما العلم كبحر زاخر * فاتخذ من كل شئ أحسنه

* ذكر ما كان فى بدء المخلوقات *

(روى) الامام أحمد فى مسنده عن عامر العقيلى رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض قال كان فى غمام فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء قال بعض العلماء الغمام هو السحاب * واختلف العلماء فيما خلقه الله قبل العرش (روى) الترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول شئ خلقه الله تعالى القلم من نور وقيل من لؤلؤة بيضاء طوله ما بين السماء والارض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الاحمر وطوله ما بين السماء والارض وعرضه من المشرق الى المغرب (وعن) أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله لوحا أحد وجهيه من ياقوتة حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء وأقلامه من نور وقال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى القلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر اليه نظر الهيبة فانشق وقطر المداد وقال ابن عباس ان القلم مشقوق ينبع منه المداد الى يوم القيامة ثم قال الله للقلم اكتب فقال القلم يا رب وما اكتب قال اكتب علمى فى خلقى بما هو كائن الى يوم القيامة (وأخرج) سعيد بن منصور ان أول ما كتب القلم أنا التواب أتوب على من تاب (وأخرج) ابن أبى حاتم ان أول ما كتب القلم ان رحمتى سبقت غضبى والاقوال فى ذلك كثيرة والاصح ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ان القلم جرى فى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعادة وشقاوة وهو قوله تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين أى فى اللوح المحفوظ (وقال) عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف عام وهذا الحديث يدل على تقديم القلم على العرش وانه أول المخلوقات ثم خلق اللوح بعده (قال) ابن عباس رضى الله عنهما ان لله تعالى لوحا من درة بيضاء ينظر فيه كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين نظرة ففى كل نظرة يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعزل ويولى ويفعل ما يشاء

ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهو قوله تعالى وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير

* ذكر خلق العرش * أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ان الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسى ملتصق بالعرش وحول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ ونهر من نار تلظى ونهر من ثلج أبيض ونهر من ماء والملائكة قيام فى تلك الانهار يسبحون (وعن) ابن أبى حاتم قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ما بين القائمة الى القائمة مسيرة ثمانين ألف عام واتساعها مثل ذلك وهو كهيئة السرير والقوائم تحملها ثمانية من الملائكة وهو كالقبة على الملائكة والعالم * وعن أبى حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العرش كان على الماء فلما خلق الله السموات جعله فوق السموات السبع وجعل السحاب كالغربال للمطر ولولا ذلك لغرقت الارض * ويقال ارتفاع السحاب عن الارض اثنا عشر ميلا (قال) عكرمة ان الله تعالى ينزل المطر من السماء القطرة كالبعير ولولا ان السحاب والرياح تفرقها لفسد كل ما تقع عليه من النبات والبهائم وقد قال الله تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا الآية

* ذكر أخبار المطر * قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى وكل بالمطر ملائكة فلا تنزل قطرة الا ومعها ملك يضعها حيث شاء الله تعالى اما فى البر واما فى البحر فاذا كان على الارض أنبت الله به الزرع والاعشاب وهو قوله تعالى وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء وان كان فى البحر يخلق الله تعالى منه اللؤلؤ الصغار والكبار * قال ارسطاطاليس ان المطر يقع فى البحر المحيط بالدنيا وذلك وقت هبوب الريح الشمالى فاذا هاج البحر بالامواج نزل من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف على وجه الماء ويفتح فاه ويلتقم القطرة من المطر كما يلتقم الفرج النطفة فلا يزال الصدف يصعد الى مواضع فى البحر لينعقد المطر فيصير درا فاذا انعقد تغوص الصدفة الى قعر البحر ويجمعونها فى أوعية موضوعة فى صدورهم فيصعد اليها الغواصون واذا تركت الدرة فى الصدفة وطال مكثها فى البحر فسدت وتغير لونها كالثمرة اذا تركت على الشجرة ولم تقطف فى أوانها * وحكى ان اعرابيا قدم الى البصرة ومعه درة نفيسة فأتى بها الى عطار هناك وسأله أن يشتريها منه فاشتراها منه بأبخس الاثمان ثم ان العطار سأل الاعرابى من أين وصلت اليك هذه الدرة فقال مررت يوما من الايام بساحل البحر من أرض الصين فرأيت ثعلبا ميتا وعلى فيه صدفة فى جوفها بياض يلمع ووجدت هذه الخرزة الى جانبه فأخذتها ومضيت (والذى) يظهر لى من هذه الواقعة ان صدف البحر الذى فيه اللؤلؤ يخرج من الماء ليتنشق الهواء كما هى عادة الصدف فلما مر ذلك الثعلب بساحل البحر رأى لحمة حمراء

في

فى جوف الصدفة وهى فاتحة فاها فوثب عليها الثعلب ليقتلها فأدخل فاه فى الصدفة فانطبقت عليه ومن شأنها اذا انطبقت على شئ لا تنفتح أبدا حتى تنشق بالحديد فلما انطبقت على فم الثعلب أخذها فصار يضرب بها فى الارض يمينا وشمالا الى ان مات فخرجت هذه الدرة من جوف الصدفة فرآها ذلك الاعرابى فأخذها فلم يعلم قيمتها فكانت من رزق ذلك العطار فباعها بألف دينار وكانت قدر بيضة الحمامة (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما ان ماء المطر من بحر بين السماء والارض وهو كثير المياه وفيه السمك والضفادع وقد نزل فى بعض السنين فى أماكن من الارض مع المطر ضفادع وسمك صغار ومصداق ذلك ما حكى ان ملكا من الملوك أطلق بازياله فى الفضاء خلف طائر فصعد البازى الى أعلى الجو وغاب عن الاعين ثم رجع وفى رجله سمكة فلما رآها الملك أراد أن يأكلها فأحضر الحكماء واستشارهم فى أكل تلك السمكة فأشاروا عليه فى أكلها فقام من بين الحاضرين شاب صغير وكان له اشتغال بالعلم فى وسط المجلس وقال أيها الملك ان لحم هذه السمكة مسموم ولا يجوز أكله فقال له الملك ومن أين لك هذا العلم قال ان الله تعالى خلق بحرا بين السماء والارض وقد ورد فيه من الاخبار بأن به أسماكا مسمومة وأنت لما أطلقت البازى خلف الطائر وفاته اختطف هذه السمكة من ذلك البحر وان هذا البحر لا يصل اليه الا البازات الشهب فان أراد الملك صدق قولى فليحضر شخصا وجب عليه القتل وليطعمها له فينظر صدق قولى فأتى الملك بشخص وجب عليه القتل فأطعمها له فلما أكلها اضطرب ومات فى الحال فلما رأى الملك ذلك أنعم على الشاب بألف دينار وصار الملك لا يتصرف فى شئ من الامور الا برأى ذلك الشاب * ذكر أخبار الثلج والبرد * قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق فى السماء جبالا من ثلج وبرد كما أن فى الارض جبالا من حجر وهو قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد الآية وفى بعض الاخبار ان الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من ثلج ونصفها من نار فاذا أراد أن ينزل الثلج على مكان أمر تلك الملائكة أن ترفرف بأجنحتها على الثلج فاذا سقط الى الارض ثلج الا برفرفة أجنحة الملائكة (قال) ابن الجوزى فى بعض مصنفاته ان فى القرن الخامس من الهجرة وقع من السماء بردة وهى قطعة عظيمة فى بعض جهات الغرب فاهتزت لها الارض وقتلت مالا يحصى عددهم من البهائم والناس وكان أمرا مهولا * ذكر أخبار ما بين السماء والارض * (قال) كعب الاحبار رضى الله عنه ان بين السماء والارض سحابا لطيفا وفوقه طيور بيض رؤسها كرؤس الخيل ولها ذوائب كذوائب النساء ولها أجنحة طوال وليس لها فى السماء ملجأ ولا فى الارض مأوى وانها تبيض وتفرخ على السحاب فى الهواء وتقر على السحاب كما تقر الطيور على الماء * ويقرب من ذلك ان الطير المسمى بالحجل يعشش فى

الهواء وانه يلقح فى الهواء كما تلقح النخلة من النخل وانه يأتى الى أعشاش الطير فيأخذ من بيضها ويحضنه فاذا تحرك الفرخ فى البيضة وصار له قوة على الطيران طار حتى يلحق بأمه التى باضته فى الاصل ولا يقيم فى الهواء (ويقال) ان العقاب لا يسافدا انثاه وان الذى يسافدها من غير جنسه من الطيور نقل ذلك صاحب السكردان وقيل ان الحجل يكون فى أسافل الريح والطير المسمى باليعسوب يكون فى أعالى الريح فيلقح منه وقيل فى المعنى ما أنت الا كالعقاب فأمه * معلومة وله أب مجهول

(ومن) العجائب أن فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها جبل يرى كله فيه نار من غير موقد ويقال ان بذلك الجبل طائرا يسمى السمندل وهو على قدر الرخمة وانه يعشش فى ذلك الجبل الذى ترى فيه النار ويفرخ فيه ولا يحترق من تلك النار ويقال ان ريشه يعمل منه مناشف فاذا اتسخت ترمى فى النار فتنقى من وسخها ولا تحترق ويعمل من ريشه فتائل للسراج فاذا فرغ الزيت تنطفئ منه الفتيلة ولا تأكلها النار ولو أقامت الى الابد ويقال ان دهن هذا الطير اذا طلى به الانسان بدنه ودخل النار لا تضره فاذا أراد الانسان ابطال عمل ذلك الدهن يطلى فوقه بالخل فانه يفسد الدهن *(ومن)* العجائب ان طائرا يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شأنه انه يهلك الجراد قيل انه يأوى الى عين ماء فى أقصى بلاد العجم فاذا نزل فى بلادهم الجراد أرسلوا فارسين الى تلك العين فيحضران لهم من ماء تلك العين فيعلقونه بين السماء والارض فاذا أتى الماء الى الارض التى فيها الجراد يتبعه الطائر المعروف بالسمرمر فيقتل الجراد ويفنيه عن آخره ويقال مادام ذلك الماء فى الارض لا يدخل اليها الجراد * ومن شأن هذا الماء انه اذا كان فى اناء ووضع على الارض بطل السر الذى به وأما قولهم فى ارسال فارسين الى تلك العين التى يأوى اليها السمرمر فارسال الفارسين خشية ان يموت أحدهما فيحضر الماء الآخر ويقال ان عين الماء هى التى تسمى السمرمر واليها ينسب ذلك الطير * ومما يؤيد هذا الخبران فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة أحضر بعض الاعاجم الى الملك الظاهر جقمق قمقم نحاس مختوما وزعم ان فيه ماء السمرمر فانعم عليه السلطان بألف دينار فى مقابلة تعبه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم فى سقف القصر الكبير والسمرمر معلق به مدة طويلة فمن يومئذ امتنع الجراد عن مصر * وفى بعض الاخبار مارواه ابن عباس رضى الله عنهما ان بين السماء والارض بحرا من نار وليس لها دخان فيقال ان الجان خلقوا من ذلك البحر (ومن) الفوائد اللطيفة مانقله الثعلبى فى كتاب العرائس ان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى أحدكم اناءه (وروى) أن اسم الغراب أعور وانما سمى بذلك لانه يغمض احدى عينيه من قوة بصره ويقتصر على الاخرى وقد قيل فى المعنى

وقد ظلموه حين سموه سيدا * كما ظلم الناس الغراب بأعورا

ذكر أخبار الرياح قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربع رياح وهى الجنوب والشمال والصبا والدبور ويقال ان الرياح ثمانية أربعة منها فى الجهات الاربع وأربعة منها تسمى بالنكباء لميلها عن الجهات الاربع فريح الجنوب تجمع السحاب وقيل منها خلق الله الخيل وقيل انها سيدة الرياح وأما ريح الشمال فانها من جهة الشمال وهبوبها من ناحية القطب وهى باردة يابسة ويقال لها ريح الجنوب وأما ريح الصبا وتسمى أيضا ريح القبة وهى من ناحية الشرق واذا هبت على الابدان العليلة أنعشتها وتنفس عن المكروب كربته ويكون هبوبها عند السحر وأما ريح الدبور وتسمى أيضا العاصف والصرصر والعقيم وهى التى تهدم البناء وتقلع الاشجار قال أهل اللغة الريح العقيم لاماء معها وسميت عقيما لانها لا تلقح ولا تنتج كالمرأة التى لا تلد فانها تسمى عقيما * وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور * وقد جعل الله تعالى اقران الدبور بالريح العقيم واقران الجنوب بالريح الشمال وجعل ريح الشمال والصبا متعاقبين وجعل لكل ريح من هؤلاء أوقاتا معلومة لا تتجاوزها فاذا أراد الله تعالى أن يعذب قوما بالريح أفرد الريح العقيم من الدبور وسلطها على من يشاء من عباده

ذكر مبدا خلق الارض

(قال) الله تعالى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش قوله تعالى فى ستة أيام اختلف جماعة من العلماء فى مقدار هذه الايام هل هى من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وآخرون من العلماء هى من أيام الدنيا وقال كعب الاحبار وابن جرير انها من أيام الآخرة التى كل يوم منها مقدار ألف سنة مما تعدون والاصح ما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك (قال) ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يخلق الارض أمر الرياح جميعا أن تثور فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الامواج فصار يضرب بعضها ببعض فلم تزل الرياح تضرب بالماء حتى أزبد وتراكم الزبد فصار منه حشفة بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد ينمو بقدرة الله تعالى حتى بلغ وأحدق الماء من حوله فصارت الارض كالكرة البارزة فى الماء قال وهب بن منبه لما خلق الله تعالى الارض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعا كما فعل بالسماء وجعل بين الطبقة والطبقة مسيرة خمسمائة عام وهو قوله تعالى ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى قال وهب بن منبه لما فتق الله تعالى الارض وجعلها سبعا كان اسم الطبقة الاولى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة

جينا والسادسة ماسكة والسابعة الثرى وفي بعض الروايات تختلف أسماؤها * قال الثعلبي ان الارض الثانية تخرج منها الريح وسكانها أمم يقال لها الطمس وطعامهم من لحومهم وشرابهم من دمائهم والطبقة الثالثة سكانها أمم وجوههم كوجوه بني آدم وأفواههم كأفواه الكلاب وأيديهم كأيدي بني آدم وأرجلهم كأرجل البقر وآذانهم كآذان البقر وعلى أبدانهم شعر كصوف الغنم وهو لهم ثياب ويقال ان ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والطبقة الرابعة سكانها أمم يقال لهم الحلهام وليس لهم أعين ولا أقدام بل لهم أجنحة مثل أجنحة القطا والطبقة الخامسة بها أمم يقال لهم الخشن وهم كأمثال البغال ولهم أذناب كل ذنب نحو ثلاثمائة ذراع وفي هذه الارض حيات كأمثال النخل الطوال ولهم أنياب مثل الجبال والطبقة السادسة بها أمم يقال لهم الخشوم وهم سود الابدان ولهم مخالب كمخالب السباع ويقال ان الله تعالى يسلطهم على يأجوج ومأجوج حين يخرجون على الناس فتهلكهم والطبقة السابعة فيها مسكن ابليس اللعين وجنوده من المردة والشياطين وقال بعض علماء الهيئة ان الارض مبسوطة وقال آخرون انها كالكرة وهي واقفة في الافلاك والافلاك دائرة عليها من جميع جهاتها كالصفار من البيضة وهي موضوعة في جوف الفلك وبعدها في الفلك من جميع الجوانب على التساوي وسبب وقوفها في الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما لو وضعت ترابا في قارورة وأدرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وأما من قال ان الارض مبسوطة فقال ان البحر المحيط الذي هو أربعة وعشرون ألف فرسخ محيط بها كما يحيط الخاتم بالاصبع قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان حول الدنيا ظلمة ثم وراء تلك الظلمة جبل قاف ويروى ان الله تعالى لما خلق الارض صارت واقفة في الهواء فحركها الريح فاضطربت وماجت فشكت ذلك الى ربها وقالت يارب قد ضعفت قوتي واستخفني الريح وحركني فأوحى الله تعالى اليها اني مؤيدك بالاطواد وهي الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب وقال وهب بن منبه ان الجبال خلقت من أمواج البحر قال الله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها الآية وهذا يدل على أن الله تعالى خلق السموات قبل الارض بمدة طويلة قال الثعلبي لما خلق الله تعالى الارض بعث اليها ملكا من تحت العرش فدخل من تحت الارضين السبع وأخرج احدى يديه من المشرق والاخرى من المغرب وقبض على أطراف الارض فلم يكن لقدميه قرار فأهبط الله تعالى ثورا من الجنة اسمه نون له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة من القرن الى القرن خمسمائة عام فاستقر قدم ذلك الملك على ذلك الثور فلم يكن لاقدام ذلك الثور قرار فأنزل الله تعالى ياقوتة خضراء من يواقيت الجنة غلظها

خمسمائة عام فاستقرت قوائم الثور على تلك الياقوتة الخضراء ثم خلق الله تعالى صخرة كغلظ السماء والارض وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة الآية واسم الصخرة صيخود * وروى أن فى هذه الصخرة تسعة آلاف ثقب فى كل ثقب منها بحر لا يعلم عظمه الا الله فاستقرت تلك الياقوتة الخضراء عليها ولما لم يكن للصخرة قرار أهبط الله تعالى اليها حوتا عظيما من البحر السابع الذى تحت العرش ويقال اسم الحوت بهموت وقيل بلهوت فاستقرت تلك الصخرة على ظهر الحوت وقيل لا يقدر أحد ان ينظر الى ذلك الحوت من بريق عينيه ولو وضعت بحار الدنيا كلها فى احدى منخريه لكانت كالخردلة فى ارض فلاة فاستقر الحوت على الماء وصار راقفا كأنه لا يتحرك فقال اللهم لك الحمد بك قويت وبحولك استطعت ولولا ذلك لما كان لى قوة على حمل ما استحملتنى اياه فائذن لى يارب بالسجود شكرا لك على ذلك فأذن الله تعالى له بان يسجد فادخل رأسه فى الماء حتى غاب ثم اخرجه من الماء فهو يسجد فى كل يوم الى يوم القيامة ثم جعل الله تعالى تحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة ومن هنالك ينقطع علم الخلائق * وروى فى بعض الاخبار ان الله تعالى وكل بذلك الحوت ملائكة يأتونه بغذائه فى كل يوم على قدر شبعه فيأتونه من البحر المسجور بالف حوت كل حوت طوله مسيرة يوم وليلة (وأما) الثور فوكل الله تعالى ملائكة بغذائه فى كل يوم بألف شجرة من بساتين القدرة طول كل شجرة مسيرة يوم وليلة فسبحان القادر على كل شئ (وروى) فى بعض الاخبار ان ابليس اللعين لا زال يغوص الى الارض السابعة حتى وصل الى الحوت المسمى بهموت فتقدم اليه وقال له يابهموت ان الثور يقول لك انه هو حامل الصخرة التى عليها الارضون وانك لا حمل لك مع حمله ولو كلفت أنت بحمل ذلك لم تطق وأنت الذى حملته وحملتها ولو كلفت الثور لحمل ذلك لم يطق فأعجب الحوت فى نفسه وبقوته فظن ابليس اللعين انه قد أغوى الحوت وانه سيفسد ما عليه فاضطرب الحوت من تحت قوائم الثور فسلط الله تعالى على الحوت دابة لطيفة قدر فراشة واسمها الآمة فاوقفها بين عينى الحوت فصارت تنقره على دماغه حتى وصلت الى عظم دماغه فذل ووقف مكانه ولم يتحرك واشتغل بما ناله من الالم من تلك الدابة ثم ان ابليس اللعين مضى الى الثور واغواه كما أغوى الحوت فسلط الله على الثور دابة لطيفة وأجلسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لابليس اللعين ما دبره من الحيلة للفساد أورد ذلك الثعلبى (قال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الارض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الاشجار يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق الظلمة والنور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام

يوم الجمعة وقد اختلف جماعة من العلماء فى اليوم الذى ابتدأ الله تعالى فيه بالمخلوقات وهو على ثلاثة أقوال فقال ابن اسحق هو يوم السبت وقال كعب الاحبار هو يوم الاحد وقال أهل الانجيل هو يوم الاثنين وقال النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى فى يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة الى ثلاث ساعات مضين من يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر يوم الجمعة وأهبط من الجنة عند غروب الشمس من يوم الجمعة (وقال) وهب بن منبه انما سمى يوم الجمعة لان طينة آدم عليه السلام جمعت فيه فلذلك سمى الجمعة (وقال) حذيفة اليمانى روى فى بعض الاخبار ان الدنيا مسيرة خمسمائة عام منها ثلاثمائة عام بحار وجبال ومائة عام عمار ومائة عام خراب وقال بعض علماء الهيئة ان الجهات ستة المشرق وهو حيث تطلع الشمس أى تشرق والقمر والنجوم والمغرب وهو حيث يغربن فيه والشمال وهو حيث مدار الجدى وقد أفرط هنالك البرد والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو مايلى كرة السماء والتحت وهو مايلى كرة الارض والفوق وهو مايلى الافلاك قال بعض الحكماء فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدى وقد أفرط هنالك البرد فيصير ستة أشهر ليلا دائما مستمرا وهذه مدة الشتاء لا يرى هنالك النهار وتجمد فى هذه الجهة المياه لقوة البرد فلا ينبت فيها شئ من النبات ولا يقيم فيها حيوان وأما جهة الجنوب فحيث مدار سهيل فيصير هنالك ستة أشهر نهارا دائما مستمرا بغير ليل وهذه مدة الصيف فيفرط هنالك الحر والسموم فلا ينبت فيها نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هنالك فلا تسكن تلك الجهات

ذكر أخبار أجزاء الارض قال الحكيم هرمس الدنيا سبعة أجزاء جزء منها للترك وجزء منها للعرب وجزء منها للفرس وجزء منها للسودان وثلاثة أجزاء منها ليأجوج ومأجوج وقال ان الاقاليم أيضا سبعة وهى اقليم الصين واقليم الحجاز واقليم الهند واقليم الروم واقليم يأجوج ومأجوج واقليم العرب وقال أطراف الدنيا أربعة والنواحى خمسة وأربعون والمدائن والحصون أحد وعشرون ألفا وستمائة مدينة ففى الاقليم الاوّل ثلاثة آلاف ومائة مدينة وفى الاقليم الثانى ألف وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وفى الاقليم الثالث ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وسبعون مدينة وفى الاقليم الرابع ألف وتسعمائة وأربعة وسبعون مدينة وفى الاقليم الخامس ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون مدينة وفى الاقليم السادس ثلاثة آلاف وخمسمائة مدينة وفى الاقليم السابع ثلاثة آلاف وثمانمائة مدينة ولم يذكر هرمس غير المذكور هنا وذلك غير القرى والرساتيق وذكر ان مساحة الدنيا خمسة آلاف ألف فرسخ وخمسمائة ألف ألف فرسخ وثلاثة وستون ألف فرسخ والفرسخ ثلاثة

أميال

أميال والميل أربعة آلاف ذراع بالذراع القديم وهو ستة وثلاثون أصبعا بخلاف الذراع الهاشمي * ويقال ان العالم السفلي مقسوم أيضا على سبعة أجزاء وفيه أيضا أقاليم كما في أعلى الارض انتهى ذلك

* ذكر خلق البحار * قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي ان الذي عرف من البحار في الدنيا تسعة وعشرون بحرا غير ما ظهر من الانهار والعيون (فائدة لطيفة) في الفرق بين البحر والنهر * قال الجوهري في الفرق انما سمي البحر بحرا لاستبحاره وانبساطه وسعته لانه شق في الارض شقا وفي كلام العرب الشق هو البحر كانوا يقولون للناقة اذا شقوا أذنها بحيرة وقال الزجاج وكل نهر ذي ماء كثير ككذا بحرا لكن اذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وما أشبه ذلك فيكون الماء اذا اتسع ولم يجر بحرا واذا جرى فهو نهر ويقال للبحر الصغير بحيرة (قال) ابن الجوزي ان الذي عرف من البحار في الدنيا تسعة وعشرون بحرا ففي جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفي جزيرة الشمال أحد عشر بحرا وفي جزيرة الجنوب اثنان وفيها من الجزائر المعروفة احدى وسبعون جزيرة وفي جزيرة الشرق ثمان جزائر وفي جزيرة الغرب ست عشرة جزيرة وفي جزيرة الشمال أحد وثلاثون جزيرة وفي جزيرة الجنوب ست عشرة جزيرة * وأما * البحار الكبار المشهورة فسبعة وهي المحيط بالدنيا ويقال ان مسافته أربعة وعشرون ألف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه قال بعض العلماء انما سمي البحر المحيط محيطا لاحاطته بالدنيا ولذا كان الحكيم ارسطاطاليس يسمي الاكليل لانه حول الارض بمنزلة الاكليل على الرأس وبهذا البحر من العجائب ما لا يسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبار أعظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن في قوله عز وجل مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان أحدهما يخرج من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالشرقي يقال له الصيني والهندي والفارسي واليمني والحبشي والغربي يقال له البحر الرومي * وأما * ذكر عجائب البحر المحيط فقال ابن الجوزي ان به جزائر فيها غنم لا يحصى عددهم ولحومهم مرة لا تؤكل فيذبح منها أهل الجزائر ويصنعون منها الانطاع وبهذه الجزائر شجر يطرح شيأ مثل التين ومن شأنه أنه اذا أكله المسموم يبرأ من وقته وفي هذه الجزائر حيات عظيمة تبتلع الجاموس وفي هذا البحر أسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة أيام ويرى في عينها نور كالبرق الخاطف وفيه سرطانات عظيمة قدر الجبل وفيه حجر يسمى البهت اذا أمسكه أحد من ذوي الحوائج ودخل على سلطان أو حاكم انعقد لسانه عنه وقضيت حاجته منه وفي هذا البحر عجائب كثيرة وهو بحر مظلم كدر المياه منتن الروائح صعب المسالك لما فيه من الدواب الكواسر وهيجان أمواجه ولا يعلم له آخر ولا يقف أحد على صحة أخباره سوى ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره اه والبحر

الثانى هو البحر الصينى ومخرجه من الشرق وهو كدر اللون ومخرجه من بحر المحيط (ومن عجائبه) أن به مغاوص اللؤلؤ وبه معدن المرجان فيقال انه ينبت فى قاع البحر كما تنبت الاشجار فى الارض وتتشعب منه عروق فى الماء وهى لينة مثل عروق الشجر فاذا اقلعت تجف فى الهواء وتجربها ويحملونها فتصير جامدة وقيل ان الغائصين عليه يعمدون الى شباك من القنب الغليظ ويثقلونها بالحجارة حتى انها تدور بها من أصول الشجرة ثم يجذبونها حتى تنقلع فيخرجونها الى البر ويتركونها حتى تجف ثم يفصلونها قطعا قطعا كبارا وصغارا على قدر ما أرادوا (وأما) أخبار اللؤلؤ فقيل ان الذين يغوصون على اللؤلؤ يعمدون الى أخشاب من شجر المقل ويدلونها بحبال من الليف فى أماكن معروفة بمواضع اللؤلؤ ويجعلون فى تلك الاخشاب حجارة سودا كبارا نحو ستين رطلا وسبب ذلك أن فى تلك الاماكن من الحيوانات أشياء كثيرة تبتلع الغائصين فتنفر من الحجارة السود * وقيل الغائصين اذا رأوا شيأ من الحيوانات الكواسر ينبحون عليها كنبح الكلاب فتنفر منهم فعند ذلك يصيدون الصدف ثم ان الغائص يلتقط الصدفة ويضعها فى الوعاء الذى فى صدره فاذا أخرجها الى البر استخرجوا من بطونها اللؤلؤ فمنه صغار ومنه كبار (ومن الحكايات الغريبة) أن بعض التجار سافر الى مغاوص اللؤلؤ فأنفق جميع ما يملكه للغواصين ولم يطلع له شئ من اللؤلؤ فلم يبق معه شئ فساعدته التجار وأعطوه شيأ للغطاسين حتى غطسوا له مرة أخرى فلما غطسوا غابوا فى البحر ساعة ثم طلعوا له ببنت من بنات البحر لها ذوائب مثل شعر النساء وهى حسنة الصورة فأخذها ذلك التاجر ومضى بها الى منزله فقعدت عنده ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم فقال لها ذلك التاجر بالاشارة أتسيرين الى البحر فأشارت اليه برأسها نعم فأخذها ووضعها فى مركب ودخل بها الى المكان الذى أخرجوها منه فلما رأت ذلك الذى أخذت منه ألقت نفسها الى البحر فلما صارت فى قاع البحر سمع من ذلك المكان ضجيج عظيم فلما أراد أن يرجع بالمركب أمهل ساعة فلم يشعر الا بصدف يرمى فى المركب من البحر فلا زالوا يرمون له من البحر حتى أوسقوا المركب من صدف اللؤلؤ فرجع وهو أغنى التجار (وأما) ما كان من أخبار بحر الهند وهو البحر الثالث ومخرجه من البحر المحيط أيضا فيمتد من المغرب الى المشرق ويخرج منه اربعة خلجان خليج يمتد خلف أرض الهند ويمشى من حواليها ألفا وسبعمائة ميل وخليج يمتد الى ايلة ويقال ان بهذا الخليج ألفا وثلاثمائة وسبعين جزيرة عامرة بالسكان وامتداده ثمانية آلاف ميل وقيل أكثر من ذلك وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وبه من العجائب ما لا يحصى * قيل ان من بعض جزائره جزيرة سكانها مثل الوحوش ووجوههم مثل وجوه البغال وجسدهم مثل جسد بنى آدم وبه توجد الدابة التى منها عنبر الخام وقد

روى فى بعض الاخبار أن دابة العنبر كانت من أعظم دواب البحر وكان طولها نحو مائة ذراع فصارت تفسد الزرع وتأكل الاشجار فساقها جبرائيل عليه السلام الى البحر المحيط فصارت من دوابه فتطلع الى الجزائر وترعى من الاشجار والاعشاب الطيبة فتقذف من بطنها هذا العنبر الخام فيجدونه فى بعض جزائر هذا البحر وقيل انها تقذف من بطنها فى كل يوم مرة قدر خمسمائة رطل ويوجد فى هذه الجزائر دابة الزباد وهى مثل الهرة والزباد من عرق ابطها ويوجد فى هذه الجزائر العود القمارى وهو من خشب أشجار تلك الجزائر وليس له هناك رائحة طيبة ويوجد فى هذه الجزائر أحجار براقة ولها لمعان يتلألأ نورا وتسمى هذه الاحجار ضحكة الباهت ومن شأن هذه الاحجار انها اذا نظر اليها الانسان ضحك فى الحال واستمر يضحك الى أن يموت وفى هذه الجزائر سباع لها قرون طوال ولا يقدر أحد من الناس أن يقابلها فيثبون عليه وفيها الأفيال عظيمة الخلقة فمنها مالونه أبيض ومنها مالونه أسود وفيها النمورة والفهودة وأشياء كثيرة من الوحوش الكواسر انتهى ما أوردناه من ذكر البحار السبعة وذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم

❊ ذكر أخبار الانهار والبحيرات ❊ فأما البحيرات المشهورة فهى بحيرة السودان ببلاد المغرب وبحيرة الفيوم وبحيرة نسترو وهى بين الاسكندرية ورشيد وبحيرة دمياط وتنيس وبحيرة زغر التى ماؤها منتن وخيم ومنها أنهر الاردن وهو نهر الشريعة وبحيرة طبرية المنسوبة الى بلدة هناك وهى خراب على شاطئها الغربى وفيها حمام ماؤه حار بصنع الله تعالى (قال) الثعلبى فى قصص الانبياء ان هذا الحمام بناه سليمان بن داود عليهما السلام وكان من عجائب الدنيا حتى قيل ان من جملة عجائب الدنيا ثلاثة منارة الاسكندرية وحمام طبرية وجامع بنى أمية وكان ماء هذا الحمام يخرج من اثنتى عشرة عينا فكان ماء كل عين منها مخصوصا بمرض من الامراض فاذا اغتسل منه صاحب ذلك المرض عوفى باذن الله تعالى وكان ماؤها شديد الحرارة صافى اللون ولم يزل هذا الحمام عامرا على ماذكرنا حتى خربها بختنصر لما استولى على البلاد كما سيأتى وبحيرة بانياس الكبيرة التى يخرج منها عدة أنهار وبحيرة البقاع بالقرب من بعلبك ودمشق وبحيرة القدس الشريف وبحيرة حمص وانطاكية وبحيرة دست ارزن بالقرب من شيراز وبحيرة خوارزم وماؤها مالح وبحيرة أرجيس وهى شرقى اخلاط وماؤها مالح أيضا وهى بحيرة كبيرة دورها مسيرة أربعة أيام وهذه البحيرة يصاد منها السمك المعروف الذى يخرج منه البطارخ الذى يحمل منه الى سائر البلاد (قال) أبو يعقوب الصياد كنت أصطاد يوما فى بحيرة أرجيس فاصطدت منها سمكة فرأيت على جنبها الايمن مكتوبا بقلم القدرة لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيت

ذلك قذفتها فى الماء احتراما لما رأيته عليها من الكتابة

﴿ذكر أخبار الانهار﴾ المشهور منها الدجلة ونهر سيحان ونهر جيحان والفرات والنيل * فأما الدجلة فيقال ان الذى حفرها وأجرى اليها الماء من الفرات هو دانيال عليه السلام قال بعض الحكماء ان الشرب من ماء الدجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد شهوة النساء ويقطع نسل الخيل حتى ان جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها خيلهم وأما جريانها فانها تجرى من بلاد آمد الى ديار بكر وهى أعين من بلاد خالد ومقدار جريانها على وجه الارض ثلثمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك (ومن عجائب الدجلة) الدوى والجزر وهو دائم فيها مع الريح كل يوم صيفا وشتاء وأما الفرات فبدؤها من بلاد قاليقلا من ثغور الارض نحو ارمينية من جبال هناك تدعى انودخس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه على وجه الارض خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك وأما الآن فجريانه من شمالى الاردن من بلاد الروم من جهة الشرق ولا يزال يجرى على وجه الارض حتى يخرج الى فضاء العراق ثم يصب فى بطائح كبار فيجرى منها أنهار كثيرة معروفة فى تلك الجهات قال ابن الوردى

ان للشام فراتا * لم تصل مصر اليها كم بمصر من وجوه * فضل النيل عليها

(وأما) نهر سيحان وجيحان فهما غير سيحون وجيحون قال النووى فى شرح مسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال كعب الاحبار ان النيل هو نهر العسل فى الجنة والفرات هو نهر الخمر فى الجنة وسيحان هو نهر الماء فى الجنة وجيحان هو نهر اللبن فى الجنة وقيل ان عناصر هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله أعلم بذلك ﴿فائدة﴾ وهى أن الدابة اذا أصابها المغل يكتب على قوائمها الاربعة على كل قائمة اسم نهر وهو سيحان وجيحان والنيل والفرات فانها تبرأ من ساعتها سريعا وقد جرب ذلك وصح وأما نهر مهران بأرض الهند فقيل انه فوقه من النيل وقد استدلوا على ذلك بأن فيه التماسيح والضفادع

﴿ذكر البحار﴾ أما بحر الترك وهو المعروف ببحر الخزر وهو بحر كبير عرضه ثمانية عشر ألف ميل وطوله ستة آلاف ميل وقد صار فيه مائة وسبعون جزيرة منها الادقية وبيروت واقريطش ويمر على بلاد الغرب قاطبة منها افريقية وبراقة والاسكندرية وأرض فلسطين من سواحل الشام ثم ينعطف من هناك الى انطاكية فيمر على بلاد كثيرة منها القسطنطينية وغيرها الى بلاد المغرب ثم ينتهى الى البحر المحيط الذى خرج منه وقال ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر ان الذى خرق هذا الثقب وأجرى ماءه هو الاسكندر ذو القرنين فسلطه على أهل تلك البلاد لما

عصوه ولم يدخلوا تحت أمره وقال بعض علماء التفسير ان هذا المكان هو مجمع البحرين الذى تلاقى فيه موسى والخضر عليهما السلام كما ذكر فى القرآن العظيم (أقول) وقد كانت ملوك الافرنج تسمع بأخبار هذا الثقب قديما وانه يمكن أن ينفذ الى بحر الهند منه كانوا يوصون أولادهم بان لا يغفلوا عن الثقب حتى يتسع لهم الثقب فكانوا يتوارثون التوصية ويوسعون فى الثقب فصارت تدخل المراكب الكبار فى ذلك الثقب أوائل القرن العاشر فصارت طائفة من الافرنج يقال لهم البرتقان يدخلون من هذا الثقب فى المراكب الكبار ويصلون الى بحر الهند نحوا من ثلاثين مركبا مشحونة بالمقاتلين بانواع السلاح والمدافع فصاروا يخرجون على التجار المسافرين فى بحر الهند ويملكون منهم عدة قرى من بلاد الهند فأرسل الملك الاشرف وزيره الغورى بتجريدة فى مراكب وصحبته الامير حسين فكسرهم العسكر المصرى وكسبوا منهم مراكب مشحونة بالمال والقماش والسلاح وغرق منهم مراكب بعد ما كسروا المدافع قال وقتل ابن البرتقان فى هذه الوقعة ثم بعد ذلك كرت الافرنج بعد مدة يسيرة على مراكب المسلمين على حين غفلة وكانت متفرقة فكسرتهم الافرنج ونهبت جميع ما كان مع المسلمين (وأما) بحر طبرستان وهو البحر السادس وطوله من المشرق الى المغرب ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وامتداده من البحر المحيط وفيه عشرون جزيرة منها ما هو مسكون ومنها ما هو خراب (ومن عجائب هذا البحر) أن فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز وله قشر فاذا كسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وهى كتابة واضحة جيدة وبها شجرة لها أوراق كبار على قدر ورق القلقاس مكتوب على كل ورقة بخط أخضر أشد من خضرة الورق لا اله الا الله محمد رسول الله * وقيل ان عبدة الاوثان من قديم الزمان قطعوا هذه الشجرة فنبتت من ليلتها فعمدوا الى رصاص فذوّبوه وقلبوه فى جذر ما قطع من تلك الشجرة فلم تنبت (وقيل) ان فى بعض جزائره شجرة تطرح نوعا مثل التفاح نصفها حلو فى غاية الحلاوة ونصفها حامض فى غاية الحموضة وذلك التفاح أبيض اللون مكتوب عليه على هيئة الجلالة بخط أحمر جيد الكتابة وفى بعض جزائره وحش يشبه خلقة بنى آدم وهو ملفوف القامة وظهره عظمة واحدة وأهل تلك الجزيرة يرمون عليه بالنشاب ليصيدوه فلا يؤثر فيه النشاب ويولى عنهم ويشتمهم بالفارسية واذا جرى فلا تلحقه الخيل الغائرة * وفى بعض جزائره أناس لهم ثلاثة أعين فالثالثة بين حواجبهم اه * وأما البحر الزفتى * فهو البحر السابع ولونه أسود ومادته من البحر المحيط وهو كريه الرائحة وخيم الهواء ويقال ان النيل ينحدر من أعلى جبل القمر ويمر فى هذا البحر فيصير فوقه كالخيط الابيض على الثوب الاسود فتبارك الله

أحسن الخالقين سبحان الذى اتقن كل شئ وهذا البحر قليل المسالك اصعوبته لا يرى
فيه شمس ولا قمر دائما فاذا اطلعت الشمس فى الدنيا يظهر فيه بعض شفق احمر من
ضوء الشمس وبه جزائر يطلع فيها قصب فارسى يدخل فى جوف القصبة الجمل بحمله
وفى هذا البحر اسماك كبار تبلع المراكب لعظم خلقتها (وقد روى) فى بعض الاخبار
عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان تحت العرش بحرا فيه أسماك لها أجنحة
تطير بها الى الارض فتحرق الشمس أجنحتها فتقع على الغمام فيلقيها على الغمام الى
هذا البحر فتتربى فيه (وقال) بعض العلماء اعلم الله تعالى ان الوحوش الكواسر
ضررها أكثر من نفعها اقلل من نسلها فكانت اللبوة لاتحمل الا فى كل سبع سنين مرة
واحدة واذا حملت أقامت عشر سنين حتى تضع * ونقل بعض الحكماء ان الفيل اذا
احتلم وطلب النكاح لا يعلو الفيلة بل يحك جنبه بجنبها حتى يجد اللذة فيبنى ثم يرخى
ذكره فينزل المنى فى زلومته فيضعه فى فرج الفيلة فتارة تحمل وتارة لاتحمل ومن هذا
قل نسل الافيال والله أعلم بحقيقة الحال * ويوجد فى هذه الجزائر شجر الحصى لبان
وشجر الابنوس وفيها أحجار اذا انقعت فى الزيت تضىء مثل الفتيلة ولا يطفأ ذلك وأما
البحر الغربى وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط أيضا وهذا البحر لا يعرف منه
الا ما ظهر من جهة الغرب وينتهى الى بلاد الحبشة والى خلق بلاد رومية وهو صعب
المسالك لا يعرف له منتهى وفى بعض جزائره أشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهى
تقرب من شكل بنى آدم ولا تظهر الا بالليل وتهلك كل من تراه واذا جرى الواحد منهم
فلا تلحقه الخيل الغائرة ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتناثر من فمه مثل شرر النار واذا اطلع
عليه النهار يختفى فى مغاير هناك الى أن يدخل الليل وفى بعض جزايره يقطين عظيم
الخلقة قيل انه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها الى البر * وفى هذه
الجزيرة حيات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهى تسبح فى البحر وتسد ما بين البرين
فاذا أشرقت الشمس وثبت عليها لكى تبلعها وكذلك اذا غربت وفى هذا البحر أسماك
على صور مختلفة ما بين شكل بنى آدم من رجال ونساء فمنهم من رأسه أقرع وله ذقن
بيضاء يسمونه شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب والخنزير والقط والفرس والحمير
والبقر والغنم وغير ذلك كما فى البر من الحيوانات وتزيد على البر من الاجناس قال
بعض الحكماء ان حيوان البحر اذا أقام فى البر هلك وحيوان البر اذا أقام فى البحر
هلك وسبب ذلك ان الله تعالى خلق حيوان البحر لا رئة له لان بها يقع النفس فلا
اقامة له فى البر (قال) كعب الاحبار خلق الله ثمانين ألف امة وجعل نصفها فى البحر
ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون
كلون الذهب فاذا اطلعت عليها الشمس صار له لمعان فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه

وأما البحر الرومي وهو البحر الخامس ومادته من البحر المحيط أيضا ويمتد من أعلى افريقية والشام ويتصل بطرسوس وهو خمسة آلاف ميل وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها أمم من بني الاصفر وغيرهم وفيه كثير من العجائب قيل ان في بعض جزائره تطلع دابة في كل سنة من البحر تشبه البقرة وفيها روح تقيم ساعة في البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعها أهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها المراكب ونقل الباشوري في بعض مصنفاته أن ملكا من ملوك اليونان قصد أن يحفر خليجا من البحر الغربي الى البحر الشرقي ويرفع البرزخ من بينهما وكانت جزيرة الاندلس وبلاد البرابرة ينبت فيها شجر الجميز وكانت تلك الارض وخمة يسكنها أقوام من اليونان وكان بتلك الارض الطائر المعروف بالققنس وهو طائر حسن الصوت اذا سمعه انسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته وكان هذا الطائر اذا حان موته حسن صوته قبل أن يموت بسبعة أيام فلا يمكن أحدا يسمع صوته الا يموت ❊ ويقال ان عامل الموسيقا كان من الفلاسفة وأراد أن يسمع صوت الققنس وهو في شدة صياحه فخشي على نفسه أن يموت من الطرب فسد أذنيه سدا محكما ثم قرب اليه وجعل يفتح أذنيه شيأ فشيأ ثم استكمل فتح الاذنين في ثلاثة أيام الى أن وصل الى سماعه رتبة بعد رتبة وقيل ان ذلك الطائر هو وأفراخه غرقوا لما هجم الماء على تلك الارض فلم يبق له وجود بعد ذلك ويقال ان الملك الذي أجرى ماء هذا الخليج حفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض اثني عشر ميلا وبنى بجانبه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربي فتح منه قدرا يسيرا من ثقب في جبل كان حاجزا بين تلك الارض والبحر فلما دخل الماء في ذلك الثقب كان ماء البحر الغربي أعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلادا كثيرة ❊ وأما نهر العرجاء ويسمى أيضا نهر أبي بطرس وهو شمال مدينة الرملة ومجراه نحو اثني عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهي حتى يصب في البحر الرومي ❊ وأما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهي الى بحيرة طبرية ٢ وقد عد الدجلة أيضا من جملة الانهار وأنها تجري من بلاد الروم الى أعلى آمد وحصن كيفا والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وينتهي الى بحر فارس ❊ وأما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصي فانه يجري من جهة الجنوب الى الشمال وهو بخلاف غيره من الانهار فانه لا تسقي منه الارض الا بالنواعير ومنه فرقة تمضي الى بعلبك وينتهي في مصبه الى البحر الرومي وقد قالت الشعراء فيه ❊ فمن ذلك ما قيل فيه

ناعورة في النهر أبصرتها ❊ تشوق الداني والقاصي

قد نبهتنا الهدى والتقى ❊ لانها تبكي على العاصي

٢ (قوله وقد عد) لعل ضمير يرجع للاصل المنقول منه وقوله بعد وينتهي الى بحر فارس لعل الضمير فيه أيضا يرجع للدجلة المفهوم من عد على حد اعدلوا هو

أضحت حماة للورى جنة ✽ يدخلها الدانى مع القاصى
ولم يكن يسمع من قبل ذا ✽ بجنة فى وسطها عاصى

(قال) بعض الحكماء وكان من تمام حكم الله تعالى أن جعل الانهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لان ركودها نعمة ودفع مضرة وأيضا البحار المالحة يصب فيها جميع الانهار وماء السيول والعيون وهى لا تزيد بقدرة الله تعالى فلو زادت لاغرقت الارض وهذا من رحمة الله تعالى كما أخبر فى القرآن العظيم مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان

✽ذكر أخبار النيل✽ قال الواقدى ان معاوية بن أبى سفيان قال يوما لكعب الاحبار هل تجد للنيل ذكرا فى كتاب الله تعالى يعنى فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال والذى فلق البحر لموسى انى لاجد فى التوراة ان الله يوحى اليه عند ابتدائه ويأمره أن يجرى حيثما شاء الله تعالى ثم يوحى اليه عند انتهائه ويأمره أن يرجع راشدا حيث شاء الله تعالى يعنى أن الله تعالى يوحى اليه عند زيادته ونقصانه

✽فصل فى بيان المكان الذى يخرج منه النيل وفى المكان الذى يذهب منه✽ قال المسعودى فى مروج الذهب نقل صاحب الاقاليم السبعة ان أصل النيل من جبل القمر من عشرة أعين فتجتمع كل خمسة أعين فى بطيحة هناك ثم يجريان وذكر أن صفة جبل القمر انه منقوش وعلى رأسه شرار يف كبار وذكر أن جبل القمر خلف خط الاستواء الذى يستوى فيه الليل والنهار دائما وان القمر يطلع من عليه وقال المسعودى ان النيل يجرى على وجه الارض ألف فرسخ فى عمار وخراب حتى يأتى الى بلاد السودان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من الفسطاط وعلى أميال من اسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم ان النيل ينتهى الى بحر دمياط ورشيد والاسكندرية فيصب فى البحر المالح من هنالك انتهى كلام المسعودى ✽ وقال الكندى ان النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هنالك نهران أحدهما يجرى الى أرض الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجرى نحو أرض الزنج وقال هرمس يخرج من هذه القبة أربعة أنهار وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل ✽ومما يحكى✽ ان ملك نقرواش الجبار بن مصرايم توجه الى منبع النيل فحفره وأصلح مجراه وكان يسيح فى الارض ويتفرق من غير حاجز فهندسه وساق منه عدة أنهار الى أماكن كثيرة لينتفع بها الناس وعمل هنالك تماثيل من نحاس عدتها خمسة وثمانون تمثالا جامعة للماء حتى لا يخرج ماء النيل عنها وجعل لها منافذ

مستديرة يخرج الماء من حلوق تلك التماثيل وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع أذرع معلومة فتخرج تلك الانهار ثم تصب في بطيحتين فتخرج منهما المياه الى بطيحة كبيرة جامعة للمياه وجعل للتماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصلاح لارض مصر دون الفساد وقدر ذلك على ستة عشر ذراعا وكان الذراع يومئذ اثنين وثلاثين أصبعا ثم جعل فضلات تلك المياه تخرج الى مسارب عن يمين تلك التماثيل وعن شمالها ثم تصب الى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل ما كان يمر عليه من البلدان قاطبة وقال لولا ان ماء النيل يمر في البحر المالح ويكتسب من ملحه لشرب من مائه ماه واحلى من العسل وابيض من اللبن (وقال) بعض الحكماء لولا الليمون بمصر لوخم أهلها من حلاوة النيل ولماتوا ولكن حموضة ماء الليمون تمنع الصفراء وقال الكندي ان النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج * وقال * ابن زولاق في تاريخه ان بعض الملوك أمر اقواما بالمسير الى حيث يجري النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عال والماء ينزل من أعلاه وله دوي وهدير حتى لا يكاد احد يسمع صوت من في جانبه من أصحابه من دوي الماء ثم ان أحد القوم تسبب في الصعود الى أعلى الجبل لينظر ماوراء ذلك فلما وصل الى أعلاه ضحك وصفق بيديه ثم مضى في الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ما شأنه ثم ان رجلا آخر منهم صعد بعده ليرى ماوراء ذلك الجبل وما كان من أمر صاحبه ففعل مثل صاحبه وصفق ومضى في الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ما شأنه فطلع ثالث وقال لاصحابه اربطوني من وسطي بحبل فاذا أنا وصلت الى ما وصل اليه أصحابي وفعلت كما فعلوا فاجذبوني بالحبل فلا أبرح من مكاني ففعلوا ذلك فلما صار في أعلى الجبل صفق وأراد أن يمضي في الجبل فجذبوا الحبل اليهم ونزل عندهم فلما وصل خرس لسانه ولم يرد جوابا وأقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك من أخبار النيل * قال الامام الليث بن سعد رضي الله عنه بلغني أن رجلا يقال له حامد بن أبي سالم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام خرج هاربا من بعض الملوك الجبابرة فدخل الى مصر فلما رأى نيلها تعجب منه وحلف على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل حتى يبلغ منتهاه ومن أين يخرج أو يموت قبل ذلك فسار على ساحل النيل نحوا من ثلاثين سنة حتى وصل الى جبل القمر فاذا هو برجل قائم يصلي تحت شجرة تفاح فلما رآه سلم عليه واستأنس به فقال ذلك الرجل الذي تحت الشجرة من أنت أيها الرجل فقال له حامد أنا من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قال له حامد من أنت فقال أنا أبو العباس الخضر فما يجيئك الى ههنا قال في طلب معرفة النيل فقال له الخضر عليه السلام ستمر عليك حية ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها وهي دابة معادية للشمس

اذا طلعت الشمس هوت اليها لتلتقمها فاركب على ظهرها فانها تذهب بك الى جانب البحر الزفتى فسر فى بره فانك تقع فى أرض من ذهب وبها جبال وأشجار فلما مضى حامد فعل ما قاله الخضر فلما وصل الى أرض الذهب نظر الى قبة من الذهب ولها أربعة أبواب فنظر الى النيل وهو ينحدر من جوف تلك القبة من كل باب نهر يجرى الى جهة من الارض وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل فأراد حامد أن يمضى الى ماوراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له قف يا حامد مكانك فقد انتهى اليك علم النيل وماوراء ذلك الا الجنة فقال حامد أريد أن أنظر الى الجنة فقال له الملك انك لن تستطيع دخولها اليوم فجلس حامد على شاطئ النيل وشرب منه فاذا هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبيض من الثلج وقيل فى المعنى

ونيل مصر من الجنان ✻ وماؤه يحيى الغصون

فما العيون ان قايسوه ✻ قل ما ترى مثل العيون

ويقال ان حامدا رأى الفلك الذى يدور بالشمس والقمر والنجوم وهو شبه الرحا فقيل ركب الفلك ودار فى الدنيا كلها وقيل انه لم يركبه وقيل ان ذلك الملك أتى حامدا بعنقود من العنب من الجنة وهو على ثلاثة ألوان أخضر كالزبرجد وأحمر كالياقوت وأبيض كاللؤلؤ وقال له هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها ثم ان حامدا رجع من هناك الى شاطئ البحر الزفتى وركب على تلك الحية لما هوت الى الشمس عند الغروب لتلتقمها فقذفت به الى جانب البحر الزفتى الى المكان الذى ذهب منه فأتى الى الخضر عليه السلام وسلم عليه وحكى له بما جرى له وقيل ان حامدا لم يأكل من أكل الدنيا لانه أكل من ذلك العنب ومات بعد ذلك بمدة يسيرة

✻ فصل فى بيان زيادة النيل ونقصانه ✻ قال المسعودى ان زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الامطار وقالت الروم زيادته من عيون فى شاطئه تفور من أوله الى آخره وهذا هو السبب فى تكديره عند الزيادة لان العيون اذا نبعت من الارض اختلطت بالطين عند نبعها فتكدره ✻ وقال الكندى انه فى أيام الزيادة يستمر فى بلاد الحبشة المطر ليلا ونهارا لا ينقطع فى هذه المدة ويتنفس النيل بالزيادة قال المهتدى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الارض من المشرق الى المغرب فاذا أراد الله تعالى ان يجرى نيل مصر أمر كل نهر على وجه الارض ان يمده بالمياه فاذا انتهى جريانه الى حيث شاء الله تعالى أمر كل نهر ان يرجع الى عنصره ومصداق هذا الخبر ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت الانهار كلها واذا زادت نقص هو فصح انه يمد بمياهها والله أعلم ✻ وقال بعض الحكماء ان النيل اذا زاد يصب فى البحر المالح فيجتمع بخاره

ويرتفع فى الجو فتحمله الريح الى الغمام فيذهب به الى حيث شاء الله تعالى فينزل حيث يريد الله تعالى والى هذا أشار الزمخشرى فى قوله تعالى والسماء ذات الرجع والمراد بالسماء الغمام والرجع المطر لان ماء المطر من البحر ثم يرجع اليه بعد أخذه منه ثم يعود به وفى قوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء قال البغوى اللواقح من الرياح التى تحمل الندى ثم تمجه فى السحاب فاذا اجتمع صار مطرا فان السحاب تلقح كما تلقح البقر باللبن وقال المسعودى ليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل وفى ذلك يقول

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقال أيضا انظر الى النيل السعيد وقد أتى * فى عسكر الموج المديد معبسا
حصر البلاد فسلمت أرضها * فكسى ثراها حين ولى سندسا

قال المسعودى ومن عادة النيل انه اذا كان عند ابتداء زيادته يخضر ماؤه فيقول أهل مصر توخم النيل ويرون أن الشرب منه مضر وسبب ذلك ان البطيحات المتقدم ذكرها اذا تناقص النيل عن الزيادة ينقطع عنه الامداد من المياه فيتغير ماؤه من لونه ويخضر فاذا زاد النيل ساق تلك المياه القديمة التى هى فى أعالى النيل التى كانت راكدة فيقول العوام قد توخم البحر وقيل فى المعنى

عجب لنيل ديار مصر لانه * عجب اذا فكرت فيه معظم
يطأ الاراضى فهى تلقح دائما * من مائه وهو الذى يتوخم

(ومن عجائب النيل) أن فيه فرس البحر قال عبد الله بن أحمد الاسرائيلى ان فرس البحر فى غلظ الجاموس قصيرة القوائم ولها أخفاف وهى فى ألوان الخيل ولها معرفة وأذنان صغيران كأذنى الخيل ولها ذيل مثل ذيل الجاموس ولها صهيل كالخيل ولها أنياب كأنياب السباع ولها حافر مشقوق كحافر البقر واذا ظفرت بالتمساح تأكله واذا طلعت الى البر يحصل منها الضرر الشامل لاهل النواحى فترعى الزروع فاذا حصل منها ضرر ولازمت تلك الجهات يطرح لها أهل القرى شيأ من الترمس فى الموضع الذى تطلع منه فتأكله وتعود الى الماء فاذا شربت ربا ذلك الترمس فى جوفها فتنتفخ فتموت وتعلو على وجه الماء وقيل ان المكان الذى تسكن فيه لا يقيم به التمساح وأكثر ما ترى فرس البحر فى دنقلة واسوان من جهات الصعيد (قال) الكندى ان النيل أشرف أنهار الارض فانه يسقى عدة أقاليم من ديار مصر وماؤه أفضل المياه وبذلك يشهد جماعة من الحكماء منهم ابن سينا وابن نفيس وذكروا ان ماءه يهضم كل المياه الرديئة ويقوى المعدة لانه يمر على أرض الذهب وقال بعضهم الشرب من

ماء النيل ينسى الغريب الوطن * واعظم من هذا كله ما جاءت به أخبار الشريعة ان منبعه من الجنة من تحت سدرة المنتهى وقد ورد بذلك أخبار نبوية قال الشيخ زين الدين بن الوردى

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتفضيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

انتهى ما أوردناه من ذكر الانهار وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر أخبار الجبال) قال الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ان الذى عرف من الجبال فى سائر أقاليم الدنيا مائة وثمانية وتسعون جبلا فالمشهور منها ما سنذكره دون غيره من الجبال (أخرج) ابن أبى الدنيا فى كتاب الورع ان أوّل جبل وضع على وجه الارض جبل أبى قبيس الذى بمكة وقال الواقدى ان جبل قاف أبو الجبال كلها وقد جعل الله تعالى لكل جبل من جبال الدنيا عروقا متصلة به * وروى فى بعض الاخبار أن الله تعالى وكل بجبل قاف ملكا عظيم الخلقة يقال له قاف فاذا أراد الله تعالى زلزلة فى الارض أو خسف ناحية أمر ذلك الملك الموكل بجبل قاف أن يحرك عرقا من عروقه فاذا حركه تزلزلت تلك الارض أو خسف بها * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان جبل قاف محيط بالدنيا وهو جبل عظيم لا يعلم قدره الا الله تعالى وقد أقسم به فى القرآن العظيم فقال عز من قائل ق والقرآن المجيد قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان خلف جبل قاف سبعين ألف أرض من فضة ومثلها من حديد ومثلها من مسك وهى مشرقة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى فيها قمر ولا شمس ولا حر ولا برد طول كل أرض عشرة آلاف سنة وخلف ذلك بحار من ظلمة وخلف ذلك حجاب من ريح وخلف ذلك حية عظيمة محيطة بجميع الدنيا تسبح الله تعالى الى يوم القيامة (وروى) فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله تعالى أرضا بيضاء مثل الفضة وهى قدر الدنيا ثلاثين مرة وبها أمم كثيرة لا يعصون الله طرفة عين قالت الصحابة يا رسول الله أمن ولد آدم هم قال لا يعلمهم غير الله وليس لهم علم بآدم قالوا يا رسول الله فأين ابليس منهم فقال ولا يعلمون بابليس ثم تلا قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون (قال) وهب بن منبه ان بالقرب من جبل قاف أرضا رجراجية لا تستقر عليها الاقدام وبها صنم من نحاس وهو ماد يده الى ورائه كأنه يقول ليس ورائى مسلك ويقال ان ذا القرنين وصل الى تلك الارض فى سبعين ألفا من عسكره فماتوا جميعا * وأما الجبل الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام فانه من جبال الموصل وقد روى فى بعض الاخبار ان الله تعالى أوحى الى الجبال أنى ترسى السفينة على جبل منكن فتشامخت الجبال كلها الا الجبل الجودى فانه تواضع وخر

ساجد الله تعالى فارسى الله السفينة عليه ويقال ان حجارة الكعبة نقلت من جبل الجودى حتى يصير ثقله فى ميزان من يحج (وأما) جبل الراهون وهو الذى أهبط عليه آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة ويروى ان فى هذا الجبل أثر أقدام آدم وهى مغموسة فى الحجر وطولها نحو عشرة أذرع ويرى على هذا الجبل نور ساطع يشبه البرق لا يزال ليلا ونهارا وهو محيط بارض الهند مشرف على وادى سرنديب وان أهل تلك الناحية أقوام يقال لهم البرهت يقرون بالله تعالى ويجحدون الانبياء وهم عراة الاجسام ولهم شعور تغطى عوراتهم وطعامهم من أشجار تلك الناحية وشرابهم من عيون هناك * وبهذا الجبل دابة تسمى الكركند وهى مشهورة به وبهذا الجبل معدن الياقوت الاحمر والاصفر والأزرق وبه حجر الالماس وحجر السنباذج وغير ذلك من المعادن الفاخرة وبتلك الارض أنواع الطيب كالسنبل والقرنفل وغير ذلك من العطر الطيب * ويقال ان ذلك الياقوت حصى ذلك الجبل ويتحدر منه بالسيول وفيه تعشش النسور فاذا لم يتحدر منه شئ بالسيول يذبح أهل تلك النواحى شيأ من الحيوان ويسلخون جلده ثم يقطعون لحمه قطعا كبارا ويتركونها تحت ذلك الجبل فتأتى اليها النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به على الجبل عند أوكارها فاذا وضعته على الارض تعلق به حصى الياقوت ثم تأتى اليه نسور أخرى فتخطفه وتطير به الى أرض أخرى فتضعه فيلتقط حصى ثم تخطفه نسور أخرى فربما هم طائرون به يقع منه حصى الى أسفل الجبل فيلتقط الحصى المراقبون له وهذا الجبل شاهق فى الهواء صعب المسالك جدا وبأرضه حيات عظيمة تبتلع الجمل والفرس والآدمى فاذا انقتل فى بطنها عمدت الى أصل شجرة والتوت عليها فتقذف ما فى بطنها وقال ارسطاطاليس ان فى بحر الهند جبلا اذا قربت السفن من هذا الجبل تناثرت مسامير الحديد التى بها جميعا وتأتى فتلتصق بهذا الجبل وهذا من سر حجارة المغناطيس فان الحديد يجذبه حجر المغناطيس جذبا قويا (وأما جبل القمر) فقد تقدم ذكره فى أخبار النيل (وأما جبل الفتح) فببلاد التتر يسكنه أمم من قبائل التتر نحو سبعين أمة لكل أمة لسان وهو جبل عال وفيه مغاور وشعاب وأودية ومفاوز انتهى ذلك * ومن العجائب ان ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهى مغارة تدخلها الناس ويمشون تحت الارض مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفى ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة ناس قاطنون وفى ذلك المكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما أتوا به الى المسجد وان كان نصرانيا أتوا به الى الكنيسة وفى ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شئ وعليهم أقبية من القطن وكفوفهم مفتوحة كانهم يصافحون بها من أتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم

أم وظهورهم الى حائط المغارة فيهم جماعة على وجوههم أثر الضرب بالسيوف وفي أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهنالك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبي صغير وحلمة ثديها في فيه وهنالك سرير وعليه اثنا عشر رجلا وهم نيام على ظهورهم وبينهم صبي مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من أي طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا في زمن عيسى بن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر أهل تلك الناحية ان في كل سنة يكسونهم الاثواب من القطن ويحلقون رؤسهم ويقصون أظفارهم وهم عظام عليها جلود ولا أرواح فيها * وأما جبل كورة رسيم من أعمال الشرق ففيه أعجوبتان وهما ان فيه غارا اذا دخل فيه انسان وجد في ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددهم خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أي الاخشاب هي فاذا أخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها في الحال فهي على ذلك لا تنقطع على ممر الزمان ولو تكرر أخذها في النهار مرارا سقط بدل ما أخذ والاعجوبة الاخرى به مغارة أخرى فيها عظم ميت وهو واقف في المغارة فيأتي اليه انسان فيضعه على الارض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة ويبعده عن ذلك المكان مسافة بعيدة ويضعه في البرية ملقى على الارض ثم يسوق فرسه مشوارا واحدا ويجيء الى تلك المغارة فيجده قد سبقه الى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها أولا وأهل تلك الناحية يسمونه الشهداء ذلك (وأما جبال مكة) فمنها جبل حراء وجبل ثور الذي به الغار وجبل ثبير وجبل مفرح الذي بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المحنى وغير ذلك من الجبال * ومن العجائب ان جبلا بمدينة آمد فيه صدع من أولج سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف ويرتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة * وأما جبل قاقوناقيد فهو من كتف السد الذي على يأجوج ومأجوج وينتهي الى أرض الصين * وأما جبل الجرد فهو عند بحر الظلمات ومن عجائبه ان به أناسا أعينهم في مناكبهم وأفواههم في صدورهم وليس لهم أكل سوى السمك ويقال ان عندهم بذلك الجبل بذرا اذا بذروه عندهم ينبت حملا مثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوا بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم وصفة الخروف عندهم يكون على قد القط وليس على جسده صوف * وأما جبل بكرسقانا ومبتدؤه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل تأوي اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند * وأما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدؤه من مكة أو المدينة وهذا الجبل يسمى هنالك بجبل مفرح

ثم

ثم يمتد من هنالك حتى يتصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج ويمتد هذا الى انطاكية والمصيص ويصل الى بحيرة طبرستان عند باب الابواب ويمتد منه طرف الى صفد والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك ويسمى هنالك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى في تلك الجهة بجبل اللكان ولا يزال هذا الجبل يمتد الى أن يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل يأوى اليه القائم وهو شئ يشبه الفيران يتربى في الثلج فيصيدونه بالشرك (ونقل) صاحب المبتدا أن ببعض نواحي دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وأنشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب بذكر حبيبه وهما هذان البيتان

ياساكنا بالجبل البلقع ✽ ويا ديار الظاعنين اسمعي

ماهي دياري ولكنها ✽ ديار من أهوى فنوحي معي

(قيل) ان الناس يقصدونه وقت القائلة في شدة الحر وليس في الجو هواء ويذكرون عنده هذين البيتين فيرون منه ذلك التمايل وان لم ينشدوه فهو ساكن لا يتحرك وهذا من العجائب ✽ وأعجب من هذه الحكاية ✽ ماذكره ابن وصيف شاه في أخبار مصر ان بنواحي الصعيد شجرة اذا وضع أحد يده عليها وقال ياشجرة العباس جاءك الناس تجمع أوراقها وتشرع في الذبول واذا قال لها عفونا عنك ترجع الى ما كانت عليه من الحسن والنضارة وهذه الشجرة تشبه شجرة السنط مستديرة الاوراق بهجة المنظر وأما جبل طورسيناء فقيل هو بالقرب من عقبة ايلة ويقال ان به قبر هرون أخي موسى عليهما السلام ✽ وجبل في جهات الصعيد فيه عدة جبال كبار وصغار يوجد فيها مقاطع الرخام السماقي واللازوردي والفستقي والابيض والكهرماني ويقال في البهنسا جبل فيه مغاير يوجد فيها الزمرذ الذبابي قال المسعودي ليس في الدنيا يوجد معدن الزمرذ الذبابي الاعصر في نواحي البهنسا ولم يزل هذا المعدن يوجد هنالك الى أوائل قرن المائة السابعة ثم انقطع وجوده من هنالك (وأما الجنادل) فهما جبلان صغيران والنيل يشق بينهما فيسمع له هنالك دوى عظيم وذلك المكان لا تسلكه المراكب الكبار وهو الفارق بين سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف بالجنادل والصخور كما تقدم ذكره ✽ وأما جبل الطير فهو بصعيد مصر في ضيعة يقال لها اشمون مطل على بحر النيل وفيه أعجوبة لم يسمع بمثلها في سائر البلدان وذلك أنه في آخر فصل الربيع في يوم معلوم من السنة تأتي اليه طيور كثيرة وهي بلق سود الارقاب مطوقات بالبياض وفي أصواتها بحة واذا طارت ملأت الآفاق ويقال لها طيور البح فيصعدون مكانا في هذا الجبل فينفرد منها طائر فيضرب بمنقاره في ذلك المكان فان تعلق بمنقاره

فى ذلك الشعب وقبض عليه تفرقت عنه بقية الطيور وان لم يتعلق ذلك الطير تقدم غيره فيضرب بمنقاره فان تعلق والا تأخر ويتقدم غيره فلا يزال يتقدم واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فان تعلق نفرت الطيور كلها وذهبت الى حال سبيلها فلا يزال ذلك الطائر معلقا بمنقاره حتى يموت ويضمحل فيقع على الارض وهذا دأب تلك الطيور فى كل سنة وهذه الواقعة مشهورة فى تلك البلاد * وحكى * أنه فى بعض السنين تعلق طائر بمنقاره فلما رأته الطيور متعلقا جعلت تضربه بمناقيرها وتسوقه الى أن جاء الى الشعب وضرب بمنقاره فتعلق كما كان حتى مات وهذه من العجائب * وقيل اذا كانت السنة مخصبة جيدة يتعلق اثنان واذا كانت متوسطة يتعلق واحد واذا كانت مجدبة لم يتعلق شئ * وأما الجبل المقطم فان أوله بالمشرق من نواحى بلاد الصين ويمر من بلاد التتر حتى يأتى الى مدينة فرغانة والى جبال التيم ويتصل بجبال القلزم من جهة أخرى قال بعض العلماء انما سمى بالمقطم لان المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع لانه مقطوع من النبات والاشجار فلذلك سمى المقطم (وروى) عن الامام الليث بن سعد رضى الله عنه أنه قال لما قدم عمرو بن العاص الى مصر عند فتحها فلما فتحها سار يوما الى سفح الجبل المقطم وكان صحبته المقوقس عزيز القبط صاحب مصر فقال له عمرو بن العاص ما بال جبلكم هذا أقرع ليس به أشجار ولا نبات فقال له المقوقس ان فى كتبنا القديمة أنه كان أكثر الجبال نباتا وأشجارا فلما كانت الليلة التى ناجى موسى ربه فيها أوحى الله الى الجبال انى مكلم نبيا من الانبياء على واحد منكم فعند ذلك شمخت الجبال كلها الا جبل بيت المقدس فانه تصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك فقال اعظاما واجلالا لك يارب فأمر الله تعالى كل الجبال أن تمده مما عليها من الاشجار فجاد له الجبل المقطم بجميع ما كان عليه من الاشجار والنبات وكان أكثر الجبال أشجارا ونباتا فأوحى الله اليه انى موطنك على فعلك وودك بغراس الجنة وهم المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ويروى) أن كعب الاحبار رضى الله عنه قال لرجل من أصحابه يريد التوجه الى مصر فاذا جئت الى بيت المقدس فاصحب لى معك شيأ من تراب الجبل المقطم ففعل الرجل ذلك فلما دفع اليه تراب المقطم وضعه فى جراب وجعله عنده وأوصاه أنه اذا مات يفرش ذلك التراب فى قبره للتبرك فلما مات وضعوا التراب فى قبره (وأما) الجبل الاحمر فانه متصل بالجبل المقطم مطل على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب الاسود وقال الكندى ان بمصر ثلاثة جبال صغار تسمى الشرف * أحدها الذى وضعت عليه القلعة وسميت قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم * والثانى الذى وضع عليه جامع أحمد بن طولون ويسمى يشكر ويقال ان موسى ناجى ربه عليه * والجبل الثالث وهو المطل على بركة

الحبش الذى وضع عليه الرصد فعرف به (وأما) جبل الكبش فهو الذى عند الجامع الاعظم وكان قديما يشرف على بحر النيل وهو متصل بجبل يشكر وانما سمى بجبل الكبش لان الصحابة لما نزلت بأرض مصر سار كبش وهو رجل من الصحابة الى ذلك الجبل ونزل فيه وحده فمن ذلك سمى جبل الكبش ❊ وأما جبل لوقا وهو غربى مصر قليل الارتفاع وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينها تضيق فى مكان وتتسع فى مكان وهذا الجبل أقرع مثل الجبل المقطم لانبات به وماؤه مالح ويجفف مايدفن فيه من بنى آدم انتهى ماأوردناه من أخبار الجبال وذلك على سبيل الاختصار

❊ ذكر عجائب البلدان ومافيها من الحكم ❊ قال القضاعى ان من البلدان العجيبة مدينة رومية قيل ان دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية أسوار من الحجارة الصوان المانع وهى على جبل داخل البحر المالح وهو محيط بها ويقال ان الجن بنتها لسليمان بن داود عليهما السلام وحول هذه المدينة خندق من النحاس عمقه أربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه ألواح من نحاس كهيئة الطوارق طول كل لوح خمسون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا فى غلظ ذراعين وجعلوا من أول هذه المدينة الى آخرها أعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الاعمدة مجراة من النحاس قدر الخليج يجرى فيها الماء وبهذه المدينة أربعمائة منارة من الذهب الاحمر طول كل منارة مائة ذراع وهى حول الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه درابزون من الذهب ويقولون ان به ملكا من الملائكة مقيما فى ذلك المكان لا يبرح عنه أبدا وبها جثة بطرس وبواص من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وهما فى توابيت من ذهب معلقة بسلاسل من فضة فى هذه الكنيسة وقد كان حولها ألف ومائتا كنيسة يسكنها الرهبان فى صوامع بها ولهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا مصفحة وهى بصفائح الذهب والفضة وفى دائرها ألف شباك من النحاس الاصفر خارجا عن الابواب الابنوس وفيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهى من الزمرذ الأخضر وطولها ذراعان وعرضها ذراع وهى محمولة على اثنى عشر تمثالا من الذهب بأعين من الياقوت الاحمر وهى تتقد كالشمس (وأما) صفة هذه المدينة فاسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام الابيض وبها حجارة مكتوب عليها بقلم العبرانى فاذا جعلوا تحتها قمحا طحنته بدوران سريع فيصير دقيقا واذا فرغ القمح بطلت حركتها ❊ وبها أيضا من العجائب أنه فى ليلة الشعانين ينفتح فى الكنيسة الكبرى كوة فيخرج منها تراب أبيض ولايزال يخرج الى الصباح فاذا طلع الفجر انقطع التراب ومن خاصية هذا التراب أنه ينفع الملسوع فيفرقونه للاجر فاذا بيع بطل نفعه ❊ وكان بها من العجائب صخرة من رخام أخضر عليها كتابة بالقلم القديم فمن أراد أن يعلم حال الغائب أو المسافر أو الباقى

يجيء الى تلك الصخرة و ينام عليها فيرى فى منامه جميع ما يكون من حال الغائب وغيره * وكان بها من العجائب حجر اذا وضع عليه الانسان يده تقايأ كل ما فى جوفه فما دامت يده موضوعة فهو يتقايأ وان لم يرفع يده عند كفايته والا خرجت أمعاؤه فيموت * وكان بها من العجائب شجرة من نحاس أصفر وعليها هيئة طائر من نحاس فاذا كان أوان الزيتون صفر ذلك الطائر النحاس صفيرا عاليا فيأتى اليه كل زرزور فى الدنيا وفى كل رجل من رجليه زيتونة وفى منقاره زيتونة فيضعونه على سطح الكنيسة الكبرى فتجمع الرهبان من ذلك الزيتون شيأ كثيرا فيعصرونه ويخرجون زيته فيكفيهم من العام الى العام وقيدا وأكلا * وقيل كانوا اذا ادخروا فيها الغلال دهرا طويلا لا تتغير لانها مبنية فى مكان معتدل جدا غير وخيم

(وأما اخبار مدينة الاسكندرية) قال المسعودى هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وقد بنيت بعد الطوفان على يد مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ثم خربت بعد ذلك فبنتها الملكة رقود ثم خربت بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين فعرفت به قال ابن عبد الحكم فى أخبار مصر بناها الاسكندر بن فلقش المخزومى وكان من اليونان وقيل بناها شداد بن عاد والاقوال فى ذلك كثيرة وقال بعض المفسرين ان الاسكندرية هى ارم ذات العماد التى ذكرت فى القرآن العظيم وقيل انها بنيت فى ثلاثمائة سنة وسكنت ثلاثمائة سنة وخربت ثلاثمائة وقال ابن وصيف شاه بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهى اثنا عشر فرسخا فى مثل ذلك وأقام لبنائها ألف ألف صانع وعمل فيها مسارب بقناطر تتصل الى بحر النيل قال ابن عبد الحكم لما أرادوا أن يبنوا أساس الاسكندرية كان يخرج اليهم من البحر صور على صفة السباع والذئاب والكلاب والخنازير وغير ذلك فيهدمون تحت الليل ما تبنيه الرجال بالنهار فلما أعيا الملوك ذلك حضر اليهم بعض الحكماء وعمل أشباه تلك الصور التى تطلع من البحر فلما خرجت تلك الصور رأت مثل صورها مقابلها فهربت منها ولم تعد بعد ذلك قال ابن عبد الحكم قامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر أحد أن يدخلها الا وعلى عينيه شعرية أو خرقة زرقاء من شدة بياض حيطانها فانها كانت تخطف الابصار وكان لا يوقد بها سراج فى الليالى المقمرة وكانت عمارتها ممتدة من رمال رشيد الى برقة وتسير المراكب فى ظل الاشجار مستترة من حر الشمس ويقال ان أهلها أكثر الناس أعمارا الصحة هوائها وطيب أرضها ولم تزل الاسكندرية على ذلك حتى فتحها عمرو بن العاص (قال) المسعودى اختلف المؤرخون فيمن بنى المنارة فقيل انه الاسكندر بن فلقش الرومى وقيل الملكة رقود وقيل الذى بنى رومية بنى المنارة وقيل الاسكندر ذو القرنين قال ابن وصيف شاه كان الاسكندر بن فلقش من

اليونانيين وكان رأسه قدر القبة العظيمة وكان طول انفه ثلاثة أذرع فلما بنى هذه المنارة جعلها على كرسي من الزجاج كهيئة الجبل وهو في جوف البحر وكان طول هذه المنارة في الزمن القديم ألف ذراع ثم خربت حتى بقي منها مائتان وثمانون ذراعا وقد بنى في أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال يدور مع الشمس حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر فاذا وصل عدو الى البلد وصار قريبا منها يسمع لذلك التمثال صوت عال فيعلم أهل المدينة أن العدو صار قريبا منهم فيستعدون لقتاله وكانت هذه المنارة مبنية بحجارة من الصوان وبينها شئ من الرصاص المذاب وقد جعلوا في هذه المنارة ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد الى تلك البيوت وهي محملة مما يحتاج اليه أهل تلك البيوت وكان لهذه البيوت طاقات تشرف على البحر الرومي وكان الغريب اذا دخلها يتوه فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها (وقيل) ان جماعة دخلوها فتاه فيها أحدهم فلم يقدر على الخروج من التوهان ومات جوعا وكان بها مرابطون لاجل الجهاد لا يبرحون عنها وكان لاهل تلك المدينة يوم مشهور يسمونه يوم العدس فيجتمعون فيه عند المنارة ويأتون بطعام العدس ويأكلون عندها ويجعلونه للتنزه وكان يوقد بهذه المنارة نار ليلا ليهتدي اليها المسافرون * وفي حسنها وكمالها يقول القائل

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليها على بعد من الحدق
من شامخ الانف في أوصافه شمم * كأنه باهت في دارة الافق
للمنشآت الجواري عند رؤيته * كموقع النوم في أجفان ذي أرق

قال ابن وصيف شاه في أعلى هذه المنارة قبة من نحاس أصفر منصوب فوقها مرآة من معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصيني وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة وكان قدرها خمسة أشبار وقيل سبعة أشبار وهي على كرسي من نحاس مدبر بالحكمة وكانوا ينظرون فيها كل ساعة الى من يخرج من بلاد الروم مسافة تعجز عنها الابصار فيستعدون لذلك فان كان العدو مدركهم يديرون تلك المرآة مقابل الشمس ويستقبلون بها سفن العدو فيقع شعاعها على السفن فتحترق عن آخرها فيهلك كل من فيها وان أراد أهل تلك المدينة أن يعلموا غيرهم من نواحيهم بعدوهم ينشروا في أعلى المنارة أعلاما فيعلم أهل تلك النواحي بالعدو فيستعدون للقتال أيضا قال ولم تزل المنارة على هذه الحالة حتى جاء عمرو بن العاص فأخرج له جماعة كتابا مكتوبا فيه ان أموال الاسكندر تحت هذه المنارة وحسنوا لعمرو بن العاص هدمها وأخذ الاموال من تحتها ثم يعيدها الى ما كانت عليه كذلك فطمع في ذلك وقلع المرآة وهدم من المنارة ثلثها فلم يجد شيأ فعلم أن ذلك دسيسة لهدم المنارة ليبطل عمل المرآة والصنم وغيرهما

من المنافع لهم المضرة للعدو فطلب الذين أشاروا عليه بهدمها فوجدهم قد هربوا وتمت حليتهم على عمرو بن العاص وكان أصل هذه الحيلة من الروم ثم انه قد بنى المنارة ثانيا ونصب عليها المرآة كما كانت فبطل عملها الذى كانت عليه من الرؤية والاحراق واستقرت المنارة قائمة فى الهواء بغير منفعة الى تسع وسبعين ومائة من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط رأس المنارة فلما استولى أحمد بن طولون على مصر بنى فى أعلى المنارة قبة من الخشب واستقرت على ذلك الى زمان الظاهر بيبرس البندقدارى فسقطت تلك القبة فبناها وجعل فى أعلى المنارة مسجدا وذلك فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستقرت على ذلك الى اثنين وسبعمائة من دولة الناصر محمد بن قلاوون فوقعت فى ايامه زلزلة عظيمة فسقطت المنارة عن آخرها ونسخ من أمرها يومئذ

(ذكر اخبار عمود السوارى)

(قال) القضاعى ومن العجائب عمود السوارى الذى بثغر الاسكندرية وهو من الحجر الصوّان وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة أذرع ونصف وكان هذا العمود من جملة سبعة أعمدة وكان فوقها رواق يقال له بيت الحكمة فلما كان أيام سليمان بن داود عليهما السلام هدم ذلك البيت وجعله مسجدا للعبادة وكان حول ذلك الرواق اربعمائة عمود يسمونه الملعب يجتمعون تحت تلك العمد فى يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع فى حجر أحد منهم والذى تقع فى حجره يكون ملكا فى مصر ولو بعد حين فحضر فى بعض أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فملك مصر بعد ذلك فى زمن الاسلام وكان يحضر فى ذلك الملعب ألف ألف انسان من الاقباط وغيرها من سائر الاجناس * قيل لما وقعت الكرة فى حجر عمرو بن العاص تعجب كل من كان حاضرا وقالوا من أين لهذا الاعرابى أن يصير ملك مصر بيده فلا زالت ارادة الله تعالى الى أن صاروا الى مصر والاسكندرية من أعمال مصر وقد قال القائل

يقولون المنارة والسوارى * وأهل للعوامد والبناء
ويفتخرون فى حمق وجهل * بملتهم وحاصله هواء

(قال) المسعودى ان أهل الاسكندرية ينسبون الى الشح والبخل الزائد وتطول فيها الاعمار وكذلك قرية مريوط ووادى فرغانة بالغرب وسبب ذلك قربهما من النيل وظهور ريح الصبا فيها وذلك مما يعالج أبدانهم ويرقق طباعهم ويرفع هممهم وقيل فيهم

نزيل سكندرية ليس يقرى * بغير الماء أونعت السوارى
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز * فما فيها الذلك الحرف قارى

(وقال) * اسكندرية كربه * وجر زار تسعر *

ان قيل ثغر أبيض * قلت ولكن أبخر

* ذكر أخبار صنم الاهرام * قال القضاعي ومن عجائب مصر الصنم الذي عند الهرمين بالجيزة ويسمى بالهوية ويعرف بأبي الهول عند أهل مصر فيقال انه طلسم لدفع الرمل لئلا يغلب على أهل الجيزة وقال هذا الصنم من الحجر الكدان لا يظهر منه سوى رأسه وبقيته مدفونة في الرمل ويقال طوله سبعون ذراعا وفي وجهه دهان يلمع له رونق كأنه يضحك تبسما وكان في مقابلته صنم مثله في مصر عند قصر الشمع وهو من الصوان المانع ويقولون انه طلسم يمنع الماء من بر مصر وكل من الصنمين مستقبل المشرق وبقى صنم قصر الشمع الى سنة احدى عشرة وسبعمائة ثم قطعه الملك الناصر محمد بن قلاوون وصنع منه أعتابا وقواعد لما بنى الجامع الجديد على بحر النيل ولم يبق لهذا الصنم أثر وبقي أبو الهول الى يومنا هذا وهو موجود عند الاهرام * ومن العجائب أن قرية من أعمال اسوان وهي شرقي النيل ولها سور وأبواب وهي قرية خراب وعلى أحد أبوابها جميزة كبيرة فاذا كان أيام الشتاء يرون في كل يوم قبل طلوع الشمس اناسا غير جنس بني آدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها فاذا دخل الناس الى تلك القرية لم يروا فيها أحدا من الذين كانوا يدخلون اليها ويخرجون منها وهذه الواقعة مشهورة عند أهل تلك الناحية * ومن العجائب أن ببلاد الهند ضيعة يقال لها كتام وبها عمود من نحاس أصفر وعليه صفة طائر من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء نشر ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقي زروعهم وبساتينهم ويملأ صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام الى العام وهذا دأب ذلك الطائر في كل سنة (ويقرب) من ذلك انه كان ببلاد الاندلس فرس من نحاس وعليها راكب من نحاس فاذا دخلت الاشهر الحرم هطل من تلك الفرس الماء الغزير حتى يعم أرضهم وبساتينهم وآبارهم فاذا مضت الاشهر الحرم انقطع ذلك الماء وهو يكفيهم من العام الى العام (ومن) أعجب العجائب أن حكيما من بعض الحكماء في بعض مدائن بابل صنع حوضا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم فيجتمع أهل تلك المدينة ويأتي كل منهم بشراب فيفرغه في ذلك الحوض فتختلط الاشربة كلها في بعضها البعض حتى تصير شيأ واحدا ثم يقف الساقي على ذلك الحوض ويسقي فلا يطلع لكل واحد في قدحه الا من الشراب الذي أتى به وصبه في الحوض * ومن العجائب انه كان ببيت المقدس كلب من الخشب اذا مر به ساحر نبح عليه ذلك الكلب الخشب ويسلب منه عمل السحر ويقال ان بعض السحرة رمى ذلك الكلب بسهم ليقتله فعاد السهم على راميه فقتله (ومن العجائب) انه كان بمدينة أبهر طلسم للبعوض فلا يدخلها البعوض فكان

اذا أخرج أحد يده من السور الى خارج المدينة وقع عليها البعوض واذا أدخلها ارتفع عنها البعوض ولا يدخل الى داخل السور (ومن العجائب) أن فى بلاد المشرق ضيعة و بها دير يقال له دير الخنافس ففى يوم معلوم من السنة يمتلئ الدير والارض التى حوله بالخنافس وهى تشبه سوس الخشب فتمشى الناس عليها لكثرتها فاذا انقضى ذلك اليوم لم ير من تلك الخنافس شئ وقد احتال بعض الناس على هذه الخنافس وأدخل منها شيأ فى القنانى وختم عليها بالشمع فلما انقضى ذلك اليوم لم يجد فى القنانى شيأ والشمع بحاله مختوم * ومن العجائب ان فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها أقوام يعبدون النار ففى يوم معلوم من السنة يأتى شخص أو أكثر من أهل تلك المدينة ويقرب نفسه الى النار فتوقد له النار بزيادة فاذا اتسعرت النار طرح ذلك الشخص نفسه فيها فيكون له غليان عظيم ويخرج له دخان قتيم فاذا كان اليوم الثانى يظهر من تلك النار شخص على هيئة المحروق فيسلم على أصحابه فيسألونه عن حاله فيخبرهم انه فى رياض الجنة ويرغبهم فى أن يلقوا أنفسهم فى النار ثم يختفى عنهم وذلك الشخص الذى يظهر لهم انما هو شيطان من الجن موكل بتلك النار وقد جعله الله لضلال هذه الطائفة (ومن العجائب) ان ببلاد الصين مدينة يقال لها جلسق فيها رجال على صفة النسناس لا يتكلمون الا بالاشارة ولهم أيد طوال تصل الى أقدامهم عند الوقوف ولهم وثوب نحو عشرة أذرع فى الهواء ولم يأوهذا الجنس الا فى البساتين ويسكن على الاشجار وينفر من الناس ويتناكحون ويتناسلون فى البساتين ولهم احليل طويل يصل الى أفخاذهم وهم عراة الاجسام وفيهم الابيض والاسود ونساؤهم على هيئتهم فى الشكل * ومن العجائب أن بمدينة أذربيجان واد يأويه دود أحمر يظهر فى زمن الربيع يسمونه القرمز فيلتقطونه ويطبخونه ويصنعون به اللون الذى يسمونه الارجوان وكان ابتداء وجود هذا الدود فى أوائل قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه فدخل الى ذلك الوادى ليرعى به الغنم فرأى كلب الراعى دودة فأكلها فبقى على خرطومه من دمها فأخذ الراعى صوفة ومسح بها ذلك الدم فانصبغت الصوفة بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له فى ذلك الوادى فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيأ من القرمز وطبخوه فجاء من أحسن الالوان ويصبغون منه الآن * ومن العجائب انه كان بمدينة حمص حجر أبيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ انسانا عقرب أخذ طينا ولصقه على تلك الصورة فاذا جف ووقع أخذه وذوبه بالماء وشرب منه الملسوع فيبرأ من ساعته وذلك طاسم العقارب (ومن العجائب) ان ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة أبواب فيها قبة عالية وفى وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاج وهى معلقة

القبة وقد جاء جماعة كثيرون ليأخذوا تلك الجوهرة فكان اذا دنا أحدهم منها على مقدار عشرة أذرع خر ميتا وان احتال عليها بشئ من الآلات الطوال كالرمح أو غيره انعكست حيلته فلبس اليها سبيل وقد قصدها ملوك كثيرة فلم تتم لهم حيلة على أخذها (ومن العجائب) أن أهل قريتين قتلوا بالسيف عن آخرهم بسبب قطرة من عسل وسبب ذلك أن رجلا نحالا في قرية أخذ ظرفا من العسل ليبيعه في قرية أخرى فجاء الى زيات وفتح الظرف ليريه العسل فقطرت من العسل قطرة على الارض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة كلب وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما رأى الزيات ان الكلب افترس القطة ضرب الزيات الكلب فقتله فلما رأى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما رأى ولد الزيات ان أباه قد قتل ضرب العسال فقتله فلما سمع أهل القريتين بقتل الرجلين لبسوا عدة حربهم ولازالوا يقتتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم وكان سببه قطرة من عسل كما قيل ومعظم النار من مستصغر الشرر *لطيفة* منتزهات الارض أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق * أما سغد سمرقند فهو نهر تحف به أشجار مثمرة بالفواكه والازهار وهي مشتبكة بعضها ببعض ممتدة مقدار اثني عشر فرسخا في مثله وأما شعب بوان فهو من نواحي نيسابور وهي مقدار فرسخين وفيها أنهار متدفقة وأشجار مثمرة طيبة * وأما نهر الابلة فهو من أعمال البصرة وهو على أربعة فراسخ منها ومن جوانبه الاشجار الطيبة الثمار* واما غوطة دمشق فقدارها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا وهي مشتبكة بالاشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على الارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها قال الشاعر

سألتكمان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ مني كتابا كتبته * بدمعي لكم فاقرآ ولا تنسيا سطرا

الشقراء والخضراء اسما قريتين من قرى الشام (وقال القيراطي)

مافيه الاروضة أو جوسق * أو جدول أو بلبل أو ربرب
فكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته * في الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مشبب * والنهر يسقي والجداول تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بيننا متطلب
فلكم طربت على السماع بذكرها * وغدا بروبتها اللسان يشبب
أشتاق من وادي دمشق لغوطة * كل الجمال الى حماها ينسب سكان

انتهى ما أوردناه من عجائب البلدان وذلك على سبيل الاختصار

﴿ذكر ما كان من مبدء خلق العالم من قبل وجود آدم عليه السلام﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكمل الله تعالى خلق السموات والارض على الصفة المتقدم ذكرها وأرسى الجبال ونشر الرياح وخلق فيها الوحوش والطيور صارت الثمار تجف وتقع على الارض ويتولد العشب فى الارض ويركب بعضه بعضا فعند ذلك شكت الارض الى ربها من هذا الامر فخلق الله تعالى من الارض أمما كثيرة وهم على صور مختلفة وأجناس مجنسة يقال لهم الجن وقد خلقهم الله تعالى من الريح ومن البرق ومن السحاب وهم ذو نفس وحركة فانتشروا كالذر لكثرتهم فامتلأ منهم السهل والجبل وسائر أقطار الدنيا فأقاموا على وجه الارض ماشاء الله من الزمان وكان منهم الابيض والاسود والاحمر والاصفر والابلق والابقع والاصم والاعمى والحسن والقبيح والقوى والضعيف والانثى والذكر فتناكحوا وتناسلوا وسموا الجن لاجتنانهم أى اختفائهم فلما كثروا فى الارض وضاقت بهم الدنيا لكثرتهم زاد بأسهم فأرسل الله عليهم ريحا عاصفا فأهلكتهم ولم يبق منهم الا القليل فهم أول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور وصيد الطيور والوحوش فاستمروا على ذلك دهرا طويلا ثم بغى بعضهم على بعض فتقاتلوا ولم يكن قتالهم بسلاح وانما كان يفنى بعضهم بعضا بالمحاصرة فى البيوت حتى يهلكوا جوعا وعطشا فلما تزايد أمرهم بالفساد أخرج الله تعالى لهم أمما من البحر وهم أعظم أجسادا منهم وأعجب خلقة يقال لهم البن فحاربوهم فهلكت الجن ولم يبق منهم أحد ومدة اقامتهم فى الدنيا خمسمائة عام وملك الارض بعدهم البن وتناكحوا وتناسلوا وكثروا حتى ملؤا الارض فكان أحدهم يغوص الى الارض السابعة ويقيم بها أياما فلم يحجب عنهم بقعة من الارض فهم أول من حفر الآبار وشق الانهار وأجرى المياه اليها من العيون والبحار وهم أول من صنع الدواليب والقناطر على الانهار وتسلطوا على الاسماك فى البحر بالصيد وعلى الوحوش فى البر فلم يبق فى البر والبحر دابة الا وشكت منهم الى الله تعالى وتزايد أمرهم بالفساد فخلق الله تعالى الجان قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله الجان من مارج من نار وخلق الملائكة من نور ساطع وهم على صفات مختلفة فمنهم من يشبه بنى آدم فى الخلق و طائفة يسكنون السموات وطائفة يسكنون الارض وطائفة موكلون بحفظ بنى آدم ومنهم حملة العرش ومنهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل * فأما جبريل أمين الوحى الى الانبياء وأخرج ابن أبى حاتم عن عطاء بن السائب قال أول من يحاسب جبريل عليه السلام لانه كان أمين الله تعالى الى رسله وأول من قال سبحان ربى الأعلى * وأما صفته فله ستمائة جناح بين كل جناحين مسيرة خمسمائة عام وله ر

ن رأسه الى قدمه كلون الزعفران وكل ريشة كهيئة الشمس فى نورها * ويروى انه
نغمس فى بحر النور كل يوم ثلاثمائة وستين مرة فاذا خرج سقطت منه قطرات من
النور فيخلق الله من تلك القطرات ملائكة على صورته يسبحون الله تعالى الى يوم
القيامة ومعنى جبريل بالسريانية عبد الله *(وأما ميكائيل عليه السلام)* فانه موكل
أرزاق بنى آدم والطير والوحش و بالامطار والسحاب والبحار والاشجار وكل
النباتات * وأما صفته فيروى ان له ريشا أخضر كلون الزمرذ فى كل ريشة ألف وجه
وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يستغفرون للمذنبين من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم ويخلق الله تعالى فى كل يوم سبعين ألف ملك على صفته موكلون بالارزاق
على نحو ما هو موكل به كامر * ويروى انه لما عاين ميكائيل النار لم يضحك بعد ذلك ولم
يتبسم من هول ما عاين من النار خوفا من الجبار *(وأما اسرافيل عليه السلام)* فانه
صاحب نفخ الصور ويروى ان الله تعالى خلق اسرافيل قبل ميكائيل بخمسمائة عام
ووكله بالصور * ويروى ان الصور كهيئة القرن وفيه مثل خلبات النحل وهى التى تستقر
فيها الارواح طوله ما بين السماء والارض فاذا انقضت أيام الدنيا أمره الله تعالى أن
ينفخ فى ذلك القرن فتخرج الارواح من تلك الخلبات وهى تتوهج و ينفخ فى الصور ثلاث
نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث (ويروى) ان
اسرافيل له أجنحة لا تحصى وقد أعطاه الله قوة على سائر الملائكة وعظما * ويروى ان
جبرائيل مع عظمه طار بأجنحته نحو ثلاثمائة عام ما بين انف اسرافيل وشفته فما
بلغ مقدار ذلك ومع ذلك قيل ان أعظم الملائكة ملك يقال له الروح قال الله تعالى يوم
يقوم الروح والملائكة صفا الآية (ويروى) ان هذا الملك الذى اسمه الروح يقوم يوم
القيامة صفا وحده لعظمه وجميع الملائكة صفا فيكون الروح على قدر الملائكة
عظم خلقته *(وأما عزرائيل عليه السلام)* فانه موكل بقبض الارواح من بنى آدم
وغيرهم وكذلك سائر الطيور والوحوش وكل ذى روح (ويروى) ان صفته كصفة
اسرافيل وانه جالس على سرير فى السماء السادسة وله أربعة أجنحة ممتدة من المشرق
الى المغرب * ويروى ان فى سائر جسده عيونا ناظرة الى كل ذى روح فاذا قبض روح
أحد عميت منه العين الناظرة اليه فاذا مات المخلوقون جميعهم ذهبت تلك العيون
كلها التى فى جسده ولم يبق الا عينه فيعلم انه لم يبق الا هو انتهى ما أوردناه على سبيل
الاختصار *(وأما أخبار الجان)* قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الجان هم ذكور
الجن وهم على أجناس مختلفة فمنهم أمم يقال لهم النهابر وأمم يقال لهم النهامر وهذه
الامة كبنى آدم يأكلون و يشربون و يتناسلون ومنهم المؤمنون والكافرون شيخهم
ابليس لعنه الله (ويروى) ان الله تعالى جعل سكان السماء الملائكة وجعل سكان

الارض الجان فلما شكت الوحش والطير من أفعال الجن والبن خلق الله تعالى الجان كما تقدم ذكره فلما خلق الجان أسكنهم الارض فلما سكنوا وتجاروا بوامع البن فقوى الجان عليهم فأهلكوهم عن آخرهم ولم يكن لهم بقية فبقى الجان فى الارض فتنا كحوا وتناسلوا حتى ملؤا الارض ثم وقع بينهم التحاسد والبغى وكثر فيهم سفك الدماء وشوش بعضهم على بعض فشكت الارض الى ربها فعند ذلك بعث الله اليهم جنودا من الملائكة ومعهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان رئيس الملائكة فطردا الجان من الارض فتوجهوا الى شعب الجبال وسكنوا بها فملك ابليس الارض منهم فكان يعبد الله تعالى فى الارض وفى السماء فأعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله على ما فى قلبه فقال عز من قائل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون وقول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنى كمن تقدم ذكرهم من الجن والبن فانهم كانوا يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء انتهى ذلك

❊ذكر قصة آدم عليه السلام❊ قال الثعلبى فى كتابه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أوحى الى الارض انى خالق من أديمك خلقا فمنهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام الى الارض ليأتيه بقبضة منها فلما أتاها جبرائيل أقسمت عليه وقالت انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أنك لا تأخذ منى شيأ يكون للنار فيه نصيب فلم يأخذ منها شيأ ورجع الى ربه وقال يارب قد استعاذت بك منى فكرهت أن آخذ منها شيأ فأمر الله تعالى ميكائيل أن يمضى اليها ويقبض منها قبضة من تراب فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لجبرائيل فبر قسمها ولم يأخذ منها شيأ فأرسل الله اليها عزرائيل فلما هبط اليها وكزها بحربة كانت معه فاضطربت فديده اليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لاخويه فقال لها أمر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الاربع من جميع أديمها من أسودها وأبيضها وأحمرها من سهلها وجبلها وأعاليها وأسافلها ثم أتى بتلك القبضة بين يدى الله تعالى فقال الله تعالى له لم لم ترحمها وقد أقسمت بى عليك فقال يارب امرك أوجب وخوفك أرهب فقال له اذا أنت ملك الموت وقابض الارواح ومنتزعها من الاشباح ولم يكن قبل ذلك ملك للموت قال فلما قبض منها ومضى بكت على ما نقص منها فأوحى الله اليها انى سوف أرد اليك ما أخذ منك وهو قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ثم ان الله تعالى أمر عزرائيل ان يضع تلك القبضة على باب الجنة فلما وضعها

أمر الله رضوان خازن الجنان أن يعجنها بماء التسنيم ثم أمر الله جبرائيل بأن يأتي بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض فخلق منها الانبياء ثم خلط الطين بالماء حتى صارت عجينة كبيرة وقد قيل في المعنى

يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجا ❊ ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أصبحت في كدر ❊ فانما أنت من ماء ومن طين

فلما عجنت تركت أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركت أربعين سنة أخرى حتى صارت صلصالا كالفخار ثم جعل من تلك العجينة جسدا مصورا وألقاه على طريق الملائكة التي تصعد منها وتهبط وترك أربعين سنة ملقى على تلك الهيئة قال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال ابن عباس الحين أربعون سنة (قال) الثعلبي ان الله تعالى لما عجن طينة آدم عليه السلام أمطر عليها سحائب الهموم والحزن أربعين سنة ثم أمطر عليها السرور والفرح سنة واحدة فلذلك صار الهم أكثر من الفرح والحزن أكثر من السرور وأنشد في المعنى

أي شيء يكون أعجب من ذا ❊ لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا ❊ والبلايا تكال بالصيعان

ثم ان الله تعالى أظهر آدم الى الوجود فكان طوله ستين ذراعا وجعل فيه ثلثمائة وستين عرقا ومائتين وأربعين عظما واثني عشر مفصلا وفي رأسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك وأتم خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين ❊ وقال أبو موسى الاشعري لما خلق الله فرج آدم قال هذا أمانتي عندك فلا تضعها الا في حقها قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله ثلاثة بيده الاول آدم والثاني شجرة طوبى والالواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون قال ولما كان آدم عليه السلام صلصالا كالخلقة كان ابليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم فمن تلك الضربة صار مكانها السرة فكانت السرة علامة من ضرب ابليس وان سبب ضرب ابليس ليعلم أهو مجوف أم صامد فلما رآه مجوفا دخل الى باطنه فاطلع على جميع أعضائه ظاهرا وباطنا وعلى عروقه الا قلبه فانه لم يطلع عليه أحد غير الله تعالى ومنع ابليس عن القلب لانه بيت الرب ولهذا قال ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم قال فلما أراد الله تعالى أن ينفخ في آدم الروح أمرها بان تدخل اليه من رأسه ولذلك سمي الرأس يافوخا ويروى ان الروح امتنعت من الدخول الى آدم فقالت يارب كيف أدخل الى مكان مظلم فناداها الرب جل وعلا ثلاث مرات وهي تأبى فدخلت في جسده كرها فأوحى الله اليها ادخلت طائعة لخرجت طائعة ولكن سبق لك في علمي من الازل أن

قد خلق كرها وتخرج كرها فلما دخلت الروح الى دماغه استدارت فيه مائة عام ثم نزلت الى عينيه فأبصر تا فنظر الى جسده وهو صلصال كالفخار ثم نزلت الى منخريه فشم الهواء فتنفس فعطس فنزلت الروح الى فيه ولسانه فألهمه الله حمده فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له يرحمك ربك يا آدم وهذا لك ولذريتك ولذلك سن تشميت العاطس (وروى) لما حمد الله آدم قال الله تعالى لهذا خلقتك يا آدم ثم نزلت الروح الى صدره واضلاعه وبطنه فصار آدم ينظر الى الروح وهي تنتقل وكلما انتقلت الى عضو يصير لحما وعظما وعروقا ودما فلما بلغت الروح الى ركبتيه أخذ يعالج القيام فلم يقدر عليه فقال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما عمت الروح سائر جسده قام وتحرك وتمايل وقد تمت خلقته باذن من يحيي العظام وهي رميم (قال) الحافظ اسمعيل السدي قرأت في الانجيل أشياء كثيرة فيها ان عدد ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس في كل ساعة ألف ومائتان وخمسون نفسا واعتبار ذلك من الغرائب * قال العزيزي ان الروح دخلت في جسد آدم يوم الجمعة وقد مضى من النهار سبع ساعات وهي من ساعات الآخرة ثم ان الله تعالى ألبسه من الجنة حلة خضراء من السندس وألبسه تاجا من الذهب مرصعا بالجواهر وله أربعة أركان في كل ركن منه درة عظيمة يغلب ضوؤها على ضوء الشمس وختمه بخاتم الكرامة ومنطقه بمنطقة الرضوان وسروله بسروال من السندس الاخضر ثم ظهر في جبهته نور ساطع كشعاع الشمس وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله أمر الملائكة أن تحمله على أكتافها ويطوفوا به في السموات السبع فحملته الملائكة فطافوا به مقدار مائة عام حتى رأى ما فيها من العجائب ثم أمر الله تعالى أن ينصب له منبر من الذهب وعلمه الاسماء كلها وهي قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الآية ثم ان آدم صعد المنبر وبيده قضيب من النور وذلك يوم الجمعة عند زوال الشمس فانتصب قائما وجمع الله له جميع الملائكة فقال آدم السلام عليكم يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته فقالت الملائكة وعليك السلام يا صفوة الله ورحمته وبركاته فقال الله يا آدم هذه تحية لك ولاولادك الى يوم القيامة فلما خطب آدم قال الحمد لله فصارت سنة في الخطبة فأول من خطب على المنبر آدم في يوم الجمعة ثم ان الله تعالى عرض الاسماء كلها على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فقال الله تعالى يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (قال) وهب بن منبه أول من أفشى السلام آدم وفي بعض الاخبار ما أفشى السلام قوم الا أمنوا من العذاب والنقمة ثم قالت

الملائكة المناهل خلقت خلقا أفضل منا فقال الله تعالى أنا الذى خلقته بيدى وقلت له كن فكان ثم ان الله تعالى أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فكان أول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم ان الله تعالى أمر ابليس بالسجود لآدم فأبى وامتنع من السجود فقال الله تعالى له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى فقال ابليس أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وأنا الذى عبدتك دهرا طويلا قبل أن تخلقه فقال الله تعالى لقد علمت فى سابق علمى منك المعصية فلم تنفعك العبادة اخرج من رحمتى مذموما مدحورا لاملأن جهنم منك وممن تبعك فقال ابليس عند ذلك رب أنظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين فعند ذلك تغيرت خلقته وصار شيطانا رجيما وكان اسمه عزازيل وكان من كبار الملائكة ماترك بقعة من السماء والارض الاولى فيها ركعة وسجدة ولكن بعصيانه لم تنفعه عبادته وسمى ابليس لانه أبلس من رحمة الله أى أيس وقد هجاه أبونواس بقول

عجبت من ابليس من كبره * وخبث ما أضمره من نيته

تاه على آدم فى سجدة * وصار عدوا لذريته

(سؤال) لطيف لم أهلك الله تعالى أعداء سائر الانبياء وأبقى ابليس وهو عدو آدم عليه السلام *(فالجواب)* ان الله تعالى أبقى ابليس امتحانا للخلق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أراد الله تعالى أن لا يعصى لما خلق ابليس وأيضا بقاؤه عقوبة للكافرين ورحمة للمؤمنين فيجيبهم الله بعصيانهم لابليس وأيضا ابليس سأل ربه الانتظار الى يوم البعث اهـ فلما نزل آدم عن المنبر جلس بين الملائكة فألقى الله عليه النوم لأن فيه راحة للبدن فلما نام رأى حواء فى منامه قبل أن تخلق فمال اليها حين نظرها ثم أخرجها من ضلعه الايسر فخلقت منه حواء على هيئته وأحسن الله خلقها وأعطاها حسن ألف حورية فكانت أحسن النساء اللاتى من بناتها الى يوم القيامة وكان لها سبعمائة ضفيرة من الشعر فكانت على طول آدم وألبسها الله من الجنة الحلى والحلل فكانت تشرق اشراقا أبهى من الشمس فانتبه آدم من منامه فوجدها بجانبه فأعجبته وألقى الله الشهوة فى آدم فهم بها فقيل له لا تفعل حتى تؤدى صداقها فقال وما صداقها قال قد نهيتك عن شجرة الحنطة فلا تأكل منها فهو صداقها وقيل ان الله تعالى قال أعطها صداقا قال وما صداقها قال الصلاة على نبيى وحبيبى محمد فقال آدم يارب وما يكون محمد قال انه من أولادك وهو آخر الانبياء ولولاه ما خلقت خلقا ثم ان الله تعالى مسح على ظهر آدم فاخرج منه ذريته كهيئة الذر ما بين أبيض واسود من ذكر وأنثى وأفاض عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور كان مؤمنا ومن

لم يصبه كان كافرا ومنهم طائفة لهم نور ساطع فقال يارب من هؤلاء قال الانبياء من
ذريتك يا آدم ثم زوج الله تعالى آدم بحواء وكان ذلك يوم الجمعة بعد الزوال ولهذا سن
عقد التزويج في يوم الجمعة * وقيل كان آدم أحسن من حواء ولكن كانت حواء
ألطف وألين ثم أوحى الله تعالى الى رضوان خازن الجنان أن يزخرف القصور ويزين
الولدان والحور وخلق لآدم فرسا من المسك الاذفر يسمى الميمون كالبرق الخاطف
فلما أحضر بين يدى آدم ركبه وأحضر لحواء ناقة من نوق الجنة وعليها هودج من اللؤلؤ
فركبت فيه على الناقة فأخذ جبرائيل عليه السلام بلجام الفرس ومشى ميكائيل
عن يمينه واسرافيل عن يساره وطافوا به في السموات كلها وهو يسلم على من يمر به من
الملائكة فتقول ما أكرمك من خلق الله على الله تعالى هذا وحواء على الناقة تطوف
معه الى أن اتوابها الى باب الجنة فوقفوا بها ساعة فأوحى الله تعالى الى آدم هذه جنتى
ودار كرامتى ادخلا فيها وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين وأشهد عليهما الملائكة ثم دخلا الى الجنة فطافت بهما الملائكة في الجنان
وأروهما أماكن الانبياء جميعهم فلما وصلا الى جنة الفردوس نظرا سريرا من الجوهر
وله سبعمائة قاعدة من الياقوت الاحمر وعليه فراش من السندس الاخضر فقالت
الملائكة يا آدم انزل ههنا أنت وحواء فنزلا وجلسا على ذلك السرير ثم اتوهما
بقطفين من عنب الجنة فكان كل قطف مسيرة يوم وليلة فأكلا وشربا ورتعا
في رياض الجنة فكان آدم اذا أراد المجامعة مع حواء دخل قبة من اللؤلؤ والزبرجد
واسبلت عليهما ستور من السندس والاستبرق فكانت حواء اذا مشت في القصور
كان خلفها من الحور ما لا يحصى (قال) ابن السنى ان أول شئ أكله آدم من فواكه الجنة
النبق وقال ابن عباس انما اكلا أولا العنب وآخر شئ اكلا منه الحنطة كما سيأتى
الكلام عليه وكان يشرب من خمر الجنة وكان اذا شرب به يجد سرورا زائدا فمن شرب من
خمر الدنيا لم يشرب من خمر الجنة (قال أبو نواس)

خمراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

قال وزارع الحنطة يعتريه الكد والتعب دائما في زرعها وفي حصادها الى ان تصير
دقيقا لانها أكلت أولا على العصيان (ويروى) ان المؤمنين أول ما يأكلون من الجنة
العنب وقال النيسابورى أول ما يأكلون من كبد الحوت الذى هو حامل الارض
حتى يعلم أهل الجنة بانقراض الدنيا اه قال وكان آدم يطوف في الجنة فاذا جاء الى
جهة شجرة الحنطة نفر عنها للعهد الذى بينه وبين الله تعالى بعدم الاكل منها
وكانت شجرة الحنطة أعظم شجر الجنة ولها سنابل وفيها الحب كل حبة قدر رأس
البعير وكانت أحلى من العسل وأبيض من اللبن ولما علم ابليس بدخول آدم وحواء

الى الجنـة وعلم ان آدم منع من أكل شجرة الحنطة أتى الى باب الجنة وأقام عنده نحوا
من ثلاثمائة سـنة وهى ساعة من ساعات الآخرة فكان ابليس ينظر الى من يأتى
الى جهة باب الجنـة قال فجاء طائر مليح الملبوس يقال له الطاوس وكان سيد طيور
الجنـة فلما رآه ابليس تقدم اليـه وقال أيها الطائر المبارك من أين جئت فقال من
بساتين آدم فقال له ابليس ان لك عندى نصيحة وأريد ان تدخلنى معك فقال ولم
لا تدخـل بنفسك فقال انما أريد أن ادخـل سرا فقال الطاوس لا سبيل الى ذلك
ولكننى آتيك بمن يدخلك سرا فذهب الطاوس الى الحية ولم يكن فى الجنـة أحسن
منها خلقا فكان رأسها من الياقوت الاحمر وعيناها من الزبرجد الاخضر ولسانها
من الكافور وقوائمها مثل قوائم البعير فقال لها الطاوس ان على باب الجنـة ملكا
من المكرمين ومعه نصيحة فاسرعت الحية اليه فقال لها هل لك أن تدخلينى الجنـة
سرا ولك منى نصيحة فقالت وكيف الحيـلة على رضوان فقال لها افتحى فاك ففتحته
فدخل فيه ابليس وقال لها ضعينى عند شجرة الحنطة فوضعته عندها فأخرج ابليس
مزمارا وزمر ترنـيرا مطربا فلما سمع آدم وحواء صوت المزمار جاآ اليه معا ذلك فلما وصلا
الى شجرة الحنطة قال ابليس تقـدم الى هـذه الشجرة يا آدم فقال انى ممنوع فقال
ابليس مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فان
من أكل من هـذه الشجرة لا يشيب ولا يهرم ثم أقسم بالله أنها لا تضرهما وانه لمن
الناصحين لهما فظن آدم انه لا يتجاسر احد على ان يحلف بالله كاذبا وظن انه من
الناصحين (وقد قيل فى المعنى)

ان من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد

فمن حرص حواء على الخلود فى الجنـة تقدمت وأكلت فلما نظر آدم اليها حين اكلت
ووجدها سالمة تقدم وأكل بعدها فلما وصلت الحبـة الى جوفه طار التاج عن رأسه
وطارت الحلل أيضا *(سؤال)* لاى شئ لما أكلت حواء من الشجرة لم تسقط الكسوة
عنها فى الحال وآدم حين أكل سقطت عنه فى الحال *(الجواب)* لو سقطت فى الحال
عن حواء لرجع آدم ولم يأكل وأيضا الدية على العاقـلة ولان الامر كان أولا لآدم
وقال بعض العلماء ان آدم أكل وهو ناس قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل
فنسى (وقيل فى المعنى)

لقد نسيتك والنسيان مغتفر * وان أول ناس أول الناس

فلما أكل آدم من الشجرة أوحى الله تعالى الى جبرائيل عليـه السلام بأن يقبض على
ناصية آدم وحواء ويخرجهما من الجنة فاخرجهما جبرائيل من الجنـة ونودى عليهما
بالمعصـية قال فكان آدم وحواء عريانـين فطافا على أشجار الجنة ليستترا باوراقها

فكانت الاشجار تنفر عنهما حتى رحمته شجرة التين فغطته فتستر بورقها وقيل غطته شجرة العود فلذلك أكرمها الله بالرائحة الطيبة وأكرم شجرة التين بالثمر الحلو الذى ليس له نوى وقيل غطته شجرة الحناء فلذلك صار أثرها طيبا مفرحا ولذلك سميت الحناء (قال) كعب الاحبار لما صار آدم عريان أوحى الله تعالى اليه اخرج الى لا نظرك فقال آدم يارب لا أستطيع ذلك من حيائى منك وخجلى ولهذا المعنى قيل

بفرد خطيئة وبفرد ذنب * من الجنات أخرجت البرايا
فكيف وأنت تطمع فى دخول * اليها بالالوف من الخطايا

(قال) ثم ان جبرائيل أخذ بيد آدم وهو عريان مكشوف الرأس فهبط به الى الارض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فأهبط على جبل من جبال الهند يقال له الرهوان وتقدمت صفة هذا الجبل بين ذكر الجبال (وأما حواء) فقد ذهب عنها حسنها وجمالها وابتليت بالحيض وانقطع عنها ذكر النسب فيقال أولاد آدم ولا يقال أولاد حواء لانها غرت آدم مع ابليس حيث ابتدأت بالاكل (وفى المعنى قيل)

وكم من أكلة منعت أخاها * بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

واهبطت حواء عند ساحل البحر المالح بجدة قال الله تعالى قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين * وأما ابليس اللعين فانه خرج عن طور الملائكة وصار شيطانا رجيما فلما أهبط من الجنة نزل بأرض العراق نحو البصرة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اهبط ابليس الى الارض نكح نفسه بنفسه فباض أربع بيضات ففرق فى كل قطر من الاقطار بيضة فجميع من فى الارض من الشياطين من تلك البيضات وقال مجاهد انه نكح الحية التى دخل فى جوفها فى الجنة حين أهبطت الى الارض فباضت الاربع بيضات (وأما الطاوس) فانه ذهبت عنه الجواهر وبعض الحسن وأهبط أيضا الى الارض ونزل فى أرض بابل وقيل بأرض انطاكية (وأما الحية) فمسخ شكلها وصار فيها السم وسببه ان ابليس اختبأ تحت أنيابها وأدخلته الى الجنة وخرس لسانها وصارت تمشى على بطنها زحفا ونزلت الى الارض بأصبهان (قال) ابن عباس كانت اقامة آدم وحواء فى الجنة مدة نصف يوم من أيام الآخرة وهو مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا فلما هبط آدم ألقى الله عليه النوم فنام فألقى الله النوم على جميع من فى الارض من الحيوانات الوحش والطير وكل شئ فيه روح ولم يكن قبل ذلك يعرف النوم فسمى ذلك اليوم يوم السبت فلما طلع النهار ورأى آدم الشمس وهى تدور مع الفلك تعجب من ذلك فلما تعالت فى الفلك أحرقت جسد آدم لانه كان عريان مكشوف الرأس فأتاه جبرائيل فشكا اليه من

ذلك فمسح على رأسه بيده فحط من ذلك الطول خمسة وثلاثين ذراعا قال قتادة كان آدم اذا عطش يشرب من السحاب ويروى أنه لما طلع الشعر على رأسه وطالت اظفاره أتاه جبرائيل فحلق رأسه وقص أظفاره ودفن ذلك فى الارض فانبت الله منه النخل ولهذا قيل اكرموا عماتكم النخل وقال ابن عباس مكث آدم فى الارض ثلاثمائة سنة لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى واقام يبكى نحو مائتى سنة فنبت العشب من دموعه وصارت الطيور والوحوش تشرب من دموعه ❊ ثم ان آدم شكا الى جبرائيل العرى وحر الشمس فمضى جبرائيل الى حواء ومعه كبش من الجنة فقص من صوفه ودفعه الى حواء وعلمها كيف تغزل الصوف فلما علمها وغزلته علمها كيف تنسجه فنسجت عباءة فأخذها جبرائيل ومضى بها الى آدم فستر بها جسده ولم يقل له هذه العباءة من عند حواء ثم انه شكا من الجوع لانه أقام أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب فمضى جبرائيل واتاه بثورين من الجنة احدهما اسود والآخر أحمر وعلمه كيف يحرث فحرث ثم أتاه بكف من الحنطة وعلمه كيف يزرع فزرع ❊ (نكتة) ❊ بينما آدم يحرث فى الارض اذ وقف أحد الثورين فضربه بعصا كانت بيده فأنطق الله تعالى ذلك الثور فقال لم ضربتنى فقال لاجل مخالفتك لى فقال له الثور لطف الله بك حيث لم يضربك حين خالفته فبكى آدم وقال الهى صار كل شئ يوبخنى حتى البهائم فأمر الله جبرائيل ان يمسح على لسان البهائم فاخرست وكانت البهائم تتكلم قبل هبوط آدم الى الارض فلما زرع آدم نبت فى الحال وأسبل وأدرك القمح من يومه فعلمه جبرائيل كيف يحصد فحصد ودرس وذرى فى الهواء فقال آدم لجبرائيل آكل فقال اصبر ثم قطع له من الجبل حجرين فطحن بهما فلما صار دقيقا قال آدم آكل فقال له اصبر ثم مضى وأتاه بشرارة نار من نار جهنم بعد ان غمسها فى الماء سبع مرات ولولا ذلك لاحرقت الارض ومن عليها ثم ان جبرائيل علمه كيف يخبز فخبز ثم قال لجبرائيل آكل فقال اصبر حتى تغرب الشمس فيتم لك الصوم فكان آدم أول من صام على وجه الارض فلما غربت الشمس ووضع آدم الرغيف بين يديه ومد يده ليأخذ من الرغيف لقمة فقفز الرغيف من بين يديه وسقط من أعلى الجبل فتبعه آدم وأخذه فقال له جبرائيل لو صبرت اتاك الرغيف من غير ان تقوم اليه ❊ ويروى ان آدم لما أكل من الرغيف ادخر منه النصف الى الليلة القابلة فقال له جبرائيل لولا انك فعلت ذلك لما كان أحد من اولادك يدخر فصار ذلك عادة لبنى آدم (وقيل) ان آدم لما أكل الخبز عطش فشرب عليه الماء فوجد فى نفسه تشكيا لم يكن يعهده فلما أتاه جبرائيل شكا له ذلك ففتق جبرائيل عن دبره فبال وتغوط من وقته قال ابن عباس رضى الله عنهما كان آدم اذا جاع نسى حواء واذا شبع تذكرها فقال يوما لجبرائيل يا جبرائيل هل حواء على قيد

الحياة أم ماتت فقال بل فى قيد الحياة وانها أصلح حالا منك لانها على ساحل البحر تصطاد الاسماك وتأكل منها فقال آدم يا جبرائيل انى رأيتها فى منامى فى هذه الليلة فقال جبرائيل يا آدم أبشر فقد أراك الله اياها الا لقرب الاجتماع قال ابن عباس رضى الله عنهما لما انقضت أيام المحنة عن آدم عليه السلام وتاب فتاب الله عليه وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قال بعض العلماء ألهمه الله أن يقول ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل ان آدم قال يارب بحق محمد الا ما غفرت لى خطيئتى فأوحى الله تعالى اليه وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه الا بعد فقال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت مكتوبا على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تقرن اسمك الا باسم من هو أحب الخلق عليك فقال صدقت يا آدم وقد غفرت لك خطيئتك اذ سألتنى بحق محمد قال الثعلبى ثم ان الله تعالى أوحى الى آدم بان ارحل من أرض الهند الى مكة وطف حول مكان البيت واسألنى المغفرة فأغفر لك خطيئتك * قيل ان الله تعالى أنزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وذلك مكان الحشفة البيضاء التى امتدت منها الارض كما تقدم وجعل من داخلها قناديل من ذهب تضىء بالنور ثم أرسل الله لآدم ملكا يقوده ويرشده الى طريق مكة وأنزل عليه عصا من شجر الآس طولها عشرون ذراعا وهى من أشجار الجنة فكان آدم يمشى فتطوى له الارض فصار كل مكان وضع عليه قدمه يصير قرية فلما دخل آدم مكة أوحى الله تعالى اليه أن يطوف بذلك البيت فطاف به سبعا مكشوف الرأس عريان الجسد وذلك سنة الحج فلما فعل ذلك آدم غفر الله له خطيئته وتاب عليه وصار الطواف يكفر الذنوب (وقيل فى المعنى)

خزيا لابليس فقد * نلنا الخلاص من يديه   وان فى طوافنا * دائرة السوء عليه

(وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ابليس اللعين قال يارب ان شأن عبادك عجيب أحبوك وعصوك وبغضونى وأطاعونى فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لأجعلن حبهم لى كفارة لطاعتك وبغضهم لك كفارة لمعصيتى انتهى قال ولما تاب آدم أمره الله تعالى ان يخرج الى عرفات فلما خرج الى عرفات وقف بها واذا بحواء أقبلت نحو آدم فاجتمعا على ذلك الجبل فمن يومئذ صار الوقوف على ذلك الجبل سنة الحاج وانما سمى عرفات لان آدم وحواء تعارفا فيه ثم ان آدم أقام فى مكة مدة يسيرة ثم ارتحل الى أرض الهند هو وحواء (وروى) ان المدة التى كانت بين آدم وحواء متفرقين خمسمائة عام * وروى ان آدم لما خرج من الجنة تستر بورق الجنة فلما صار فى الارض يبس الورق وتناثر على الارض فجميع ما فى الهند من الروائح الطيبة سببها

لك وقيل أنزل الله على آدم ثمانية أزواج من الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين
امره أن يشرب من ألبانها ويكتسي من أصوافها وكان آدم وحواء يبكيان على
ما فات من نعيم الجنة فخرج من دموعهما الحمص والفول (ويروى) ان آدم عليه السلام
شكا الى الله تعالى فقال يارب لا أعلم أوقات العبادة فأنزل الله اليه ديكا من الجنة
على قدر الثور العظيم وهو أبيض اللون فكان اذا سمع الديك تسبيح الملائكة في
السماء يسبح في الارض فيعلم آدم من ذلك أوقات العبادة ثم ان آدم غرس الاشجار
وحفر الآبار وعمر الدار ثم أنزل الله على آدم احدى وعشرين صحيفة فيها تحريم الميتة
والدم ولحم الخنزير وغير ذلك وأنزل عليه حروف الهجاء وهي تسعة وعشرون حرفا
تعلمها آدم لاجل أن يقرأ الصحف ولا يقدر أحد أن يزيد فيها حرفا واحدا فان حكم
لا له محكمة متقنة ﴿ومن النكت اللطيفة﴾ قيل ان صبيا صغير السن لقي أبا العلاء
المعري فقال له ألست القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه ✽ لآت بما لم تستطعه الاوائل

فقال أبو العلاء نعم قلت ذلك فقال الصبي ان الاوائل أتوا بحروف الهجاء تسعة وعشرين
فانت أنت بحرف واحد زيادة عن ذلك يحتاج الناس اليه وينطقون به فعند ذلك
سكت أبو العلاء ولم يتكلم بشيء فلما انصرف الصبي سأل عنه أبو العلاء فقيل له هو ابن
فلان فقال قريبا يموت فلم تمض أيام حتى مات الصبي فقال أبو العلاء ذكاؤه قتله ثم
رثاه بعض الناس بقوله

مولاى انى رأيت الدهر ذا عجب ✽ لا يستقيم لذى فضل على سنن
يقصى الذكي ويدني كل ذى حمق ✽ أو فاسد صالح للجل والرسن
مازال طبعا يعادى كل ذى فطن ✽ كأن حقا عليه بغضة الفطن

قال الثعلبي لما حملت حواء من آدم تحرك الجنين في بطنها الوقته ففزعت حواء وكانت
تقول من أين يخرج هذا المتحرك مني فلما ولدت وضعت اثنين ذكرا وأنثى فسمى
الذكر هابيل والانثى ليوثا فلما انقضى زمن الولادة وطهرت أراد آدم أن يواقعها فابت
لما رأت من ألم الولادة فلا زال بها حتى واقعها وقيل كانت ممانعة من محبته الذلك
ولكن تخاف من أمر الولادة كما ذكر الحكماء ان في الرجال شهوة واحدة وفي النساء
تسعة ولكن غلب الحياء عليهن فلم يظهرن شيأ من ذلك توفيقا وفي الحديث يتمنعن
وهن الراغبات قال وحملت حواء ثانيا فجاءت بذكر وأنثى في بطن واحدة فسماهما
قابيل واقليما ويقال ان مجموع ما ولدت حواء عشرون بطنا في كل بطن اثنان ذكر
وأنثى فكان لهما من الاولاد أربعون ولدا ذكورا وأناثا وقيل مائتا ولد ولم تلد في
بطن واحد غير شيث وكان في جبهته نور المصطفى صلى الله عليه وسلم (ويروى) أن

أولاد آدم لم يزالوا يتناسلون فى مدة حياته حتى بلغ عددهم نحوا من أربعين ألفا ذكورا وإناثا وهو قوله تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ❊ ويروى أن آدم لما تكاثر نسله صاروا يتشاجرون فأنزل الله تعالى لآدم عصا من الجنة ليؤدب بها أولاده اذا عصوه ولهذا يقال العصا من الجنة (قال) الثعلبى لما كبر قابيل فوض اليه آدم أمر الزرع وفوض أمر الغنم الى هابيل فأوحى الله الى آدم بأن يزوج اقليما هابيل وأن يزوج ليوثا بقابيل فأبى قابيل أن يتزوج بليوثا وقال لا أتزوج الا باقليما لانها ولدت معى فى بطن واحد وهى أحب الى من أخت هابيل وكان يومئذ نكاح الاخت جائزا لتكاثر النسل فعند ذلك قال آدم يابنى لاتعص الله فيما أمرنى به فقال لا أدع أخى أن يأخذ اقليما فقال آدم اذهب أنت وأخوك فقربا الى الله تعالى قربانا وليكن من أطيب ما عندكما ثم يقف كل منكما وينظر من يتقبل قربانه فهو أحق باقليما فرضيا بذلك وخرجا وتوجها الى مكة فصعدا على جبل من جبالها وقرب هابيل قربانا من خيار غنمه وقرب قابيل قمحا لم يدرك فى سنبله ثم وقف قابيل وهابيل ينتظران مايكون من أمرهما فنزلت من السماء غمامة بيضاء فأشرقت على قربان قابيل ثم أعرضت عنه ومالت الى قربان أخيه هابيل فاحتملته وصعدت به الى السماء وهو قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الآيتين فقال قابيل لاخيه ان تأخذها قتلتك ولا أدعك لاتخذ الحسناء وما أنا بآخذ أختك القبيحة وبقى قابيل متحيرا كيف يقتل هابيل فأتاه ابليس اللعين على صورة بعض اخوته فأخذ حجرين من الارض وضرب أحدهما بالآخر فانفلق الحجر نصفين وقابيل ينظر الى ذلك فقال لم لا أفعل بهابيل كذلك فنهض قابيل من وقته وأتى الى أخيه هابيل فوجده قائما تحت جبل من الجبال فعمد قابيل الى صخرة فاحتملها وألقاها على رأس اخيه فقتله ومات وهو أول من قتل ظلما من أولاد آدم وكان عمره عشرين سنة فلما قتله بقى متحيرا كيف يصنع به فجعله فى جراب وحمله على ظهره وطاف به الارض وكانت السباع والطيور تحوم حوله وتنتظر متى يتركه لتأكله حتى بعث الله له غرابين فقتل احدهما الآخر فلما قتله حفر له الارض بمنقاره وبرجله ووضعه فى الحفرة ورد عليه التراب فعند ذلك قال قابيل ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة اخى فأصبح من النادمين قال بعض المفسرين لم يندم قابيل على القتل ولكنه ندم على حمله حيث حمله قبل حمله سنة ولم يدر كيف يصنع به (قال) صاحب مرآة الزمان ان ارباب النجوم يذكرون أن كوكب الذنب لم يظهر فى الدنيا الا عند قتل هابيل وعند القاء ابراهيم الخليل فى النار وعند هلاك قوم عاد وعند غرق فرعون واستمر من يومئذ لا يظهر الا عند ظهور امر من طاعون

أو قتل ملك من الملوك وقد ظهر في أول الاسلام عند غزوة بدر الكبرى وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهذا أمر قد جرب والله أعلم (قال) الثعلبي لما قتل هابيل تزلزلت الارض وهي أول زلزلة وقعت في الارض وكانت في اليوم تتزلزل سبع مرات الى سبعة أيام من قتل هابيل وفي ذلك كسفت الشمس وهو أول كسوف وقع في الدنيا قال الثعلبي لما قتل هابيل نبت الشوك في الاشجار وتغير طعم الفواكه وملح طعم الماء وكان آدم بأرض الهند ولم يكن عنده علم بقتل ابنه هابيل وكان يحبه قال ابن عباس لما قتل قابيل أخاه هابيل كان في جبل قاسون في مغارة الدم فشربت الارض الدم فأوحى الله الى قابيل اين أخوك فقال لا أدري فأوحى الله اليه ان صورة دم أخيك تنادي من الارض بأنك قتلته فقال قابيل يارب وأين دمه فمن يومئذ حرم الله على الارض ان تشرب الدماء جميعها ولما رأى آدم ضيقا في صدره خرج في الارض ليرى ما حدث فيها فلما وصل الى جهة أولاده رأى ابنه هابيل قد قتل وأخذ قابيل الاغنام وتزوج باقليما فعند قدوم آدم هرب قابيل وساح في الارض خوفا من أبيه وفي ذلك يقول القائل

من فتنة النسوان كم يعصي الفتى * أمر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن لم يك بائعا * للروح منه بأبخس الاثمان
قابيل لولاهن لم يقتل أخا * ولا رضي بالذل والعصيان
وبهن صار لآدم مع يوسف * فيما حكاه الله في القرآن
وكذاك هاروت ببابل منكس * ومعلق بالرجل في الجذعان
مجنون ليلى جن في حب النسا * كل الاذى يأتي من النسوان
فترى البلا منهن لا يأتي والوفا * منهن لا يأتي مدى الازمان
كن ما استطعت من النساء بمعزل * ان النساء حبائل الشيطان

(ومن النكت اللطيفة) ما حكي أن بعض الملوك كان مغرما بحب النساء وكان له وزير ينهاه عن ذلك ولا زال ينهاه حتى قصر عن نسائه وجواريه فلما رأت النساء من الملك التقصير سألنه عن ذلك وألحن عليه في الجواب فقال ان الوزير هو الذي ينهاني عنكن فعند ذلك أبرزت النساء جارية حسناء لم يكن عند الوزير مثلها ولا رأى قط أجمل منها وسألن الملك أن يهبها للوزير وكن قد أمرنها بأن تمانع الوزير ولم تتركه يفعل شيأ حتى تضع على ظهره سرجا وفي فمه لجاما وتركب على ظهره في ليلة معينة واعلمن الملك ذلك وسألنه أن يهجم على الوزير في تلك الليلة فأجابهن الملك الى ذلك كله وأعطى الوزير الجارية فأراد الوزير أن يواقعها فتمنعت ولم يجد الصبر عنها فقالت له ان كنت تفعل ما آمرك به مكنتك من نفسي فقال لا أخالفك في شئ فقالت له ائتني بسرج

وبجام ففعل فلما حضر أسرجته والجمته وركبت على ظهره فبيناهما على ذلك واذا بالملك قد هجم عليهما ورآهما على تلك الحالة فقال للوزير ألم تكن تنهانى عن حب النساء وهذه حالتك معهن فقال الوزير أعز الله الملك كنت أخاف عليك أن يقع لك معهن مثل هذا الحال حتى وقعت أنا فيه فضحك منه الملك وعفا عنه وانصرف (قال) فلما تحقق آدم قتل ولده بكى ولما تحققت حواء ذلك صرخت فصار ذلك سنة فى اولاده ما المصيبة وأنشأ آدم يرثى ابنه فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح
فمالى لا أنوح بسكب دمع * وأجفان مسهدة قروح
قتل قابيل هابيلا أخاه * فواأسفا على الوجه الصبيح

وقيل هذا اول شعر قيل فى الارض واجمع أهل التواريخ على صحة ذلك ما عدا الشيخ ابا الفرج بن الجوزى فانه ينكر ذلك ويقول ان آدم لم ينطق بالشعر ومما يؤيده انه كان سريانيا وان صح فانها كلمات سريانية وعربت ابيات شعر اه قال الثعلبى لما علم آدم بقتل هابيل اقام سنة لا يضحك ولا يطأ حواء فأوحى الله تعالى اليه يا آدم الى كم هذا البكاء والحزن انى معوضك عن هذا الولد بولد يكون صديقا نبيا واجعل من نسله الانبياء الى يوم القيامة وعلامته انه سيوضع وحده فى بطن واحد فاذا ولد فسمه شيثا ومعناه بالسريانية عبد الله فلما حملت به حواء لم تجد لحمله ثقلا وولدته من غير مشقة ولما ولدت حواء شيثا كان ما مضى من قتل قابيل مائة سنة ذكر الثعلبى انه لما ولد شيث وكبر اعتزل آدم الى عبادة ربه وقراءة الصحف وصار شيث يتولى امر اخوته ويقضى بينهم بالحق فبينما آدم فى خلوته يعبد الله تعالى اذ اوحى اليه يا آدم أوص ولدك شيثا بما أوصيتك به فانى مذيقك الموت الذى كتبته عليك وعلى أولادك الى يوم القيامة ففزع آدم من هذا المقال وقال يارب ما هذا الموت الذى توعدنى به ثم ان آدم أحضر شيثا وأوصاه بشئ كثير حتى أعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم وعلمه أوقات العبادة من الليل والنهار وأخرج له سمطا من حرير أبيض كان فيه صور الانبياء ومن يملك الدنيا الى يوم القيامة وكان هذا السمط أنزل على آدم من الجنة فعرضه على شيث وامره ان يطويه ويضعه فى تابوت ويقفل عليه ثم ان آدم عمد الى شعرات من لحيته ووضعهن فى التابوت وقال يابنى خذ هذه الشعرات فاذا دهمك امر فاحملها معك فانك تظفر باعدائك ما دامت هذه الشعرات معك واذا رأيتها قد ابيضت فاعلم بان اجلك قد قرب وتموت فى تلك السنة ثم ان آدم نزع خاتمه ودفعه الى شيث وسلمه التابوت والصحف التى انزلت عليه وقال له يابنى حارب اخاك قابيل فان

الله ينصرك عليه انتهى ذلك (ويروى) أن آدم عاش من العمر ألف سنة من حين أهبط الى الارض وقد قال القائل فى المعنى شعرا

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
قد ذقت شدة أيامى ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل

(ومن الاخبار العجيبة) ما روى ان ابليس أتى الى موسى بن عمران عليه السلام وقال له اذا ناجيت ربك فاشفع لى عنده وسله هل لى عنده من توبة اذا تبت فلما ناجى موسى ربه قال الهى هل تقبل توبة من ابليس اذا تاب فقال الله عز وجل يا موسى سبق فى علمى انه لم يتب ولكن أنا التواب الرحيم فان تاب يسجد لآدم فان سجد له على قبره قبلت توبته فلما رجع موسى أتى اليه ابليس وقال يا موسى ما صنعت بحاجتى فقال له موسى ان الامر معلق على سجودك عند قبر آدم له فقال أنا ما سجدت له وهو حى فكيف أسجد له وهو ميت (وروى) أن ابليس اذا مات عند ميعاده يرسل الله اليه ملائكة من أعوان عزرائيل ليقبضوا عليه لاجل قبض روحه فينهزم ابليس فى جهات البر والبحر فلم يجد له ملجأ حتى يأتى عند قبر آدم فيسجد له فيقال له ان الله تعالى غلق باب التوبة فلم يقبل منك فيتحقق عدم القبول فيقول تجاهلا لو علمت أن هذا قبر آدم لما وقفت هنا وسجدت فتقبض عليه الملائكة ويقبض عزرائيل روحه أشد القبض (ويروى) اذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يأمر الله تعالى أن يخرج ابليس من النار فى كل مائة ألف سنة مرة ويخرج آدم من الجنة ويأمر الله ابليس أن يسجد لآدم فيأبى ابليس عن ذلك فيرده الله الى النار ويرد آدم الى الجنة وقد قال الله تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين انتهى ما أوردناه من قصة آدم عليه السلام على سبيل الاختصار

(قصة شيث بن آدم عليهما السلام) قال وهب بن منبه لما توفى آدم كان شيث ابن أربعمائة سنة وكان قد أعطاه التابوت والسمط وسيفه وفرسه الميمون الذى نزل اليه من الجنة وكان اذا صهل أجابته دواب الارض بالتسبيح وأوصاه بالقتال مع أخيه قابيل فخرج شيث لقتال أخيه قابيل فحاربه وهو أول حرب جرى فى الارض بين بنى آدم فانتصر شيث وأسر قابيل فقال قابيل وهو أسير احفظ يا شيث ما بيننا من الرحم فقال له لاى شئ لم تحفظه وقتلت أخاك هابيل ثم أخذه شيث وغل يده فى عنقه وأوقفه فى الحر حتى مات فأراد أولاده دفنه فجاءهم ابليس فى صورة ملك من الملائكة وقال لاولاده لا تدفنوه فى الارض ثم أتاهم بحجرين من البلور وجوفهما وأمر أولاده بأن يدخلوا قابيل بين الحجرين من البلور ويلبسوه أفخر الثياب ويدهنوا جسده بأدوية مفردة حتى لا يجف ثم أمر أولاده أن يوقفوه فى بيت وهو على كرسى من ذهب

وأمر كل من يدخل عليه أن يسجد له ثلاث سجدات وأمرهم بان يجعلوا له في كل سنة عيدا ويجتمعوا حوله ثم ان ابليس وكل به شيطانا فكان يكلمهم فأقام الناس يسجدون لقابيل مدة من الزمان ثم رجع شيث الى الهند وأقام يقضي بين الناس بالحق (قال) وهب بن منبه ان حواء زوجة آدم توفيت في زمن ابنها شيث ولم تقم بعد آدم غير سنة وكان موتها في يوم الجمعة في الساعة التي خلقت فيها وقال انها دفنت الى جانب قبر آدم عليه السلام ثم انزل الله على شيث خمسين صحيفة وهو أول من نطق بالحكمة وأول من أخرج المعاملة بالذهب والفضة وأول من أظهر البيع والشراء واتخذ الموازين والكيل وهو أول من استخرج المعادن من الارض ثم ان شيثا ولد وولدا ذكرا سماه أنوش وكان شيث في جبهته نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي انتقل اليه من آدم فلما ولد أنوش انتقل النور الى جبهته فعلم شيث أن أجله قد قرب فنظر الى الشعرات فوجدها قد ابيضت فمات شيث في تلك السنة وكان له من العمر تسعمائة سنة

❋ذكر قصة أنوش بن شيث❋

(قال) وهب بن منبه لما مات شيث استخلف بعده ابنه أنوش وتسلم التابوت والسمط والصحف والخاتم فسار في احسن سيرة وقضى بالحق ثم تزوج انوش بامرأة فحملت منه بولد فلما ولدته صار النور في وجهه وسمته قينان فاستمر أنوش على ذلك حتى حضرته الوفاة فسلم التابوت والصحف الى ابنه قينان وأوصاه واستخلفه بعده

❋ذكر قصة قينان بن أنوش❋ قال وهب بن منبه لما استخلف قينان بعد أبيه أنوش ظهر بين قومه بالعدل وسار سيرة حسنة ثم تزوج بامرأة يقال لها عطنوك فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سمته مهلائيل فانتقل النور الى جبهته ثم ان قينان مرض مرض الموت فسلم ابنه مهلائيل التابوت والصحف واستخلفه من بعده ❋ثم مات مهلائيل وانتقل النور الى ابنه يرد ❋ثم مات يرد فانتقل النور الى ولده أخنوخ وهو ادريس عليه السلام قال وهب بن منبه ما سمي ادريس الا لكثرة دراسته في الصحف (قال) ابن عباس بعث الله ادريس الى بني قابيل وكانوا يعبدون الاصنام وحادوا عن توحيد الله تعالى واتخذوا لهم خمسة أصنام يعبدونها من دون الله وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التي ذكرها الله في القرآن العظيم فلما تزايد أمرهم بعث الله اليهم ادريس عليه السلام فكان يدعوهم في الجمعة ثلاثة أيام وكان ادريس عنده شدة بأس وصلابة في أمره ونهيه وهو أول من خط بالقلم وأول من كتب الصحف وأول من نظر في علم النجوم والحساب وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان اذا خاط شيأ يسبح الله عند كل غرزة من الابرة فاذا غفل وخاط وفتق ما خاطه بغير تسبيح وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يخيط للناس بالاجر

وهو أول من صنع المكيال * قيل قبل زمن ادريس كان الناس يلبسون الاوعية بغير خياطة فلما صنع ادريس الخياطة وخاط استحسن الناس ذلك ولبسوا المخيط ثم أنزل الله على ادريس ثلاثين صحيفة فكان لا يفتر عن قراءتها ليلا ونهارا وكانت الملائكة تأتى لمصافحة ادريس وكان يرفع كل يوم لادريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى تعجبت منه الملائكة وحسده ابليس اللعين على ذلك ولم ير له عليه سبيلا (ويروى) أن ملك الموت استأذن ربه بان يزور ادريس فأذن له فى زيارته فأتى اليه فى صورة رجل فقال له ادريس من أنت أيها الرجل فقال له أنا ملك الموت استأذنت ربى فى زيارتك فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس ان لى اليك حاجة قال وماهى قال أن تقبض روحى فى هذه الساعة فقال له ملك الموت ان ربى لم يأذن لى بذلك فأوحى الله الى ملك الموت انى علمت مافى نفس عبدى ادريس فاقبض روحه فقبضها فى الحال ثم ان الله تعالى أحياه فى الحال فقال يا ملك الموت بقى لى حاجة أخرى فقال ماهى قال ادريس ان تمضى بى الى جهنم لانظر أحوالها فأذن الله له بذلك فحمله ملك الموت وأتى به الى مالك خازن النار فأوحى الله الى مالك خازن النار بان أوقف عبدى ادريس على شفير جهنم لينظر مافيها فلما وقف ادريس ونظر غشى عليه من أحوالها فجاء اليه ملك الموت واحتمله الى مكانه الذى أخذه منه فصار ادريس من ذلك اليوم لا تكتحل عينه بمنام ولا يهنأ بطعام ولا بشراب ولا يقر له قرار من الهول الذى رآه فى النار ثم ان ادريس انعكف الى عبادة الله تعالى وتزوج بامرأة فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سماه متوشلخ وانتقل النور الذى كان فى جبهة ادريس الى جبهة ابنه متوشلخ فلما كبر عهد اليه ادريس وسلمه الصحف والسمط والتابوت وأوصاه بقراءة الصحف ولزوم الصلاة وقال له يابنى انى صاعد الى السماء ولا أعلم هل أرجع أم لا فاقبل منى ما أوصيتك به ثم ان ادريس دخل الى محرابه وسأل الله أن يريه الجنة كما أراه النار فأوحى الله الى رضوان خازن الجنان بان يدلى الى ادريس غصنا من أغصان الجنة فادلى له رضوان غصنا من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد الى السماء فادخله رضوان الى الجنة فرأى مافيها من النعيم فلما أطال ادريس الجلوس فى الجنة قال له رضوان اخرج فقد نظرت الجنة ومافيها فقال له ادريس ما أنا بخارج منها وقد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وماهم منها بمخرجين فما أنا بخارج منها فاوحى الله تعالى الى رضوان قل لعبدى ادريس لا يخرج منها أبدا (قال) وهب بن منبه رفع ادريس الى السماء وهو ابن ثلاثمائة وخمسة وستين سنة قال ابن الجوزى ان ادريس وعيسى ابن مريم حيان فى السماء وادريس فى السماء الرابعة تارة يعبد الله فى السماء وتارة

يتنعم فى الجنة قال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا (قال) الكتانى لما رفع ادريس الى السماء وعلمت الملائكة أنه لا يبرح منها قالت الملائكة الهنا وسيدنا ومولانا ما كان لهذا العبد الخاطئ أن يصير فى مقام الملائكة المقربين فأوحى الله اليهم انكم قد عيرتم بنى آدم بفعلهم فلو ركبت فيكم ما ركبت فيهم من الشهوة وقدرت عليكم ما قدرت عليهم من الخطايا لفعلتم أعظم من فعلهم فقالوا سبحانك ربنا ما ينبغى لنا أن نعصيك فأوحى الله تعالى اليهم بأن يختاروا منهم ملكين من خيارهم ليهبطهم الى الارض و يركب فيهم الشهوة مثل ما ركب بها فى بنى آدم فاختارت الملائكة ملكين من خيارهم يقال لهما هاروت وماروت فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما بأن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك بالله وعن قتل النفس بغير حق وعن الزنا وعن شرب الخمر فجعلا يقضيان بين الناس بالحق بالنهار فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم فيصعدان الى السماء فاستمرا على ذلك شهرا واحدا فأتت اليهما امرأة من أجمل النساء فى الحسن والجمال والقد والاعتدال لابسة من أفخر الثياب وكان اسمها الزهرة وكانت من أهل فارس وتحكم على عدة مدن فدخلت على هاروت وماروت وهى فى زينتها وقد أسبلت شعرها من خلفها وأسفرت عن وجهها ثم شكت الى ذينك الملكين من خصمها فلما رأياها افتتنا بها فلما انصرفت عادت اليهما فى اليوم الثانى فصار كل واحد منهما يحدث صاحبه بما عنده من الشغف بها فلما تزايد بهما الامر راوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت اليهما فى اليوم الثالث فراوداها عن نفسها فأبت وقالت لهما لا أمكنكما مما أردتما حتى تفعلا ما أريد أريد أن تسجدا للصنم وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذا فان الله تعالى نهانا عنه فأبيا عن ارادتها وأبت عن ارادتهما وانصرفت عنهما فزاد بهما الوجد فتوجها الى بيتها وطرقا عليها الباب فرحبت بهما فدخلا عليها فأحضرت لهما طعاما فأكلا منه ثم راوداها عن نفسها فقالت انكما تعلمان ما أردت منكما فقالا ان الشرك لظلم عظيم والقتل عظيم وأما شرب الخمر فانه أهون من هذه الاشياء ثم نستغفر الله ولم يعلما أن الخمر أم المعاصى فتقدما وشربا الخمر فلما انتشيا وقعا على المرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوفا من أن ينم عليهما فأمرتهما أن يسجدا للصنم فسجدا وكفرا ❀ وقيل فيه

تركت المدام وشرابه ❀ وصرت صديقا لمن عابه

شراب يضل سبيل الهدى ❀ ويفتح للشر أبوابه ❀

(قال) فلما فعل هاروت وماروت هذه الفعال ووقعا فى الذنوب أرادا أن يصعدا الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا نبى الله ادريس عليه السلام

فاخبراه

فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما عند الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ببابل فهما يعذبان فى جب معلقان بشعورهما منكسان على رؤسهما فى سلاسل من حديد يعذبان بالعطش وبين لسانيهما وبين الماء مقدار يسير كعرض الاصبع وجميع دخان الدنيا داخل فى أنفيهما زيادة فى عذابهما وأعينهما شاخصة مزرقة ووجوههما مسودة وهما فى هذا الحال الى يوم القيامة (ويروى) أن رجلا أتى اليهما من أرض بابل ليتعلم منهما شيأ من السحر فلما دخل عليهما ذلك الرجل رآهما فيما ذكرناه فقال الرجل أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما سمعاه قالا له من أى أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقالا له أبعث محمد قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الفرح فقال لهما قد أظهرتما الفرح عند ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فقالا نعم انه نبى يبعث بين يدى الساعة وانه قرب فرجنا اه (قيل) لما رفع ادريس عليه السلام الى السماء تولى بعده ابنه متوشلخ فحكم بين الناس بالحق ولما توفى متوشلخ سلم التابوت والصحف الى ابنه لامك قال الكسائى كان لامك شديد البأس وكان عنده صلابة وقوة فكان يقلب بيديه الصخرة العظيمة ويقلعها من الجبل ❊ ومما وقع له ❊ أنه خرج ذات يوم الى الفضاء فرأى امرأة حسناء وبين يديها غنم ترعاها فأعجبته فتقدم وسألها عن اسمها فقالت أنا قينوسة بنت اكيل من أولاد قابيل بن آدم فقال لها ألك بعل قالت لا فقال لها أنت صغيرة ولو كنت بالغة لتزوجت بك وكان البلوغ يومئذ مائتى سنة فقالت الصحيح أنا بنت مائتين وعشرين سنة فانطلق واخطبنى من أبى فلما سمع لامك بذلك الكلام مضى الى أبيها وخطبها منه فزوجها له فلما دخل عليها حملت منه ووضعت له ولدا ذكرا فسماه يشكر وقيل عبد الغفار وهو نوح قال وهب بن منبه فلما كان وقت ولادتها وضعته فى مغارة وأرادت الانصراف عنه خوفا من ملك ذلك الزمان فانه كان يحجر على النساء ويقتل الاطفال عمدا فلما وضعته ذهبت عنه وهى تنوح عليه فناداها يا أماه لا تخافى على فان الذى خلقنى يحفظنى فعند ذلك انصرفت مطمئنة فأقام فى تلك المغارة أربعين يوما فى هذه الاربعين يوما مات الذى كان يقتل الاطفال فحمله بعض الملائكة ووضعه فى حجر امه فاذا بالنور الذى كان فى جبهة أبيه لامك انتقل الى جبهة ابنه عبد الغفار وهو نوح عليه السلام فأخذت أمه فى تربيته حتى كبر وانتشا فتعلم صنعة النجارة وأتقنها وكان يرعى الغنم لقومه بالاجرة فأقام على ذلك مدة طويلة حتى توفى أبوه لامك فاستخلفه من بعده وسلم اليه الصحف والتابوت والسبط

ذكر قصة نوح عليه السلام وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن ادريس عليه السلام قال الكسائي كان اسمه عبد الغفار او يشكر وسبب تسميته نوحا ما قيل انه رأى كلبا له أربعة أعين فقال نوح ان هذا الكلب شنيع فقال له الكلب يا عبد الغفار أتعيب النقش أم النقاش فان كان العيب على النقش فان الامر لو كان الي لم أختر أن اكون كلبا وان كان العيب على النقاش فهو لا يلحقه عيب لانه يفعل ما يشاء فكان كلما ذكر ذلك ينوح ويبكي على خطيئته وذنبه فلكثرة نوحه سمي نوحا رواه السدي قال وهب بن منبه لما أتى على نوح من العمر أربعمائة وثمانون سنة أتاه جبرائيل عليه السلام فقال له نوح من أنت أيها الرجل البهي فقال له جبرائيل أنا رسول رب العالمين جئتك بالرسالة من عنده وقد بعثك الله الى قومك وهو قوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ثم ان جبرائيل ألبسه لباس المجاهدين وعممه بعمامة النصر وقلده بسيف العزم ثم قال له امض الى عدو الله درمشيل بن فوميل بن جيج بن قابيل بن آدم وكان درمشيل جبارا عنيدا وهو أول من اعتصر الخمر وشربها وهو أول من لعب بالقمار وأول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب وكان هو وقومه يعبدون الاصنام الخمسة وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهي التي ذكرها الله في القرآن العظيم وكان حول هذه الاصنام ألف وسبعمائة صنم وكان لهم بيوت مبنية بالرخام الملون طول كل بيت ألف ذراع وعرضه كذلك وكان لهذه الاصنام كراسي من الذهب فيها أنواع الجواهر الفاخرة وكان لها خدام يخدمونها بالليل والنهار وكان لها عيد معلوم في السنة يجتمعون فيه فخرج اليهم نوح في ذلك اليوم وكانوا يوقدون النار حول تلك الاصنام ويقربون اليها القربان ثم يسجدون بين يديها تعظيما لها وكانوا يخرجون بأصناف الملاهي ويضربون بالصنوج ويرقصون عندها ويشربون الخمر ويزنون بالنساء جهارا من غير ستر ويركبونهن كالبهائم بين الناس فلما خرج اليهم نوح ووقف على تل عال ورفع رأسه الى السماء وقال الهي أسألك أن تنصرني عليهم بنور محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا مما لا يحصون لكثرتهم ثم ان نوحا وقف على ذلك التل ونادى بأعلى صوته يا أيها القوم اني قد جئتكم من عند رب العالمين ادعوكم لعبادته وأنهاكم عن عبادة الاصنام فلما صاح نوح هذه الصيحة بلغ صوته الى المشرق والمغرب وسقطت الاصنام عن كراسيها وفزع من كان حولها من الخدام وغشي على الملك درمشيل فلما أفاق من غشيه قال لمن حوله ما الذي سمعتموه من الصوت فقالوا هذا صوت رجل يقال له نوح وهو مجنون وفي عقله خلل فقال الملك ائتوني به فجاءت اليه أعوان الملك فأخذوه وأوقفوه بين يدي الملك فقال له الملك من أنت قال أنا نوح رسول رب العالمين قد

جئتكم بالرسالة لتؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة هذه الاصنام فقال له الملك ان كان بك جنون نداويك وان كنت فقيرا نواسيك وان كنت مديناً قضينا عنك دينك فقال نوح ما بي جنون ولا أنا فقير ولا على ديون وانما أنا رسول رب العالمين فكان نوح عليه السلام أول المرسلين وهو من أولى العزم وقد بعثه الله الى بنى قابيل لما تمادوا على عبادة الاصنام وأظهروا الشرك بالله فدعاهم الى توحيد الله وأن يقولوا لا اله الا الله وأن نوحا رسول الله فلما سمع الملك كلامه غضب عليه وقال لولا انه يوم عيد لقتلته شر قتلة (وروى) انه آمن بنوح فى ذلك اليوم امرأة يقال لها عمرة فتزوجها فولدت منه ثلاثة أولاد ذكور وهم سام وحام ويافث وولدت له ثلاث بنات وهن حصوة وسارة وبحورة ثم آمنت به امرأة أخرى يقال لها والعب بنت عجويل فتزوجها فولدت له ولدين وهما بانوس وكنعان ثم انها عادت الى دينها بعد اسلامها ثم آمن به من الرجال والنساء نحو من سبعين انسانا فصار نوح يخرج الى القوم فى كل يوم وينادى ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره لاشريك له فيخرج اليه القوم من بيوتهم فيضربونه بالعصى والنعال فيغشى عليه ويغيب عن الدنيا فيجرونه من رجله ويلقونه على المزابل ولما يفيق يمسح الدماء عن وجهه ويصلى ركعتين ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فأقام على ذلك نحوا من ثلاثمائة سنة ثم ان الملك درمشيل هلك وأقام بعده ابنه توبين فكان أطغى من أبيه فصار نوح يدعوه لما كان يدعو أباه من قبله اليه واستمر نوح يدعو قومه الى أربعمائة سنة حتى دخل عليه القرن الخامس والقوم على حالهم وكانوا كلما سمعوا صوت نوح عليه السلام يضعوا أصابعهم فى آذانهم كما أخبر الله العظيم فى القرآن الكريم وكان قومه يجمعون له الحجارة فوق الاسطحة فاذا مر عليهم يرمونه بها فيغشى عليه فيظنون أنه قد مات فكانت الطيور تروح عليه بأجنحتها اذا غشى عليه فيفيق فلا زال كذلك حتى مر عليه ست قرون ودخل فى القرن السابع وهلك الملك توبين واستخلف من بعده ابنه طفردوس فكان أشد طغيانا من ابيه فصار كلما يدعوهم يرمونه بالحجارة كما تقدم ثم أوحى الله تعالى الى نوح انه لم يبق فى أصلاب الرجال ولا فى بطون النساء مؤمن يجيب دعوتك وقد أعقمهم الله تعالى فعند ذلك دعا عليهم نوح بأن الله لا يبقى احدا منهم كما أخبر الله تعالى عنه بقوله رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فانفتحت ابواب السماء لدعوته وهاجت عندها الملائكة قال فعند ذلك اوحى الله اليه ان اصنع الفلك الآية فقال نوح يارب وما الفلك قال هو بيت من الخشب يجرى على وجه الماء فأمره ان يغرس فى الارض خشب الساج وقيل هو الابنوس وأمره ان يغرسه بأرض الكوفة فغرسه فأقام اربعين سنة حتى ادرك وامر السماء أن تمنع القطر وامر

الارض أن تمنع النبات ففي تلك المدة لم ينزل من السماء قطرة ولم يخرج من الارض عشبة ولم تلد امرأة ولا بهيمة ولا وحش ولم يفرخ طير وذلك لاقامة الحجة على الناس قبل نزول العذاب فأمر الله نوحا عليه السلام أن يتوجه الى الكوفة وينقل خشب الساج فبقي نوح متحيرا كيف ينقل الخشب فأوحى الله اليه ان عوج بن عنق يحمل ذلك * قال الكسائي ان عنق أم عوج كانت من أولاد آدم وكانت شنيعة المنظر قبيحة الشكل وكانت ساحرة ماهرة فولدت عوجا ثم ماتت بعد ولادتها بمائة سنة فلما كبر عوج كان عظيم الخلقة طوله ستمائة ذراع بالذراع القديم وهو ذراع ونصف الآن وكان عرضه مثل ذلك حتى قيل انه لما جاء الطوفان لم يجاوز الى ركبته وكان اذا جلس على الجبل يمد يده الى البحر فيأخذ منه السمك ويشويه في عين الشمس وكان اذا غضب على قرية يبول عليهم فيغرقهم * وقيل انه سلط على أهل قرية فقالوا له نحن نكسوك قميصا ولا نأخذ منك ثمنه الا بعد سنة فتخارج أهل تلك القرية وصنعوا له قميصا من القطن فالبسوه اياه فمضى عنهم فكان كلما قصد أن يمر عليهم يذكر ما عليه من الدين فيرجع عنهم ولا يدخل اليهم خوفا من الدين (ويروى) ان عوج بن عنق عاش من العمر أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة وأدرك أيام موسى فلما دخل موسى الى التيه ومعه بنو اسرائيل قصد عوج أن يهلكهم فجاء الى جيش موسى لاجل أن يعرف مقدارهم فوجدهم فرسخا في فرسخ فمضى الى جبل وقلعه من الارض واحتمله على رأسه وجاء ليقلبه على جيش موسى فأرسل الله اليه هدهدا وجعل له منقارا من حديد فنزل ذلك الهدهد على تلك الصخرة وجعل ينقرها حتى نقبها فنزلت في عنق عوج فصارت قفلا له لا يستطيع الحركة فلما رأى موسى ذلك أتى اليه وضربه بعصا وكان طولها عشرة أذرع ووثب موسى في الهواء عشرة أذرع وكان طول موسى عشرة أذرع فلم تبلغ ضربته ساق عوج فلما ضربه موسى خر عوج ميتا وصار ملقى في الفلا كالجبل العظيم (ويروى) ان ببلاد التتر نهرا يسمى الطائي وعليه قنطرة عظيمة فقال ان تلك القنطرة من عظم ضلع عوج بن عنق وكان من جملة عجائب الدنيا (قال الكسائي فلما أوحى الله الى نوح بان الذي يحمل له الخشب عوج من الكوفة الى أرض الحيرة وكانت الحيرة قرية قريبة من بغداد فجاء نوح الى عوج وسأله أن يحمل له الخشب فقال عوج لا أحمل لك ذلك حتى تشبعني من الخبز وكان مع نوح ثلاثة أرغفة من خبز الشعير فقدم الى عوج قرصا منهن وقال له كل فضحك عوج من ذلك وقال لو ان مثل هذا الجبل خبزا ما أشبعني فكيف أشبع بهذا القرص فكسر له نوح ذلك القرص وقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم وكل فأكل القرص وقدم له قرصا ثانيا فشبع من نصف الثاني ولم يقدر أن يأكل شيئا بعد ذلك فحمل عوج ذلك

الخشب من الكوفة الى الحيرة جمعه في نقلة واحدة فلما صار الخشب عند نوح قال يارب وكيف أصنع هذه السفينة فأوحى الله تعالى الى جبرائيل أن يعلمه كيف يصنع السفينة فكان نوح يصنع الخشب ألواحا ويلصق بعضها ببعض ويسمرها بالمسامير الحديد ثم جعل رأسها كرأس الطاوس وذنبها كذنب الديك ومنقارها كمنقار البازي وأجنحتها كاجنحة العقاب ووجهها كوجه الحمامة وجعلها ثلاث طباق وقيل سبع طبقات قال ابن عباس رضي الله عنهما كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة ذراع ويروى انه أقام في اعمالها أربعين سنة فكان القوم يسخرون منه ويقولون له يانوح قد تركت النبوة وصرت نجارا قال الكسائي كان القوم اذا أتى الليل يطلقون النار في خشب السفينة فلم تعمل فيه النار فيقولون هذا من سحر نوح فلما أشرفت السفينة على الفراغ طلاها بالزفت والقير ثم أوحى الله تعالى اليه بأن يسمر في جوانبها أربع مسامير وينقش على كل مسمار منها عينا فقال نوح يارب وما فائدة ذلك فاوحى الله اليه هذه أسماء أصحاب محمد وهم عبد الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين فلا تتم السفينة الا أن تفعل ذلك ففعل نوح ما أمره الله به فتمت السفينة ثم أنطقها الله تعالى فقالت جهارا والناس يسمعون لا اله الا الله اله الاولين والآخرين أنا السفينة التي من ركبني نجا ومن تخلف عني هلك فقال نوح تؤمنون الآن فقالوا ان هذا من سحرك يانوح ثم أوحى الله تعالى اليه انه قد اشتد غضبي على من عصاني فأمره الله أن يحمل معه قوت ستة أشهر وأن يعمل في السفينة خازنا للماء العذب ثم أنزل الله لنوح خرزة من الجنة لها ضوء كضوء الشمس فكان يعلم منها مواقيت الليل والنهار ومضى الساعات ثم ان نوحا استأذن ربه بان يحج فاذن له بذلك فلما مضى الى مكة أراد القوم أن يحرقوا السفينة فأمر الله تعالى الملائكة بان يرفعوها بين السماء والارض فرفعوها والقوم ينظرون اليها فلما مضى نوح الى مكة وطاف بالبيت سبعا ثم دعا على قومه هنالك فاستجاب الله دعاءه فلما رجع نوح من مكة أنزل الله له السفينة الى الارض ثم أوحى الله تعالى اليه بان يصعد الى الجبل وينادي بأعلى صوته يامعشر الوحوش والطيور والهوام وكل شئ فيه روح هلموا الى دخول السفينة فقد قرب العذاب فوصلت دعوته الى المشرق والمغرب فاقبلت اليه الوحوش والطيور والدواب والهوام أفواجا أفواجا فقال نوح اني أمرت أن أحمل معي من كل زوجين اثنين ثم أمره بان يحمل معه الاشجار قاطبة وأن يحمل معه جسد آدم وحواء فوضعهما في تابوت ثم أمره بان يحمل معه الحجر الاسود وعصا آدم التي أنزلت عليه من الجنة وحمل معه التابوت والصحف والسمط وكان جملة من دخل معه في السفينة أربعين رجلا وأربعين امرأة فوضعهم في الطبقة

الاولى ووضع فى الطبقة الثانية الوحوش والدواب والانعام ويروى ان آخر من دخل من الدواب الحمار وقد أمسك ابليس اللعين بذنبه فمنعه من الدخول فظن نوح أن الحمار يمتنع من قبل نفسه فقال له نوح ادخل ياملعون فدخل الحمار وابليس معه فلما رآه نوح قال له من أذن لك فى الدخول فقال أنت أذنت لى ألست القائل ادخل ياملعون وما فى الخلق على الاطلاق ملعون غيرى ويروى ان نوحا لما ركب السفينة نهى جميع من كان معه عن النكاح خشية من التناسل فيضيق عليهم المكان فاطاعه جميع من كان فيها الا الكلب فانه نكح انثاه فنمت الهرة لنوح على الكلب على فعله فانكر ذلك وعاد ثانيا وثالثا فقالت الهرة لنوح فى ذلك فدعا عليهما بالفضيحة فوقعت العداوة بين الكلب والهرة من يومئذ وصارت لهما الفضيحة عند جماعهما وقيل فيهما

قالت الهـــرة قولا * جمعت كل المعانى
أشتهى أن لا أرى الكلب ولا الكلب يرانى

(ويروى) انه لما كثر روث الدواب فى السفينة شكوا من ذلك الى نوح فاوحى الله اليه أن اعصر ذنب الفيل فلما عصره وقع منه خنزير وخنزيرة فصارا يأكلان الروث ثم خلق الله من عطسة الخنزير فارا وفارة ثم تناسل الفيران فصاروا يقرضون فى جوانب السفينة فشكا أهل السفينة من ذلك فسلط على الفيران السنانير وهى القطط فصاروا يأكلونها أكلا ذريعا حتى أفنوها عن آخرها فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القط والفأر (قال) ابن وصيف شاه لم يكن فى ملوك مصر أغنى من سوريد (ومما وقع) له أنه رأى فى منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة كأن السماء قد انقلبت على الارض حتى صارت كالجوبة وكأن الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد قربا من العالم ورأى طيورا بيضاء تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكأن الدنيا اسوداء مظلمة وكأن الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستجيرون به فلما رأى ذلك استيقظ من منامه وهو مرعوب خائف فلما أصبح استدعى بالكهنة وهم مائة رجل وكانوا لا يقصون أمرا الا بالنجوم والطوالع فاختلى بهم وقص عليهم الرؤيا فقالوا ان رؤياك سماوية تهلك بها جميع العالم وجميع من على وجه الارض فقال لهم الملك خذوا آلا الارتفاع من الكواكب فلما نظروا فى ذلك قالوا وجدنا القمر فى برج السرطان وهو مقارب للسماك فيكون الهلال فى أمر من طوفان وان هذه لآفة ماثية سماوية فقال لهم انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا له نعم تأتى اليها وتقيم البلاد خرابا مدة طويلة فقال لهم الملك انظروا هل تعود بلادنا عامرة أحسن مما كانت عليه قالوا نعم تعود عامرة أحسن مما كانت عليه فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذه الاهرام وقد جعل أساسها مقدار ارتفاعها عن الارض

وقال فجعلها النانواويس وقبور الاجساد لنا ثم انه نقل اليها أشياء كثيرة من الاموال والجواهر وآلات السلاح والتماثيل العجيبة والاوانى الغريبة التى هى من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما سيحدث من الامور الى آخر الزمان ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين وأخبرت الكهنة ان هذا الطوفان لايقيم كثيرا على وجه الارض بل نحو أربعين يوما فبنى الاهرام وحبس فيه الهواء بتقدير وتدبير بالحكمة وادخر ماذكرناه من الاموال وغير ذلك وقال ان كنا ننجو من هذا الطوفان نعود الى ملكنا فنجد أموالنا كما هى باقية وان متنا فتكون هذه الاهرام قبور الاجساد ناحرزا تصونها من البلى فصنع كل واحد من وزرائه وحكمائه وأرباب دولته هرما لتكون حرز الاجسادهم من الطوفان * قال المسعودى فى مروج الذهب ان فى كل هرم منها سبع بيوت على عدد الكواكب السيارة وفى تلك البيوت عدة أصنام من الذهب مرصعة بالجواهر الفاخرة وفى آذانهم درر قدر بيضة الدجاج وفى كل هرم نواثم من الرخام الاخضر وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه وذكروا ان لهذا الاهرام مكانا ينفذ الى صحراء الفيوم وهى على مسيرة يومين من الاهرام * ومما حكى * عن الشهاب الحجازى قال خرجنا من الجامع الازهر احد عشر نفرا فى طلب الاهرام وكان معنا عدة سلب طوال على حمار فلما وصلنا الى الاهرام دخلنا الى الهرم الكبير المفتوح ووقفنا على رأس البئر الذى به فتجرد منا شخص وكان يدعى الشجاعة فربطناه من وسطه بسلبة من تلك السلب التى معنا وأدليناه فى البئر فنفد السلب الذى معنا جميعه ولم ينته الى قعر البئر فربطنا فى السلب شاش عمائمنا فانقطع الشاش فهوى الشخص الى قعر البئر ولم نعلم له خبرا فرجعنا متأسفين عليه وخائفين على أنفسنا بسببه فدخلنا فى خفية الى القاهرة ولم نعلم أحدا من الناس بحالنا فبينما نحن فى الجامع بعد مضى أسبوع واذا نحن بصاحبنا الذى سقط فى البئر قد دخل علينا وهو فى غاية الضعف فلما دخل من باب الجامع وقرب منا سقط بيننا وغشى عليه فلما أفاق استحكيناه عما كان من أمره بعد سقوطه فى البئر فقال لما انتهى بى السقوط نزلت على علبة أعطتنى ليانة فواريت بالزناد الذى كان معى وأوقدت شمعة ومشيت فى ذلك فوجدت من زبل الوطاويط شيأ كثيرا ورأيت أشخاصا وأشباحا طوالا واقفين على عكاكيز فقربت من واحد منهم وهززته فانقض الى الارض هباء منثورا فأخذت عكازته من يده ومشيت فاذا أنا بباب امامى ودهليز فأخذت أمشى فى ذلك الدهليز وقد زادبى الخوف والفزع ووجدت هناك عظاما بالية ورؤسا وجماجم كبارا على قدر البطيخ الكبير وبينما أنا أمشى فى ذلك الدهليز واذا بشئ يمشى

قدامى فتأملته فاذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من ثقب فرأيت منه ضوء الدنيا فاردت أن أخرج منه فلم أستطع فحفرت بتلك العكازة التى معى فاتسع ذلك الثقب قليلا فخرجت فلما رأيت نفسى على وجه الارض وقعت مغشيا على فلم أدر أين أنا من البلاد واذا أنا بانسان يقول قم أيها الرجل فان القفل راح وخلاك فقلت وأى مكان أنا فيه فقال فى صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من الثقب وجدت العكازة التى معى ذهبا جيدا فلما أغمى على فقدته واختفى عنى ذلك المكان الذى خرجت منه فتحيرت من ذلك واذا بقائل يقول لى لا تطمع فى عود العكازة اليك فتوجهت صحبة القفل ودخلت القاهرة انتهى (قال) أبو الريحان البيروتى فى كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقى موكل به صنم من جزع أبيض واسود وله عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى من ذهب وبيده حربة فاذا دنا منه أحد صوت عليه صوتا عاليا فيخر الذى يدنو منه على وجهه ولا يبرح عنه حتى يموت مكانه والهرم الغربى موكل به صنم من حجر الصوان وهو جالس على كرسى من ذهب وعلى رأسه شبه حية وقد تطوق بها فمن دنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها والهرم الصغير المكسى بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فمن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه حتى يموت قال المسعودى لما فرغ سوريد من عمارة تلك الاهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها بسوء فوكل بالهرم الشرقى غلاما أمرد مصفر اللون وهو عريان وله أسنان كبار ووكل بالهرم الغربى امرأة عريانة بادية عن فرجها تضحك فى وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شخصا فى يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم وذكر جماعة من أهل الخبرة انهم يرونه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا ابعدوا عنه يظهر لهم عن بعد ✽ وأما ما نقله محمد بن عبد الكريم ان فى أحد هذين الهرمين قبر أخى ديمون وفى الآخر قبر هرمس وكانا من حكماء اليونان وكان أخو ديمون أقدم من هرمس وكانت الصابئة يحجون اليهما من أقطار الارض ويحملون اليهما الاموال الجزيلة على طريق النذر وكان وراء هذه الاهرام من جهة الغرب أربعمائة مدينة عامرة غير القرى ✽ وأما ما نقله أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب حيث قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الاهرام كساها الديباج الملون من اعلاها الى اسفلها وعمل لها عيدا يحضره ارباب دولة مدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد بن شهلوق قد بناها فى ستين سنة فمن يدعى قوة فى ملكه فليهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم أيسر

من البناء فهو الصحيح وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كاللوح وفيها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخر كتابته بالقلم القديم * قال ولما دخل الاستاذ ابو الطيب مصر رأى الاهرام فأنشد يقول

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتصدع

* واما * ماقالت الشعراء فى وصف الاهرام فمن ذلك قول القائل

انظر الى الهرمين واسمع منهما * مايرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سير الليالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان بأول وبآخر

وقال آخر

لله أى غريبة وعجيبة * فى صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها * كشفت عن الابداع كل نقاب
فكانما هى كالخيام مقامة * من غير اعمدة ولا اطناب
مثل العرائس جردوا أثوابها * عنها ولم تنطق عن الاعجاب

(وقال آخر)

تحقق ان صدر الارض مصر * ونهداها من الهرمين شاهد
فواعجبا فكم افنت قرونا * على هرم وذاك الثدى ناهد

انتهى (ومن هنا نرجع الى ما كنا فيه) قال ثم أوحى الله الى نوح يانوح اذا فار التنور من بيت ابنك سام فاركب فى السفينة وكان سام اكبر اولاده وهو يومئذ ابن ثلثمائة سنة وكان متزوجا بامرأة تسمى رحمة فجاء نوح الى بيت ابنه سام وقال يارحمة ان مبدأ الطوفان يكون من هذا التنور الذى تخبزين فيه فاذا رأيت التنور قد فار فأسرعى الى من وقتك واخبرينى وكان هذا التنور من حجر أسود فلما كان يوم الجمعة لعشر مضين من رجب كانت رحمة تخبز فى التنور فلما كان آخر رغيف واذا بالماء قد فار وهو قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور الآية فلما رأت رحمة ذلك صاحت الله اكبر قد جاء ما وعد الله به من العذاب وقد صدق نبى الله نوح فبادرت رحمة الى نوح وأخبرته بفوران التنور فقال نوح لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان نوح قد جهز ما كان يحتاج اليه فى السفينة حتى علف الدواب والطير فلما أعلمته رحمة بذلك اتى الى بيت ابنه سام فراى الماء يفور من التنور وقد ملأ صحن الدار وهو يخرج من الباب كالنهر العظيم فلما راى ذلك توجه الى السفينة وهو ينادى ياقوم النجاة النجاة فأتوا الى السفينة وكانت عدتهم اربعين امرأة واربعين رجلا ثم ان نوحا قال لابنه كنعان اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم

اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقد أخبر الله عنه
انه غير صالح قال وهب بن منبه ان كنعان بن نوح غرق قبل أن يصل الى الجبل (قال)
ابن عباس لما فار التنور فتحت أبواب السماء بالمطر من غير سحاب وأظلمت الدنيا ظلمة
شديدة فكانت ملائكة الغضب تضرب بأجنحتها على وجه الشمس وكانت السماء
تقول لولا الحد الذي حده الله تعالى لغاض الماء الى الارض السابعة وكان الرجل
يمشي في الطرقات والماء ينبع من تحت رجليه وكانت المرأة قائمة في بيتها فينبع الماء
من تحتها وهو يفور ويغلي كغليان القدر وصار الماء ينبع من سائر أقطار الارض
فلما فار الماء في مدينة أمسوس وكانت يومئذ كرسي مملكة الملك سوريد وسمع صريخ
العالم ركب في عظماء قومه ووقف على تل عال ليرى أحوال الناس وهو متفكر في
هذا الماء فلم يشعر الا والماء يفور من تحت حافر فرسه فرجع الى قصره فما صار في قصره
الا والماء صار له موج عظيم كالجبال ومابقي يظهر شئ من الارض قال وهب بن منبه
كان مبدأ الطوفان من الكوفة وبها فار التنور * وأما نوح فانه ركب في السفينة هو
وأهله وقد تقدم ذكر ذلك (ويروى) ان عوج بن عنق لما رأى هذه الاهوال أتى الى
السفينة ووضع يده عليها فقال له نوح ما تريد يا عدو الله فقال له عوج لا بأس عليك
يا نبي الله دعني أمشي مع السفينة حيث مشت فأضع يدي عليها واستأنس بها من
الفزع وأسمع تسبيح الملائكة فأوحى الله الى نوح لا تخش من عوج ودعه يمشي مع
السفينة حيث سارت ثم ان نوحا أغلق أبواب السفينة وقال اركبوا فيها بسم الله
مجراها ومرساها فصارت تمشي بهم بين أمواج كالجبال وقد قال الله تعالى انا لما طغى
الماء حملناكم في الجارية * ويروى ان الله تعالى لما أرسل الطوفان رفع البيت المعمور
الذي كان أنزله في زمن آدم وكان من ياقوتة حمراء فلما طغى الماء رفعه الله تعالى الى
السماء وسمي البيت المعمور العتيق لانه صار عتيقا من الطوفان فلما سارت السفينة
أتت الى مكان الكعبة وطافت به سبعا ثم أتت الى مكان بيت المقدس فزارته
وكانت السفينة لا تمر بنوح على مكان حتى تنادي يا نوح هذا مكان كذا وكذا
فطافت به من المشرق الى المغرب وكان حول السفينة سبعون ألف ملك يحفظونها
من العذاب المنزل فكانت تجري في الماء كجري القمر في الفلك فلم تكن الا ساعة يسيرة
حتى ارتفع الماء فوق رؤس الجبال مقدار أربعين ذراعا وعم الارض والجبال ولم يبق
على وجه الارض ذو روح غير أهل السفينة وعوج بن عنق الا هلك ولم تبق مدينة و
قرية الا خربت ولم يبق لها أثر الا الاهرام والبرابي فانها كانت محكمة البناء * ومن
النوادر الغريبة * ما رواه الثعلبي في أخبار الطوفان ان امرأة حملت ولدا لها صغيرا
مرضعا ولم يكن في القوم من الاطفال غيره فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها

اربت وصعدت الى جبل عال لتعتصم به من الماء فلما غشيها الماء حملت ابنها على
عنقها فلما بلغ الماء الى فيها رفعته بيدها الى أعلى رأسها فلما غمرها الماء جعلته تحت
رجليها ووقفت عليه ساعة فطلبت النجاة قدر نفس ثم غرقا جميعا وأوحى الله الى نوح
لو كنت أرحم أحدا من قومك لرحمت تلك المرأة وولدها فصارت هذه الواقعة مثلا
(فقال) اذا وقع الطوفان يضع الانسان ولده تحت رجليه (قال) الكسائى اختلف
جماعة من العلماء فى مقدار مكث الماء على الارض فمنهم من قال مكث على وجه الارض
ستة أشهر ومنهم من قال مائة وخمسين يوما وبعد ذلك أوحى الله الى الارض يا أرض
ابلعى ماءك و ياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى ويروى
ان الجودى جبل بالقرب من الموصل فاستقرت السفينة عليه ✽ قال الثعلبى كان
استواء السفينة على جبل الجودى فى يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم فصامه نوح
شكرا لله تعالى وأمر من كان معه بالصيام فى ذلك اليوم شكرا على تلك النعمة ويروى
ان الطيور والوحوش والدواب جميعهم صاموا ذلك اليوم ثم ان نوحا أخرج ما بقى معه
من الزاد فجمع منها سبعة أصناف من الحبوب وهى البسلة والعدس والفول والحمص
والقمح والشعير والارز فخلط بعضها فى بعض وطبخها فى ذلك اليوم فصارت الحبوبية
من ذلك اليوم سنة نوح عليه السلام وهى مستحبة ثم فتح أبواب السفينة فرأى
الشمس والسحاب وقد تقطع وظهر فى الارض قوس قزح وقيل انه لم يظهر فيما قبل
الا فى ذلك اليوم وكان دليلا لنقص الماء فلما رأى نوح ذلك كبر وكبر معه أهل
السفينة قاطبة ثم ان أهل السفينة صاروا لا يقابلون الشمس بأعينهم فشكوا ذلك
الى نوح وقالوا لا طاقة لنا ان نقابل ضوء الشمس بأعيننا فأمرهم أن يكتحلوا بحجر الاثمد
فى ذلك اليوم لتقوى أعينهم (ويروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
اكتحل فى يوم عاشوراء لم يرمد فى سنته ثم ان نوحا فتح أبواب السفينة كلها فدخلت الشمس
ونفضت الطيور أجنحتها وتحركت الوحوش وتمايلت الاشجار ثم ان عوج بن عنق
لما رأى السفينة قد رست تركها ومضى يخوض فى الماء حيث شاء قال الكسائى
اول ما ظهر من الجبال فى الارض جبل أبى قبيس الذى بمكة وظهر مكان الكعبة
وقد صارت ربوة حمراء ولم يسلم من القرى سوى قرية نهاوند فوجدت من تحت الماء كما
هى لم تتغير وسلمت الاهرام وسلمت البرابى التى كانت بجهات الصعيد وهى التى
بناها هرمس الاول الذى أودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجدت على حالها ثم ان
نوحا أراد أن يعلم هل انكشف الماء عن الارض أم لا فأرسل الغراب ليكشف له خبر
الارض فلما ذهب الغراب رأى جيفة فاشتغل بأكل الجيفة فأبطأ بالخبر عن نوح سبعة
أيام فدعا عليه فصار يمشى وفى رأسه الرعنة لا يستقر بمكان واحد ثم ان نوحا قال لبقية

الطيور من فيكن يأتيني بخبر الماء ولا يفعل كفعل الغراب فقالت الحمامة أنا آتيك بخبر الماء يانبي الله فطارت وغابت ساعة ثم رجعت وفي فمها ورقة خضراء فلما رأى نوح تلك الورقة في فمها قال هذه الورقة من ورق الزيتون فعلم ان الماء لم ينكشف عن الارض ثم أقام بعد ذلك مدة يسيرة وأرسل الحمامة فغابت ساعة ثم عادت ورجلاها مخضبة بحمرة وسبب ذلك انه أوّل ما انكشف عن الارض مكان الكعبة فصارت ربوة حمراء فوقفت عليها الحمامة فاختضبت رجلاها من ذلك الطين الاحمر وتطوّقت فدعا لها نوح وقال اللهم اجعل الحمام أبرك الطيور واكثر من نسله وحببه للناس فلما أقامت السفينة على الجبل أربعين يوما حتى جفت الارض ونبت فيها الاعشاب من كل جانب فأوحى الله الى نوح أن اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ثم ان الله أمر نوحا بأن يطلق ما كان معه من الطيور والوحوش والدواب والهوام فأطلقهم أجمعين فتفرقوا في الفضاء كما كانوا في الاوّل ثم ان الله تعالى أظهر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كما كانوا أولا ثم بعد ذلك أمطر مطر الرحمة ودحرج ماء الطوفان عن الارض وجعله ملحا اجاجا ففرح نوح بذلك واستبشر بالرضا من الله تعالى ويروى ان نوحا لما خرج من السفينة رأى الارض بيضاء كلها فصار متعجبا من ذلك فأتاه جبرائيل وقال له هل تدري يانوح ما هذا البياض الذي تراه قال وما هو قال هذه عظام قومك ثم سمع صلصلة عظيمة فقال له جبرائيل أتدري ما هذه الصلصلة قال وما هي قال هذه أصوات السلاسل التي يسحب بها قومك الى النار وهو قوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا فادخلوا نارا قال لما خرج نوح من السفينة وكان معه من المؤمنين ثمانون انسانا عمر لهم قرية هناك وسماها قرية الثمانين وهي أول قرية بنيت على وجه الارض بعد الطوفان فلما استقروا بتلك القرية أوقع الله فيهم الفناء فماتوا جميعا ولم يبق منهم أحد الا نوح وأولاده وهم سام وحام ويافث ونساؤهم فكان عدتهم سبعة أنفس وهو قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فجميع العالم من نسل نوح عليه السلام وهو أبو البشر الثاني قال وهب بن منبه كان مبتدأ الطوفان في رجب وكان انتهاؤه في أواخر ذي الحجة قال أبو معشر كان بين طوفان نوح وتوبة آدم ألفان ومائتان وأربعون سنة وكان بين الطوفان والهجرة النبوية ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وسبعون سنة

(ومن النكت اللطيفة) ما نقله الثعلبي قال لما استقر نوح أوحى الله اليه بأن يغرس الاشجار التي كانت معه فغرسها في أوّل الارض وكان أول ما غرس شجرة الآس وأراد ان يغرس شجرة العنب فلم يجدها فقال لولده سام يابني ما فعلت بشجرة العنب فقال لا أعلم بها فهبط جبرائيل وقال له يانوح ان ابليس قد سرقها فقال نوح لابليس

أعد شجرة العنب التي سرقتها فقال ابليس ما أعيدها الآن حتى تشركني بها فقال له قد جعلت لك فيها الثلث فأبى ابليس من ذلك فقال قد جعلت لك الثلثين فرضي (قال) الشيخ كمال الدين الدميري في كتاب حياة الحيوان لما غرس ابليس شجرة العنب في الارض ذبح عليها طاوسا فشربت من دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت من دمه فلما أثمرت ذبح عليها أسدا فشربت من دمه فلما تزببت أعنابها ذبح عليها خنزيرا فشربت من دمه فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الاوصاف الاربعة وذلك أول مايشربها وتدب في أعضائه يزهو كما يزهو الطاوس فاذا انتشى صفق ورقص كما يرقص القرد فاذا قوي عليه السكر عربد وزمجر كما يفعل الاسد فاذا اخذ منه السكر ينعس ويطلب النوم كما يفعل الخنزير فهذه العناصر الاربعة لاتحول من شارب الخمر قط وقال في المعنى

كرمها من عهد نوح عصرا * فيه سر لسرور الانفس
ليس قولي بحديث مفترى * لم يزل شاربها في أنفس

قال الكسائي أول من عصر الخمر وصنع الطار والمزمار وآلات الطرب ابليس

* ذكر ما كان من أخبار الارض بعد الطوفان * قال الكسائي لما استقر نوح في الارض قسم الجهات بين أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث فاستقر سام بالجهة الغربية فكان من نسله الروم وفارس والعرب وكان يرى في وجه سام نور النبوة وأضاف اليه جهات الحجاز واليمن والعراق والشام وغير ذلك من الجهات وكان أكبر أولاده * وأما حام فاستقر بالجهة القبلية مع الجنوب فكان من نسله الزنج والحبشة * وأما يافث فاستقر بالجهة الشرقية فكان من نسله الترك ويأجوج ومأجوج فهم بنو عم الترك ثم ان الله تعالى أوحى الى نوح بان يدفن جسد آدم وحواء في المكان الذي أخذهما منه ففعل ذلك ثم أمره بان يرد الحجر الاسود الى مكانه ففعل ذلك واستمر نوح يسعى في عمارة الارض بعد الطوفان كما كانت عليه في الاول (قال) كعب الاحبار لما كبر سن نوح وقرب أجله أراد أن يدعو أولاده وأولاد أولاده ويسأل الله أن يرزقه الاجابة في دعائه فصعد الى جبل عال ونادى ابنه ساما فجاء وجلس بين يديه فوضع نوح يده عليه وقال اللهم بارك في سام وفي ذريته واجعل فيهم النبوة والملك فكان من نسل سام أرفخشد فجاء من أولاده الانبياء والصلحاء ثم نادى ابنه حاما فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل أولاده اذلاء وسود وجوههم واجعلهم عبيدا وخدما لاولاد سام * وقيل كان لحام ولد يقال له مصرايم فسمع دعاء جده نوح فجاء اليه وقال له ياجدي قد أجبتك اذلم يجبك أبي فوضع نوح يده على مصرايم وقال اللهم كما أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنهم الارض المباركة التي هي ام

البلاد وغوث العباد وة التي نيلها أفضل الانهار فسكن مصر ثم بمصر وبه سميت فكان
من ذريته القبط ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل نسله شرار الخلق
فكان من نسله يأجوج ومأجوج والترك كما تقدم فلما دعا نوح على ابنه حام فواقع
زوجته في تلك الليلة حملت بولدين ذكر وأنثى فرأى حام لونهما أسود فأنكرهما وقال
ماهما مني فقالت زوجته بلى بل هما منك ولكن لحقتنا دعوة أبيك فتركهما وابنهما وولى
هاربا على وجهه خجلا من الناس فلما كبر الولدان خرجا في طلب أبيهما حام فبلغا الى
قرية بساحل بحر النيل ثم ان الغلام الأسود وثب على أخته فحملت وولدت غلاما
وجارية أسودين فتناكحا وتناسلا فكان من نسلهما جميع السودان الى الآن قال
الكسائي ان القرية التي نزلوا بها تسمى النوبة ❊ وأما يافث فانه سار الى بلاد الشرق
فتزوج هناك فولدت له خمسة من الاولاد وهم جوهر وبترس ومياشيخ وسناف
وسقويل فمن نسل جوهر الصقالبة والروم ومن نسل بترس الترك والخزرج ومن نسل
مياشيخ الاعاجم ومن سناف يأجوج ومأجوج ومن نسل سقويل الارمن (وأما) سام
فانه ولد له من الاولاد خمسة ❊ أرفخشد جاءت منه الانبياء والصلحاء ومن نسله عرب
ربيعة ومضر وقبائل اليمن ❊ وحاشيم جاء من نسله أقوام بأرض اليمن يقال لهم النسانيس
وكان في وجوههم عين واحدة وأذن واحدة ورجل واحدة ❊ وهويل جاء من نسله
العمالقة والعادية ❊ وآدم جاء من نسله قبائل ثمود وعاد ❊ وشمليخا كان منقطع النسل
عقيما اه (قال) الشعبي ان ساما عاش من العمر ستمائة سنة وكان جزوعا من الموت
فكان نوح يسأل الله أن لا يموت سام حتى يسأل هو ربه الموت فلما كبر سنه عجز عن
الحركة فسأل ربه الموت فلما مات سام دفن في مدينة نوى من أعمال حوران قال وهب
ابن منبه ان نوحا عاش بعد الطوفان مائتي سنة وحج بعد خروجه من السفينة (قال)
وهب بن منبه بعث الى قومه وهو ابن مائتين وخمسين سنة ولبث فيهم ألف سنة الا
خمسين عاما كما أخبر الله في القرآن العظيم فلما استوفى نوح العمر الذي كتبه الله له جاء
اليه ملك الموت وقال له السلام عليك يا نبي الله فقال وعليك السلام من أنت فقد
أرعدت قلبي بسلامك فقال أنا ملك الموت جئتك لاقبض روحك فلما سمع نوح ذلك
تغير وجهه وتلجلج لسانه فقال له ملك الموت ما هذا الجزع يا نوح ألم تشبع من الدنيا
وأنت أطول الناس عمرا فقال نوح انما وجدت الدنيا دارا لها بابان دخلت من
احدهما وخرجت من الآخر ثم ان ملك الموت ناوله كأسا من شراب الجنة وقال له
اشرب من هذا الشراب حتى يسكن روعك فتناوله وشربه فلما شربه خر ميتا صلوات
الله تعالى وسلامه عليه فلما مات شرع أولاده في تجهيزه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه
ودفنوه في قرية قريبة من الكرك ويقال ان عند قبره عين ماء تجري وقد قال القائل

نح على نفسك يا مسكين ان تنوح ❊ لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح

❊ ذكر قصة هود عليه السلام ❊ قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الآية قال كعب الاحبار الذى أتى بعد نوح من الانبياء هو نبى الله هود وهو هود بن عبد الله بن عوص من أولاد سام وكان من قبيلة يقال لها عاد وكانوا من عرب يسكنون الاحقاف وهى جبال من رمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بالقرب من البحر المالح وكان لهذه القبائل ملك يقال له الجلجان وكان طوله مائة ذراع ولهذا كان اذا قام يغطى الشمس عن الارض واذا وضع يده على الجبل هدمه من جوانبه (قال) وهب بن منبه وكان طول الرجل من قوم عاد مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعا وكانوا لا يبلغون الحلم الا بعد مائة سنة وكانت تمر عليهم الاربعمائة سنة ولم يمت فيهم ميت ولا يرى عندهم جنازة وكان رأس كل واحد منهم قدر القبة العظيمة وكانوا قوما جبارين يعبدون الاوثان من دون الله قال وبلغنى ان ستين رجلا من قوم موسى استظلوا فى قحف رجل من العمالقة قال زيد بن أسلم رأيت ضبعا وأولاده أوكروا فى عين رجل من العمالقة ولقد وزنت ضرسا من اضراسه فجاء نحو عشرة أرطال (قال) وهب بن منبه فلما ازداد طغيان هؤلاء القوم بعث الله اليهم هودا وكان لهود من العمر أربعون سنة عند بعثته فنزل اليه جبرائيل وقال ان الله قد بعثك الى قوم عاد فأنذرهم وأعلمهم انى قد أمهلتهم دهرا طويلا وأعطيتهم من القوة مالم أعطها لاحد من قبلهم وجعلتهم ملوكا على أسرة من الذهب وجعلتهم أطول من الناس أعمارا فامض اليهم وادعهم الى التوحيد ليرجعوا عن عبادة الاوثان فتوجه اليهم هود وهم فى يوم عيدهم وقد اجتمعت هناك الملوك وجلسوا على أسرة الذهب وجلس الملك الجلجان على سرير من الذهب وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة فلم يشعروا الا بصوت هود وهو يقول ياقوم اعبدوا الله ربى وربكم مالكم من اله غيره وان هذه الاصنام التى تعبدونها من دون الله هى التى أغرقت قوم نوح من قبلكم فلما رآه الملك الجلجان قال له ويحك ياهود أتظن انك مع جموعنا وشدة بأسنا وقوتنا تغلبنا بهذه الكلمات أما تعلم أنه فى كل يوم وليلة يولد لنا ألف ولد ❊ فلما ضجر هود وهو يدعوهم الى التوحيد وهم لا يسمعون منه سأل الله أن يعقم نساءهم فلم تحمل منهن امرأة فى تلك السنة فشكوا ذلك الى ملكهم الجلجان وقالوا ان هودا أعقم نساءنا ونخشى أن يكون صادقا فيما يقول ❊ ثم ان الله أوحى الى هود ان أخبر قومك ان يؤمنوا بى والا أرسلت عليهم ريحا عقيما فلما سمعوا منه ذلك ضربوه بالحجارة فأقام يدعوهم سبعين سنة وهم يرجمونه بالحجارة فلما أيس منهم قال الهى انك تعلم انى بلغت رسالتك الى قوم عاد وهم على كفرهم فى ضلال مبين ❊ ثم ان الله تعالى امسك عنهم المطر سبع سنين فلما أجدبت ارضهم ماتت

مواشيهم وعزت عندهم الاقوات حتى هلك منهم نحو النصف وكان ذلك الزمان اذا قحطوا توجه منهم جماعة الى مكة يدعون الله عند البيت الحرام فيسقون فى شهرهم ثم ان قوم عاد اختاروا منهم سبعين رجلا من صلحائهم فتوجهوا الى مكة وأخذوا معهم كسوة للكعبة فلما كسوا البيت جاء ريح عاصف فمزق تلك الكسوة ونفضها عن البيت ثم طافوا بالكعبة ودعوا الله واستسقوا القوم فسمعوا قائلا يقول هذه الابيات

قبح الله وفد عاد أتونا * ان عادا أشر أهل الجحيم
سيروا وفدهم ليسقون غيثا * بل ليسقون من شراب الحميم

فلما دعوا الله تعالى أرسل اليهم ثلاث سحابات واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم سمعوا قائلا يقول اختاروا من هؤلاء واحدة فاختار كبيرهم السوداء وظن انها مشحونة بالمطر فساقها الله الى ديارهم فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا قال وهب بن منبه ان الله أوحى الى ملك الريح بأن يفتح اطباق الريح العقيم من تحت الارض فلما عاين قوم عاد ذلك خرجوا الى الصحارى هاربين على وجوههم فلما دارت الريح العقيم قلعت الاشجار بعروقها وانهدمت الدور على اهلها واستمر هذا الامر على القوم سبع ليال وثمانية أيام حسوما اى متتابعة فلما رأى القوم ذلك بادروا الى البيوت ودخلوا فيها فدخل اليهم الريح فأخرجهم منها على وجوههم فلما تزايد بهم خرجوا الى الصحارى ولبسوا آلة السلاح ووقفوا وقالوا نحن ندفع الريح بقوتنا وسطوتنا تجاه الريح فاقتلع منهم تسعة أنفس ممن هو اعظم خلقة واقوى سطوة فكان الريح يرفع الرجل فى الجو نحو عشرين ذراعا ثم يضرب به الارض فيصير كأنه أعجاز نخل خاوية وكان الريح يدخل بين اثواب الرجل ويحمله ويضرب به الارض فيخر ميتا ثم امطر الله عليهم الرمال المسمومة بالنار فاستمروا على ذلك اربعين يوما وابقى الله ارواحهم فى اجسادهم حتى يطول عذابهم فكان المؤمن يمر عليهم فيسمع لهم انينا من تحت الرمال ويروى ان هودا لما خرج الريح العقيم الى الارض لم يخرج من بين قومه وكان غيره من الانبياء اذا نزل بقومه العذاب يخرج من بينهم الا هودا ومن آمن معه فلم يصبهم من الريح شئ فكان المؤمن يجلس والى جانبه الرجل الكافر فيخلط بينهما فكان الريح العقيم يهب على المؤمن نسيما رطبا ويهب على الكافر سموما سيئا واما ملكهم الجلجان فانه عاش بعد فناء قومه اياما حتى نظر الى مصارعهم اجمعين ثم جاءت الريح فدخلت فى فيه وخرجت من دبره فسقط ميتا ولم ينج من ذلك العذاب سوى نبى الله هود ومن معه من المؤمنين ثم ارسل الله عليهم طيورا سودا فنقلت اجسادهم والقتهم فى البحر المحيط (ويروى) ان رجلا اتى الى

الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال له من أى أرض أنت أيها الرجل فقال له من حضرموت بأرض اليمن فقال له أعندك خبر من قبر نبى الله هود فقال الرجل نعم خرجت فى أيام شبابى ومعى جماعة من أصحابى فسرنا حتى أتينا الى جبل عال وفيه مغارة فيها ثقب ضيق فسرنا فيه بعسر الى أن أفضى بنا ذلك الى مكان واذا بسرير من ذهب وعليه رجل ميت وعليه أكفان بالية فلمست بدنه فاذا هو لم يبل ولم تتغير هيئته فتأملته فاذا هو رجل واسع العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين لطيف الفم طويل اللحية وتحت رأسه لوح من الرخام الابيض وعليه مكتوب هذا هود نبى الله عليه السلام بعث الى قوم عاد فكذبوه فأخذهم الله بالريح العقيم فلم يبق منهم أحدا انتهى

(ذكر قصة شداد بن عاد) قال وهب بن منبه هو شداد بن عاد بن عوص بن آدم ابن سام بن نوح وكان شداد بن عاد كثير الاولاد قيل كان له أربعة آلاف ولد وتزوج بألف امرأة وعاش من العمر ألف سنة قال الكسائى لما مات عاد استخلف بعده ثلاثة أولاد شداد وشديد وارم وكان شداد اكبر أولاده خضعت له الرقاب لما ملك بعد أبيه فلما تزايدت عظمته قهر ملوك الارض بالطول والعرض وقتلهم وملك أرضهم وديارهم وصار ملك الدنيا من مشرقها الى مغربها فى قبضة يده * قال وهب بن منبه لم يملك الدنيا بأسرها غير أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود عليهما السلام والاسكندر ذو القرنين وأما الكافران فهما شداد بن عاد والنمروذ ابن كنعان وقيل بختنصر والله سبحانه وتعالى أعلم وقيل فى المعنى

كم سمعنا عن ملوك هلكوا * ملكوا الدنيا وما قد ملكوا
كدر الموت عليهم عيشهم * تركوا الدنيا وما قد تركوا

(قيل) للامام على رضى الله عنه صف لنا الدنيا فقال وأى شئ بها أصفه لكم دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها افتتن ومن افتقر فيها حزن (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقد قيل فى المعنى

والله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

(قال) الكسائى ان شداد بن عاد كان مولعا بقراءة الكتب القديمة التى أنزلت على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فكان كلما مر عليه سماع أوصاف الجنة ترتاح لها نفسه فخطر بباله أن يجعل له فى الدنيا جنة مثلها وقد قيل فى المعنى

أحببتكم من قبل رؤياكم * لحسن وصف عنكم قد جرى
وهكذا الجنة معشوقة * لحسنها من قبل أن تبصرا

ثم ان شدادا أمر بعض وزرائه وكان له ألف وزير أن يجمع له الحكماء والمهندسين وأمرهم أن ينظروا له أرضا واسعة طيبة الهواء كثيرة الانهار والاشجار ليبني له جنة عظيمة فتوجه الوزير بمن معه من أهل الخبرة وساروا في الارض فلما وصلوا الى عدن من نواحي اليمن وجدوا هنالك أرضا على هذه الصفة فأخبروه بها فوجه اليها البنائين والمهندسين فاجتمعوا عند تلك الارض فوجدوها وخطوها مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جانب عشرة فراسخ فلما حفروا أساس تلك المدينة وبنوا فيها الرخام الجزع وأظهروه من جوانبها مقدار النصف وأخبروه بذلك قال لوزرائه ألستم تعلمون أني قد ملكت الدنيا جميعها فقالوا نعم فقال أريد أن تجمعوا لي جميع ما فيها من الذهب والفضة ومعادن الجواهر واللآلئ واليواقيت والمسك والزعفران وغير ذلك من الاصناف النفيسة فجمعوا له ما في بلادهم وما كان عندهم وما كان في أيدي الناس وأرسلوا الى سائر الاقطار وأحضروا ما كان فيها من ذلك جميعه فصارت الناس يتعاملون بالجلود فيقصونها على هيئة الدراهم ويختمونها باسم الملك ويتعاملون بها في كل جهة فلما أحضروا الجميع أخذوا يجعلون من الذهب لبنا ومن الفضة لبنا ويبنونه فوق ذلك الرخام حتى أتموا جوانبها فلما أحاط ذلك السور بالمدينة أخذوا يجعلون في وسطها غرفا وقصورا على صفة السور من الذهب والفضة ويجعلون لها قوائم من الزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر وجعلوا تلك القصور والغرف تشرف على أشجار من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والانهار المتدفقة وحول القصور تلال من المسك والعنبر والكافور وأحكموا ذلك كله بالصنائع العجيبة المتقنة التي لم يكن في الدنيا مثلها بل ولا في الدنيا مثل بعضها قال الكسائي كان مدة عمارة هذه المدينة ثلثمائة سنة فلما تكامل بناؤها أخبروا الملك بذلك فأمر الوزراء والامراء والحجاب بأن ينقلوا اليها الفرش الفاخرة والآنية الفاخرة فأقاموا ينقلون ذلك مدة عشر سنين فلما انتهوا من ذلك ركب الملك شداد وأركب نساءه وخدمه ونساء وزرائه وأمرائه وحجابه في هوادج من الذهب المتقنة بصنائع المهندسين فلما وصلوا الى باب تلك المدينة وأراد الملك الدخول أولا واذا بملك من الملائكة أرسله الله تعالى الى شداد فقال الملك يا شداد ان أنت أقررت لله بالوحدانية مكنتك من الدخول وان لم تقر لله بالوحدانية أخذت روحك في هذه الساعة فلما سمع شداد ذلك الخطاب طغى وكفر وفجر فصاح عليهم ذلك الملك صيحة فماتوا اجمعين عن آخرهم ولم يدخل أحد منهم الى تلك المدينة (قال) وهب بن منبه لم يكن مثل هذه المدينة على وجه الارض وقد قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ۞ وقد اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا

قال السدى ان هذه المدينة التى بناها شداد بن عاد باقية الى الآن وقد دخلها رجل اعرابى يقال له عبد الله بن قلابة وذلك فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهم سنة ثمانية وأربعين من الهجرة النبوية انتهى ما أوردناه من اخبار شداد بن عاد باختصار

﴿ذكر قصة نبى الله صالح صلى الله عليه وسلم﴾ قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا الآية وهو صالح بن كانوك قد بعثه الله الى قبيلة ثمود قال السدى ثمود اسم بئر كانت بين أرض الحجاز والشام (قال) ابن اسحاق لما أهلك الله قوم عاد بالريح عمرت ثمود من بعدهم بلادهم واتخذوا من الجبال بيوتا مجوفة بالنحت وجعلوا على تلك البيوت أبوابا من الخشب مصفحة بالحديد وقد أوسع الله لقوم ثمود بكثرة المال فقد قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد الآية فلما تمكنوا من الارض طغوا وخالفوا أمر الله تعالى وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا قال العزيزى قد كان كانوك أبو صالح فى خدمة الاصنام ففى بعض الايام سجد للصنم الكبير فلما سجد نكس الصنم رأسه فتعجب كانوك من ذلك فأنطق الله الصنم وقال له يا كانوك ان فى ظهرك نبيا يبعثه الله الى قبيلة ثمود قال فلما سمع كانوك ذلك خرج هاربا على وجهه فلما جن عليه الليل بعث الله اليه ملكا على صفة طير فاحتمل كانوك ومضى به الى واد كثير الاشجار والمياه فلما أصبح كانوك تمشى فى ذلك الوادى فنظر الى جبل عال وفيه غار فدخل فى ذلك الغار فألقى الله عليه النوم فنام فى ذلك الغار نحو مائة سنة فكان الملك يطلبه فى كل يوم فلم يجده فاتخذ للاصنام خادما غيره فكانت زوجة كانوك تبكى عليه ليلا ونهارا فبينما هى تبكى واذا بغراب ينعق على الباب فخرجت اليه فقالت له أيها الطائر ما أحسن صوتك فأنطق الله لها ذلك الغراب فقال لها أنا الذى بعثنى الله الى قابيل بن آدم لما قتل أخاه هابيل لاريه كيف يوارى سوأة أخيه وقال لها أيضا مالى أراك باكية حزينة فقالت له لقد فقدت زوجى من مدة مائة سنة فقال لها الغراب أتحبين أن أمضى بك اليه فقالت ان ذلك عجيب فقال الغراب أتعجبين من أمر الله فعند ذلك قامت من وقتها وساعتها فصارت تمشى والغراب يطير قدامها فخفف الله عليها الطريق وهى سائرة فى جوف الليل حتى وصلت الى ذلك الوادى الذى فيه زوجها كانوك ثم ان ذلك الغراب وقف على باب الغار فقال لها ادخلى فدخلت فرأت زوجها نائما فدنا منه الغراب وقال له قم يا كانوك بقدرة الله تعالى فاستوى جالسا فدخلت عليه زوجته فتعانقا فواقعها فى تلك الساعة فحملت منه بصالح عليه السلام فلما واقعها وفرغ وقع فى الحال ميتا فخرجت زوجته من عنده فصارت تمشى والغراب معها حتى دخلت الى بلد ثمود وكل ذلك جرى تحت الليل فلما كمل حملها وضعت صالحا وكان وضعه فى ليلة الجمعة من شهر المحرم ففى ليلة وضعه أصبحت جميع

الاصنام منكوسة فبلغ الملك ذلك فاغتم غماشديدا وقال من نكس أصنامنا فدخل ابليس جوف الاصنام وقال يا آل ثمود ولد فيكم مولود يقال له صالح يفسد عليكم دينكم فلما كبر صالح وانتشى كان أجل أهل زمانه فصيح اللسان بالعربية فلما أتى عليه من العمر أربعون سنة أوحى الله اليه أن يدعو قوم ثمود الى توحيد الله المعبود ويمنعهم عن عبادة الاصنام فعند ذلك ذهب الى القوم فرآهم مجتمعين في يوم عيدهم وقد نصبوا أصنامهم على أسرة من ذهب فتقدم صالح ووقف بين يدي الملك وقال له اعلم انى قد جئتكم رسولا من عند رب العالمين أدعوكم الى توحيده فقال له الملك ياصالح ان قبائل ثمود لا ترضى أن يكون مثلك رسولا اليهم فقال صالح ان الله يختص برسالته من يشاء ثم ان الملك أقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا انه لكذاب أشر ثم ان صالحا بنى له مسجدا بين قبائل ثمود فكان يتعبد في كل يوم ويخرج الى قبائل ثمود ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وهم على ماهم عليه من الضلال فأقام صالح على ذلك مدة سبعين سنة ثم ان الله أعقم نساءهم وأبقارهم وأغنامهم وجفت أشجارهم وصارت الخيول تنفر عنهم فهموا بقتل صالح ففر منهم الى جبل من الجبال في مغارة فرأى في تلك المغارة سريرا من الذهب وعليه الفرش الفاخرة ورأى جوهرة أضاءت منها المغارة فتعجب صالح من ذلك ونام على الفرش والسرير فكانت تلك النومة نحو أربعين سنة ولا يعلم أحد الى أين توجه فلما انتبه من منامه أوحى الله اليه ان انطلق الى قوم ثمود وادعهم الى التوحيد فأقبل صالح على القوم وهم مجتمعون في يوم عيدهم والملك جالس وحوله قومه وأرباب دولته فناداهم صالح ياقوم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ فلما سمعوا صوته تساقطت الاصنام فقال له الملك أولست الذي كنت فينا بالامس وقد غبت عنا منذ أربعين سنة فلا نؤمن بك حتى تخرج لنا ناقة من هذه الصخرة فقال صالح ان ربي على كل شئ قدير وهذا هين على ربي فقال القوم تكون الناقة ذات ألوان أحمر وأصفر وأسود وأبيض ويكون طولها مائة ذراع وعرضها مثل ذلك ويكون مشيها كالبرق الخاطف وصوتها كالرعد القاصف ويكون لها فصيل خلفها على صفتها ويكون لبنها أحلى من العسل ويسكر مثل الخمر ويكون في الصيف باردا وفي الشتاء حارا ماشربه مريض الا شفي من يومه ولا فقير الا ويستغني وتدخل علينا في كل يوم عند العشاء وتسلم على القوم كل واحد باسمه وتقف على بابه وتحلب له اللبن من غير حلاب وانها لا ترعى من مراعينا ولا تخفل من مواشينا ويكون الماء لنا يوم ولها يوم وقال آخر من القوم أنا اريد ان تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة يكون بدنها من الذهب ورجلاها من الفضة ويكون رأسها من الزبرجد الاخضر واذناها من المرجان ويكون موضع سنامها قبة من الدر ولها اربعة اركان

مرصعة بأنواع اليواقيت فاذا اخرجتها لنا بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك فقال الملك بل تخرج انا من هذه الصخرة ناقة ذات لحم وعظم وجلد وشعر ويكون لها سنام قدر القبة ويكون لها فصيل يتبعها وهو على هذه الصفة فان أنت أخرجتها بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك ثم ان صالحا قال يا قوم قد أشرطتم على شرائط كثيرة وأنا اشترط عليكم أن لا يركبها أحد ولا يرميها بحجر ولا بسهم ولا يمنعها من شرب الماء ولا يمنع فصيلها فقالت القوم كلهم نعم فلما أخذ عليهم العهود قام وصلى ركعتين ورفع يده الى السماء ودعا الله تعالى ثم تقدم الى الصخرة فضرب عليها بقضيب كان لآدم عليه السلام فاضطربت الصخرة وأنت مثل أنين الحامل ثم خرجت من الصخرة ناقة على الصفة التى أرادوها وفصيلها يتبعها وهى تنادى لا اله الا الله صالح رسول الله (قال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان طول الناقة سبعمائة ذراع وعرضها مائة ذراع وكان لها سبعة آلاف حملة أكلا من العشب فلما نظر الملك اليها قام من ساعته وقبل رأس صالح وقال أشهد أن لا اله الا الله صالح رسول الله فآمن مع الملك جماعة كثيرة ثم سارت الناقة وفصيلها تمشى الى الجبال والاودية وترعى فاذا أمسى المساء دخلت الى المدينة وطافت على دور القوم تسلم وتعطى اللبن فكان القوم يخرجون بالاوانى ويضعونها تحت ثديها فتمتلئ الاوانى باللبن فاذا اكتفى جميعهم تأتى عند مسجد صالح وتقيم هى وفصيلها هنالك واستمرت على ذلك مدة ثم ان مواشى القوم صارت تنفر من الناقة حين ترد الماء وكان فى القوم امرأة ذات حسن وجمال يقال لها قطام وكانت معشوقة لشخص يقال له مصدع وكان من الجبابرة وكان مصدع يجتمع مع شخص من أصحابه يقال له قيدار فاجتمع مصدع وقيدار فى بيت قطام على سكر فأحضرت لهما خمرا صافيا وطلبا منها الماء ليمزجاه فلم تجد ماء فطلبته من جيرانها فلم تجده فسألا عن السبب فقيل ان الناقة تشربه فعزم مصدع وقيدار على عقرها ثم ان مصدعا أقبل على رهط وقال لهم انى عازم على عقر الناقة فهل تعينونى فقالوا نعم وذلك قوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قال فكمن قيدار للناقة فى مكان من الجبل فلما اقبلت الناقة وهى ترعى وقربت من قيدار ضربها بسيف فقتلها ثم طلب فصيلها فهرب الى المكان الذى خرج منه فلما عقر الناقة وشاع ذلك أتوا وصاروا يقطعون من لحمها فلم يبق بيت الا ودخله من ذلك اللحم وصاروا يأكلون ويضحكون فلما أتى صالح وكان غائبا اخبروه بعقر الناقة وقال له جماعة من القوم لا ذنب لنا فى عقر الناقة وانما عقرها قيدار فقال لهم صالح انطلقوا فان أدركتم فصيلها فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا فى طلبه فرأوه قد اختفى فى الصخرة التى خرج منها فقال صالح لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال السدى وكان عقر الناقة يوم الاربعاء ثامن عشر صفر فقال

صالح للقوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب وعلامته فى اليوم الاول تحمر وجوهكم وفى الثانى تصفر وفى الثالث تسود فلما رأوا العلامات قد ظهرت فى وجوههم هموا بقتل صالح فهرب منهم واختفى فى بيت كبير القوم فجاء اليه القوم وقالوا لقد دخل عندك صالح فقال نعم غير انى لا أسلمه لكم لانه فى أمانى ثم أوحى الله الى صالح بأن يخرج من بين القوم ومعه جماعة من المؤمنين فخرج صالح هو ومن معه من المؤمنين الى نحو الشام فنزلوا بفلسطين فلما أصبح قوم ثمود فى اليوم الرابع تحنطوا بحنوط الموت فلبسوا أكفانهم وانتظروا نزول العذاب فلما كان يوم الاحد ثانى عشر صفر أتتهم صيحة من السماء فسقطت قلوبهم من صدورهم وماتوا أجمعين كبيرا وصغيرا وهو قوله تعالى فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ثم توجه صالح من فلسطين الى مكة وصار يبكى على الناقة ليلا ونهارا فأتى اليه جبرائيل وبشره أن الله تعالى يبعثها يوم القيامة ويكون راكبا عليها فطابت نفسه واستمر مقيما بمكة الى أن مات صلوات الله وسلامه عليه وله من العمر نحو مائة وثمانين سنة (قال) عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام دفن سبعون نبيا منهم هود وصالح واسمعيل عليهم الصلاة والسلام انتهى

❊ذكر قصة أصحاب الرس❊ قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس الآية قال السدى أصحاب الرس كانوا بقية قوم ثمود وهم أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد اللذين ذكرهما الله فى القرآن العظيم قال السدى ان البئر المعطلة بأرض عدن وكان أهل تلك المدينة يستسقون منها ليلا ونهارا وكان عليها نحو سبعين قرية بسبعين دلوا عليها رجال موكلون بها وعندها حياض للورود فلما عبد الاصنام البقية من قوم ثمود بعث الله لهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فدعاهم الى توحيد الله فلم يجيبوه فلما شدد عليهم قتلوه وطرحوه فى تلك البئر فلما طرحوه غار ماؤها فهلك أهلها من العطش وهلكت البهائم اذ لم يكن غيرها فسماها الله تعالى البئر المعطلة ❊وأما❊ القصر المشيد فهو قصر بناه شداد بن عاد بأرض عدن وكان محكم البناء فلما مرت عليه الدهور استملكه الجان فلم يقدر أحد من الناس أن يدنو منه على مقدار ميل لما يسمع منه من أصوات الجن وضجيجهم ليلا ونهارا قال الكسائى أصحاب الرس كانوا بأرض حضرموت ومدينتهم تسمى الرس وكانت ذات أشجار وأثمار وقرى عامرة يسكن بها طائفة من أصحاب الرس يعبدون الاصنام وطائفة يعبدون النار (قال) السدى انما أهلك الله أصحاب الرس لانهم كانوا يأتون النساء فى أدبارهن ولم يؤمنوا بنبيهم حنظلة بن صفوان فتزايد كفرهم وطغيانهم فصاح عليهم جبرائيل صيحة فصاروا حجارة سوداحتى بضائعهم ومواشيهم (قال) السدى ان ذا القرنين لما طاف البلاد ودخل الى مدينة الرس رأى ملكها وأهلها ونساءها وأطفالها ودوابها وبضاعتها

وأشجارها وفاكهتها كلهم حجارة سودا (قال) الكسائي وكان بهذه المدينة جبل عال يقال له جبل الفلج وكانت تأوي اليه العنقاء بنت الريح وكانت عظيمة الخلقة اذا طارت تغطي عين الشمس مثل الغمام وكان عنقها مثل عنق البعير وكان لها أربعة أجنحة اثنان طويلان واثنان قصيران وكان ريشها ذا ألوان وكانت ترفع الفرس الميت والبعير والفيل وما أشبه ذلك عنقارها وتطير به الى الجبال لذي تأوي اليه فلما تزايد منها الاذى وصارت تخطف الاطفال الصغار من بني آدم وتصعد بهم الى الجبل فتزق بهم أفراخها شكا أهل المدينة الى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا على العنقاء وقال اللهم اقطعها واقطع نسلها فنزلت عليها من السماء صاعقة فاحترقت هي وافراخها ولم يبق لها وجود وقد أنكر بعض العرب وجود العنقاء وقال انما هذه حكاية وضعتها العرب حتى قيل في المعنى

انى اختبرت بنى الزمان فما بهم * خل وفى للنوائب أصطفى
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

انتهى على سبيل الاختصار

ذكر قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام روى وهب بن منبه ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ابن تارخ بن ناحور قال الحافظ السهيلي وكان آزر عم ابراهيم ولم يكن أباه واسم امه ليوثا وكانت مؤمنة تكتم ايمانها وكان مولده ببلاد حوران وقيل بقرية تسمى برزة من قرى دمشق في مغارة هناك معروفة وفيها الدعاء مستجاب (قال) السدى كانت الكهنة تخبر النمروذ انه سيولد في هذه السنة مولود يكون هلاك النمروذ على يديه فأمر بذبح كل مولود يولد في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل بيت حارسا بسبب ذلك (قالت) الرواة ان ساما وحاما ويافث أولاد نوح عليه السلام كانوا ثلاثة أقسام فكانت النبوة في أولاد سام ومساكنهم الحجاز وما يليها والقوة في أولاد حام ومساكنهم المغرب والتجبر في أولاد يافث ومساكنهم المشرق فولد لحام ولد يقال له كوش وولد لكوش ولد يقال له كنعان وولد لكنعان النمروذ المذكور قال وكان كنعان المذكور قوى البطش مولعا بالصيد واذا صاح بالسباع والوحوش تنشق مرائرها من شدة صيحته فتزوج امرأة فحملت بالنمروذ فلما استوفت أيام حملها ولدته فقال لها أبوه كنعان انه ولد مشؤم فاقتليه أو اطرحيه في الفلاة ليموت قال فأخذته وطرحته في الفلاة بين بقر ترعى فنفرت البقر عنه وكلما أبصره وحش فر منه فجاءت اليه امه بعد ذلك فحملته ورمته في نهر وظنت أنه قد غرق فأخرجه الماء الى البر سالما وسخر الله له نمرة ترضعه فرآه أهل قرية فحملوه وربوه وسموه النمروذ فلما شب جعل يقطع الطريق فاجتمع اليه خلق كثير فبلغ خبره الى أبيه كنعان فجمع عليه الجيوش

وسار كنعان بمن معه حتى أدرك ولده النمروذ فلما أبصر النمروذ تلك الجيوش القادمة صف جيوشه وتقدم امامهم ليكشف الخبر الذى قد ظهر له فلما أقبل كنعان بجيوشه حمل النمروذ عليه فيمن معه ووقع القتال فكسر النمروذ جيوش كنعان فعند ذلك برز كنعان وطلب النمروذ فقتل النمروذ اباه كنعان وهو لا يعلم انه ابنه وصارت المملكة بيد النمروذ وصار يغزو ملوك الارض ويظفر بهم حتى ملك شرق الارض وغربها وكان يعبد الاصنام فأخبرته الكهان بامر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وقالت له أن المولود الذى أعلمناك به قد حملت به أمه فى هذه الليلة وكانت أم ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذا مرت بين الناس لم يعلموا بحملها ولم يظهر عليها ذلك فلما دنت ولادتها خرجت هاربة خوفا على ما فى بطنها من الذبح فلما أخذها المخاض دخلت الى المغارة ووضعته فوجدته أحسن الناس وجها والنور يلمع من جبينه وفى ليلة ولادته وقعت الاصنام وطارت التيجان عن رؤسها ووقعت شرافات قصر النمروذ الى الارض ثم ان أم ابراهيم عليه السلام سدت عليه باب المغارة ومضت الى بيتها ثم أتت اليه بعد سبعة أيام فوجدته يشرب من ابهامه لبنا ومن أصابعه عسلا وزبدا فتركته ومضت وصارت تتردد اليه سنة كاملة وهو فى المغارة ويشب فى كل شهر كما يشب الطفل فى سنة ولما خرج من المغارة كان يقاس بابن اثنتى عشرة سنة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ورجع عن اعتقاده فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل علم أنه مخلوق أيضا فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر يعنى أكبر من الكوكب والقمر فلما مالت الى الغروب قال ان هذه الاشياء كلها لا تصلح أن تكون الهنا فعند ذلك قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ثم جعل يصيح ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين فسمعت الخلائق كلهم صوته بذلك فذعر النمروذ من ذلك قال فخرج ابراهيم يريد أباه وأمه فجاءه جبرائيل وأدخله على أبيه وأمه فوثب اليه أبوه واعتنقه لما رأى النور والحسن والجمال فقال لامه من ربك فقالت أبوك قال ومن رب أبى قالت النمروذ قال ومن رب النمروذ فنهوه عن ذلك فلم ينته وهو يقول لا اله الا الله هو ربى ورب كل شئ فعند ذلك بكت أمه وأبوه عليه خوفا من النمروذ فقال لهما لا تخافا على منه أنا فى حفظ من حفظنى صغيرا ويحفظنى كبيرا فخاف أبوه من النمروذ وان يغمز عليه أحد فجاء الى النمروذ وقال له أيها الملك أن المولود الذى كنت تحذره هو ولدى قد ولد فى غير دارى ولا أعلم به حتى الآن الى أن جاءنى وقد أخبرتك به فافعل به ما تريد ولا تلومنى بعد ذلك فقال النمروذ ائتونى به فأخذوه من عند امه

وحملوه الى النمروذ فرآه النمروذ وتميزه ثم قال احبسوه الى غد فلما جاء الصباح زين النمروذ مجلسه وصف جنوده وقال ائتونى بابراهيم فأتوا به فنظر ابراهيم يمينا وشمالا وقال ياقوم ماتعبدون فذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون فقال له النمروذ ياابراهيم ادخل فى دينى وما أنا عليه فانا الذى خلقتك ورزقتك فقال ابراهيم كذبت يانمروذ بل الذى خلقنى فهو يهدينى والذى هو يطعمنى ويسقينى الآية قال فبهت النمروذ وبهت الناس ووقع فى قلوبهم محبته من حسنه وجماله ولطافة حديثه فعند ذلك التفت النمروذ الى أبى ابراهيم وقال له ياآزر ولدك هذا صغير لايدرى مايقول ولايجوز لمثلى فى قدرى وعظم ملكى ان أعجل به فخذه اليك وأحسن اليه وحذره بأسى عسى يرجع عما هو عليه فأخذه آزر بيده الى أمه وصار يلاطفه ساعة ويحذره ساعة ويقول له خذ هذه الاصنام وبعها الكبير بكذا والصغير بكذا فكان لايصغى لقول أبيه بل يقول كما قال الله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيأ الآية وكان أبوه يقول له كما قال تعالى لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا ✱ قال وكان ابراهيم يأخذ الاصنام من أبيه ويذهب بها والحبل بأرجلها ويجرها خلفه ويقول من يشترى مايضره ولاينفعه فكانت الناس تنظره ولاتجسر عليه بالنهى عن ذلك لحرمة أبيه آزر عندهم ✱ قال فلما مضى على ابراهيم من العمر سبع عشرة سنة وخالط الناس فقالوا له امض معنا الى عيد آلهتنا وكان للاصنام بيت مبنى بالرخام الابيض والاخضر وفيه ثلاث وسبعون صنما وهم جالسون على كراسى من ذهب وكان كبير هذه الاصنام على رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة وله عينان من الياقوت الاحمر والاصنام عن يمينه وشماله وكان القوم يصنعون طعاما ويضعونه بين الاصنام فى يوم عيدهم وكانت الشياطين تأخذ الطعام فيظنون أن الاصنام أكلته فيفرحون لذلك ويقولون هى راضية علينا بأكلها قال فصنع القوم الطعام ووضعوه عند الاصنام على المائدة وخرج القوم الى الصحراء للعيد الا ابراهيم فانه لم يخرج معهم وقال لهم انى سقيم فقالوا اتركوه فلعل الطاعون قد أصابه فلما تخلف ابراهيم عنهم أخذ فأسا فكسر تلك الاصنام كلها الا الصنم الكبير فانه لم يكسره بل علق الفأس برقبته ومضى ابراهيم فلما رجع القوم الى الاصنام وجدوها مكسرة والفأس معلق برقبة الصنم الكبير فقالوا من فعل هذا بآلهتنا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فقال النمروذ ائتونى به على أعين الناس لعلهم يشهدون فلما حضر ابراهيم قال له النمروذ أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون فقال ابراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله فكابر عند

ذلك هو ووزراؤه وقالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال السدى فلما اجمع هو ووزراؤه على حرق ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمر بجمع الاحطاب على البغال من الجبال فلذلك قطع الله نسل البغال فلازالوا يجمعونها الى مدة ثلاثة شهور ثم اطلقوا فيها النار فارتفع دخانها حتى كادان يهلك أهل المدينة من شدة حر النار والدخان فكان بعض الناس ينزل ويختفي فى الاسربة من شدتها قال وكانت النار فى قرية يقال لها الغوطة وحر النار وصل الى دمشق الشام فتحيروا كيف يلقون ابراهيم فيها من حرها ولم يجسر أحد أن يتقدم ليلقى ابراهيم فيها فجاء ابليس اللعين على صورة رجل وقال لهم أنا أصنع لكم منجنيقا لترموا به ابراهيم وكان ابليس قد رأى منجنيقات جهنم المعدة للكفار فى أودية النار فلما صنع ابليس المنجنيق فرح النمروذ بذلك ووضعوا ابراهيم فى تابوت ووضعوه فى المنجنيق وهموا أن يلقوه فى النار فضجت ملائكة السموات والارض وقالوا الهنا وسيدنا عبدك ابراهيم لا يعبدك غيره فى الارض فكيف يرمى فى النار فأوحى الله اليهم يا ملائكتى ان طلب الاعانة منكم فاعينوه فجاء اليه ميكائيل عليه السلام وقال يا ابراهيم ان أردت ان أسوق لك الامطار وأطفئ لك النار فقال ابراهيم لا حاجة لى بك ثم جاء اليه جبرائيل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال ابراهيم عليه السلام أما اليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى واذا النداء من العلى الاعلى يا جبرائيل اضرب بجناحك النار فضربها بجناحه فانطفأ لهيبها وجعلها الله عليه بردا وسلاما بدليل قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأجرى الله بجانبه عينا من الماء البارد وبجانبها شجرة رمان وأتاه جبرائيل بسرير من الجنة وعليه فراش من السندس وتاج وحلة فلبسها ابراهيم وجلس على السرير فى أرغد عيش هذا ما كان من أمر ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما ألقى فى النار * وأما النمروذ المبعود عن رحمة الله تعالى فانه قصد مكانا عاليا وأراد النظر وما صار بابراهيم واذا بشرارة طارت الى أثواب النمروذ فاحرقتها جميعا الا بدنه فلم يحترق ليعلم ان النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى كل ذلك ولم يعتبر النمروذ *سؤال* لم ابتلى الله ابراهيم عليه السلام بالنار ولم يبتل قبله أحد بها *الجواب* ان ابراهيم عليه السلام كان يخاف من النار فادخله الله اليها ليعلم ان النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى قال السدى آمن فى ذلك اليوم أناس كثيرون لما رأوا هذه المعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم ولما رأى النمروذ ذلك قال لابراهيم اخرج من أرضنا لئلا تفسد علينا ديننا فخرج ابراهيم وصحبته سارة * وكان ممن آمن به وصحبه ابن أخته لوط عليه السلام وتوجه ابراهيم بها نحو أرض حوران فأوحى الله اليه أن تزوج بسارة فتزوج بها وتاجر فصار عنده مال عظيم فاشترى قماشا وأخذ زوجته سارة وتوجه بها الى

مصر قال وكانت سارة ذات حسن وجمال وقد واعتدال حتى لم يكن فى زمانها أجمل منها فلما دخل بها الى أرض مصر قيل له يا ابراهيم ان بمصر ملكا جبارا يحب النساء وكان من عادته اذا سمع بامرأة جميلة يتزوج بها قهرا وكان اسم الملك طوطيس وكان من عادة الملوك السابقة ان يسكنوا بمدينة يقال لها منوف وكان له حراس يقيمون على الطرقات ليأخذوا العادة من المسافرين وكان ابراهيم قد وضع زوجته سارة فى صندوق ليخفيها عن الملك فلما سار ابراهيم بين يدى الحراس أرادوا فتح الصندوق ليروا مافيه ولم يقدر ابراهيم على منعهم من فتحه ففتحوه فاذا بسارة فى الصندوق فحملوها الى الملك فقال من هذه المرأة يا ابراهيم فقال هى اختى (عنى انها اخته فى الخلقة) فقال الملك زوجنى اياها فقال انها متزوجة فاخذها الملك قهرا (قال الراوى) فرفع الله تعالى الحجاب عن بصر ابراهيم حتى انها لم تغب عن معاينته ليطمئن قلبه اذا رجعت اليه قال فلما دنا الملك منها وأراد أن يتناولها بيده يبست ثم تاب فانطلقت يده ثم عاد فمد يده اليها ثانيا فيبست يده ورجله فتاب فانطلقت يده ورجله فعاد ❊ وقيل انه تاب فعاد سبع مرات الى أن تاب توبة صادقة كل ذلك وابراهيم ينظر وقد كشف الله الحجاب عن بصره فدعا الملك بابراهيم وأحضره وأكرمه وأعطاه زوجته ووهبه جارية تسمى هاجر فتزوجها ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ثم ان ابراهيم خرج من مصر يريد الشام فاقام عند قوم بواد يقال له وادى السبع فاوسع الله عليه الرزق من المال والمواشى حتى قيل كان له اثنا عشر ألف قطيع من الغنم وفى كل قطيع كلب وعليه جل من الديباج الملون وفى عنقه سلسلة من الذهب وكان ابراهيم أغنى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى المعيشة وكان لا يأكل الا مع الاضياف وكان اذا أمسى المساء ولم يكن عنده ضيف مشى الميل والميلين ليجد من يأكل معه فكان كما يقال فى المعنى

لا مرحبا بالليل ان لم يأتنى ❊ فى طيه ضيف ملم نازل
والصبح ان وافى فلا أهلا به ❊ ان كان عندى فيه ضيف راحل

(قيل) ان ابراهيم عليه السلام أول من أقرى الاضياف وأول من شاب فلما رأى الشيب فى لحيته أنكره فقال يارب ما هذا فأوحى الله اليه هذا الوقار فقال يارب زدنى وقارا فاصبحت لحيته بيضاء ❊ وقيل لما كثرت مواشيه ضاقت عليها الارض فاجتمع عليه أهل تلك الارض وقالوا له يا صالح وكان يسمى عندهم بالشيخ الصالح اخرج من بلادنا فانك ضيقت الارض علينا بمواشيك قال فعزم على الرحيل فلما رحل عنهم نشفت الآبار من الماء وكان فيها الماء من بركته فهلك القوم من العطش فلحقوه وسألوه الرجوع فابى فشكوا اليه قلة الماء فاعطاهم سبع نعاج وقال أوقفوا على كل بئر

نجة فيأتيكم الماء فأخذوا النعاج وأوقفوها على الآبار فرجع الماء ببركة مواشيه صلى الله عليه وسلم ولذلك سمي الوادي بوادي السبع (قال) قتادة فلما تزوج ابراهيم عليه السلام بهاجر جاءه منها اسمعيل عليه السلام وقد صار عمره خمسة وثمانين سنة فلما كبر اسمعيل شمخت هاجر على سارة وصارت تعارضها فيما تقول فحلفت سارة يمينا مغلظا لتقطعن قطعة من لحم هاجر فلما سكن غضبها بقيت سارة متحيرة في أمر اليمين فأفتاها ابراهيم حين قصت عليه اليمين وقال اثقبي اذنيها ففعلت ذلك * ثم ان سارة قالت لابراهيم لا أسكن أنا وهاجر في مكان واحد فأوحى الله الى ابراهيم بأن لا تخالف سارة وأمره أن يمضي بهاجر واسمعيل الى محل الحرم وكان اسمعيل طفلا رضيعا فأركب اسمعيل وأمه على بعير وأخذ معه سقاية وجرابا فيه دقيق وسار الى مكة فأنزلهما في محل الحرم وكان موضع البيت الشريف يومئذ ربوة حارة فصنع ابراهيم هناك بيتا من عريش الشجر وترك عندهما السقاية والجراب المملوء دقيقا فلما أراد الانصراف عنهما قالت له هاجر الى أين تمضي قال الى نحو الشام قالت وكيف تذهب وتتركنا في هذا المكان الذي لا نبات به ولا ماء ولا أنيس فلا زالت تقول له مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا فقال لها نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انطلق ابراهيم وهو يقول ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم ثم ان هاجر أقامت هناك ثلاثة أيام وفرغ ما كان معها من الماء والدقيق فعطشت هي وابنها فجعلت هاجر تصعد الى الصفا وتنظر هل ترى ماء أو أحدا ثم تذهب الى المروة وتنظر هل ترى ماء فسعت بين الصفا والمروة سبع مرات وهي كالولهانة وتتضرع الى الله عز وجل في طلب الماء فلاجل ذلك صار السعي واجبا بين الصفا والمروة على سائر الحجاج * وأما اسمعيل فانه كان يبكي تارة ويسكت أخرى حتى أشرف على الهلاك من قلة الماء فبينما هي كذلك اذ سمعت هاتفا يقول ارجعي قد أنبع الله لك ماء فرجعت فوجدت الماء قد نبع بين أقدام اسمعيل وهو يفور ويسيح فخافت هاجر منه فقالت زم زم يا مبارك حتى أمسك عن جريانه فلذلك سميت زمزم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو أنها لم تقل زم زم يا مبارك لكان زمزم عينا جارية (ويروى) أن جبريل عليه السلام أتى الى هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة فقال لها من أنت قالت أنا سرية ابراهيم خليل الرحمن وقد تركني ههنا فقال جبرائيل الى من ترككما قالت الى الله تعالى فقال لقد ترككما الى كاف وقال الله تعالى أليس الله بكاف عبده ألا يعلم من خلق ثم ان جبرائيل أتى زمزم وركضه برجله ففاض الماء ولذلك يقال لزمزم ركضة جبرائيل ثم ان اسمعيل وأمه جعلا يشربان من ذلك الماء فكان يكفيهم غذاء وشربا

لبركته فقامت هناك مدة * وقيل ان جماعة من بنى خزاعة من أولاد جرهم نزلوا بالقرب من مكة فرأوا الطيور وقد كثرت هناك فقالوا ان هذه الطيور لا تنزل الا على ماء فجاؤا فوجدوا الماء فقالوا لهاجر ان هذا الماء فقالت لهم ان الله تعالى قد خصنى به فقالوا لها الا ننزل عندك حتى نجعل لك نصيبا من مواشينا فقالت لهم نعم فنزلوا عندها وضربوا حولها المضارب وأقاموا عندها فلما كبر اسمعيل عليه السلام وانتشا بين العرب وتعلم منهم اللغة العربية والفروسية تزوج من بناتهم ورزق الاولاد ولهذا قال اسمعيل أبو العرب (وقيل) ان ابراهيم بعد ذلك قدم الى مكة فسأل عن بيت اسمعيل فدلوه فأتى الى باب داره وطرق الباب فخرجت اليه زوجة اسمعيل فسألها عنه فقالت له انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت نحن فى أسوء حال من ضيق المعيشة فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قالت له قد جاء اليك شيخ صفته كذا وكذا وذكرت له الوصية فقال لها هذا أبى وقد أمرنى أن أفارقك فالحقى بأهلك ثم ان اسمعيل تزوج بامرأة غيرها من بنات العرب فقدم ابراهيم مرة ثانية فدق الباب فخرجت اليه زوجة اسمعيل فقال لها أين زوجك فقالت انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت بخير والحمد لله فقال وما طعامكم فقالت اللحم واللبن فقال وما شرابكم فقالت ماء زمزم فقال اللهم بارك لهم فى لحمهم ولبنهم ومائهم ثم أوصاها وقال اذا جاء زوجك فأقرئيه منى السلام وقولى له يثبت عتبة بابه (قال) السدى لما دعا ابراهيم بالبركة لم يكن غير اللحم واللبن والماء فلو كان غيره ودعا له بالبركة مثل الحبوب كالقمح والشعير والفول لكان كثيرا بدعوته ثم غاب ابراهيم عليه السلام مدة طويلة فاستأذن سارة فى المسير الى زيارة ولده اسمعيل فاذنت له وشرطت عليه أن لا يكلم هاجر ولا ينظر اليها فقال نعم ثم انه قدم الى مكة وجاء الى بيت اسمعيل فدق الباب فقالت زوجته ما تريد فقال أين اسمعيل فقالت انه خرج يتصيد فسألها عن هاجر فقالت انها قد ماتت ودفنت قريبا من الحجر * وقيل لما توفيت هاجر كان لها من العمر نحو ستين سنة ولاسمعيل من العمر عشرون سنة ثم ان ابراهيم جلس فى الحرم واغتسل من ماء زمزم وجعل ينتظر ابنه اسمعيل فلما جاء من الصيد وجد أباه عند بئر زمزم فاعتنقه ثم أخذ بيديه وأضافه فأخرج له لحما ولبنا فأكل ثم قال ابراهيم يا بنى ان الله قد أمرنى بان أبنى له بيتا على هذا التل الاحمر فكن لى معينا على ذلك

* ذكر بناء البيت *

(قال) الثعلبى لما أمر الله تعالى ابراهيم ببناء البيت أرسل اليه سحابة بيضاء على قدر البيت ونودى يا ابراهيم ابن البيت على قدر هذه السحابة وظلها * وروى الواقدى أن ابراهيم لما حفر أساس البيت رأى حجرا من رخام أخضر وعليه أربعة أسطر * السطر

الاوّل مكتوب لا اله الا أنا رب البيت مغليها وهى قزاز ومرخيها وهى قفار ❊ والسطر الثانى مكتوب لا اله الا أنا رب البيت مهلك الطغاة ومفقر الزناة ومخزى تارك الصلاة والسطر الثالث مكتوب أنا الله لا اله الا أنا ارزق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة أن لا حيلة له قال وأوحى الله الى ابراهيم بأن يأتى بحجارة البيت من خمسة جبال جبل طورسيناء وجبل طورزيتا وجبل لبنان وجبل الجودى وجبل حراء بمكة فيكون يوم القيامة بثقل هذه الجبال فى موازين الحجاج فلما جمعت هذه الاحجار من الجبال المذكورة شرع ابراهيم فى بناء البيت فكان اسمعيل يأتيه بالحجارة و يعجن له الطين وما زالا على ذلك الى ان ارتفع البناء وهو قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل قال ان الحجر الذى يعرف بمقام ابراهيم كان اذا بنى وقف عليه فتارة يرتفع به اذا ارتفع البناء وتارة يهبط به اذا أراد الارض قال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه رأيت أثر قدم ابراهيم فى هذا الحجر وقد أثر فيه كعبه وأخماس أصابع رجليه غير انه اختفى رسمه من كثرة لمس الناس له بأيديهم فمحى ذلك من كثرة الايام والليالى قال الكسائى بينما ابراهيم يبنى فى البيت اذ ناداه جبل أبى قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فلما دنا منه انشق من الجبل قطعة وخرج منها الحجر الاسود وكان نوح عليه السلام حين خرج من السفينة بعد الطوفان أودع الحجر الاسود بهذا الجبل فانطق الله الجبل بالوديعة فلما أتم ابراهيم بناء البيت أوحى الله اليه أن اصعد الى سطح البيت وأذن فى الناس بالحج قال فبلغ صوته مشارق الارض ومغاربها لان الله تعالى قال له يا ابراهيم منك النداء وعلى البلاغ وقيل ان ابراهيم طلع الى جبل عرفات ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس ان الله تعالى قد بنى لكم بيتا فحجوا اليه فبلغ مدى صوته المشرق والمغرب فمن أجاب بالتلبية كتب له حج ومن لم يلب لم يحج فذلك قوله تعالى وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا الآية (قال) الثعلبى ولم يزل هذا البيت على بناء ابراهيم الى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدمت قريش ما بناه ابراهيم وبنوه ثانيا وجعلوا داخله صور أربعة من الملائكة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وجعلوا أيضا فيه صور الانبياء المرسلين فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة فى عام الفتح طمس تلك الصور جميعها ثم بعد ذلك جدد بناءه عبد الله بن الزبير لوهن أركانه من النار التى أحرقتها ثم ان الحجاج هدم ما بناه عبد الله بن الزبير وبناه على هذه الصفة التى هو عليها الآن وذلك سنة أربع وسبعين من الهجرة النبوية فى خلافة عبد الملك بن مروان الاموى

❊ ذكر قصة ذبح اسمعيل عليه السلام ❊ قال السدى قد اختلف جماعة من العلماء فى الذبيح فمنهم من قال انه اسحق وأهل التوراة يرجحون ذلك والاشهر انه اسمعيل لقول

بعض العرب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين وهما اسمعيل عليه السلام وعبد الله الذى فداه ابوه بمائة بعير قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان ابراهيم كان قد نذر فى سره ان ولد له ولد ذكر ليذبحنه قربانا الى الله تعالى فلما تمادت عليه الايام والليالى نسى ما نذره (قال) السدى ان ابراهيم رزق اسمعيل قبل اسحق بثلاثين سنة فبينما ابراهيم نائم اذ رأى فى منامه قائلا يقول له يا ابراهيم ان الله يأمرك أن تفى بنذرك وهو ذبح ولدك بيدك فانتبه ابراهيم وهو مذعور فكان يرى تلك الرؤيا فى سبع ليال متوالية فعزم على ذبح ولده (قال) السدى لما قوى عزم ابراهيم على ذبح ولده ناداه يا اسمعيل خذ معك حبلا ومدية قال وما تصنع بهما يا أبت قال أذبح كبشا قربانا الى الله تعالى فانطلق هو وابنه اسمعيل وسار به الى شعب جبل عند وادى منى فبينما هما يمشيان اذ تعرض ابليس اللعين لاسمعيل بصورة شيخ فقال الى أين تمضى يا اسمعيل قال ليقرب أبى قربانا الى الله تعالى فقال ابليس أتدرى ما القربان الذى يقربه ابوك قال لا قال انه يريد أن يذبحك وقد جئتك ناصحا فقال يا ابليس أيفعل هذا أبى من قبل نفسه أم بامر ربه فقال ابليس بل بأمر ربه فقال اسمعيل اذا كان الذبح بأمر ربى فكيف أعصى ذلك فرجع ابليس خائبا فكان كلما يتبع اسمعيل يرميه بالحصى ففعل ذلك سبع مرات فصار من يومئذ رمى الجمار سنة فلما وصل ابراهيم الى شعب الجبل جلس وقال لاسمعيل ان الله تعالى أوحى الى بذبحك وقد رأيت ذلك فى المنام سبع مرات فى سبع ليال متوالية فقال اسمعيل يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما رأى ابليس ذلك جلس على الجبل ليرى ما يكون من أمرهما ثم ان ابراهيم أضجع ابنه على جنبه الايمن وشد يديه ورجليه بحبل فقال اسمعيل يا أبت لا تشدد رجلى ويدى بالحبل لئلا تقول الملائكة قد جزع من أمر ربه فخله واستمر اسمعيل مضطجعا على جنبه الايمن من غير وثاق ثم ان ابراهيم عليه السلام وضع المدية على نحر اسمعيل وصار يحزبها مرارا فلم تؤثر فى نحره ولم تخدش شيأ فعند ذلك ضجت من هذه الواقعة ملائكة السماء والارض والطير والوحش والحيتان فى البحر وانطلق الكل بالابتهال الى الله تعالى وصاروا يقولون الهنا وسيدنا ومولانا ارحم هذا الشيخ الكبير وافد هذا الطفل الصغير ثم قال اسمعيل لابيه يا أبت كبنى على وجهى فانك اذا نظرت الى وجهى ترحمنى فكبه على وجهه ووضع السكين وحزبها فلم تؤثر فرمى ابراهيم السكين من يده فأنطق الله تعالى السكين وقالت يا ابراهيم أنا بين أمرين فالخليل يقول اقطعى والجليل يقول لا تقطعى وانى من قبل الجليل لا من قبل الخليل وكيف أقطع فى نحر اسمعيل ونور محمد صلى الله عليه وسلم فى جبهته يلمع ثم ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين وفديناه بذبح عظيم قال فبينما

هو كذلك واذا بجبرائيل أتاه ومعه كبش أملح وقال هذا فداء ولدك خذ. واذبحه فداء لاسمعيل وأدركه بالفرج الجزيل (وأنشد في المعنى)

انا سمعنا مقالا قاله فطن ❋ في أضيق الوقت يأتي الله بالفرج

(قال) الثعلبي ان الاضحية صارت من وقتها سنة ابراهيم عليه السلام (سؤال) لم فدى الله تعالى اسمعيل بكبش ولم يجعل فداءه جملا أو بقرة أو غير ذلك (فالجواب) ان ابراهيم لما أخذ الحبل والمدية فقال اسمعيل وما تصنع بهما قال أذبح كبشا فصدق الله تعالى قول خليله (جواب آخر) ان الله تعالى ادخر الكبش الذي كان قربه هابيل ابن آدم فاخره الله ليعلم عباده ان الخير من الاجداد ينفع الاولاد (قال) السدى كان هذا الكبش قدر الفيل العظيم وليس به عظم بل كله لحم وشحم ولم يكن على بدنه صوف وكان يرتع في رياض الجنة فصار عظيم الخلقة فذبحه ابراهيم وفرق لحمه على الفقراء والمساكين وكان ذبحه بمنى فصار فداء الحاج هنالك كل سنة (قال) السدى وكان اسمعيل حين الذبح له من العمر عشرون سنة (قال) الكسائي عاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ويروى انه لما مات دفن تحت الميزاب انتهى ملخصا

❋ذكر قصة هلاك النمروذ بن كنعان❋ قال الثعلبي ان النمروذ هو أول من تجبر في الارض وادعى الربوبية من دون الله تعالى (قال) السدى ان الغلاء وقع في زمن النمروذ وأجدبت الارض فكان النمروذ يخزن عنده جميع الغلال فيقصده الناس من سائر الاقطار وكان لا يبيع أحدا شيأ حتى يسجد له ويقول أنت ربي ووقع القحط في الارض التي بها ابراهيم فسار ابراهيم الى النمروذ ليشتري منه غلالا فلما وصل الى النمروذ ووقف بين يديه عرفه النمروذ فقال يا ابراهيم من أنا فقال ابراهيم أنت عبد من عبيد الله تعالى فقال النمروذ اسجد لي فقال ابراهيم لا ينبغي السجود الا للرب المعبود فقال النمروذ ومن الرب المعبود قال ابراهيم الرب المعبود هو الذي يحيي ويميت فقال له النمروذ أنا أحيي وأميت فاستدعى برجلين وجب عليهما القتل فقتل واحدا وأطلق الآخر فقال ها أنا أمت وأحييت فقال ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين فعند ذلك قال النمروذ لابدان اقاتل اله ابراهيم فأمر ببناء الصرح (قال) كعب الاحبار كان طول ذلك الصرح فرسخين في عرض فرسخ وقال الآمدى كان بناؤه في أرض بابل ثم عمد النمروذ الى أربعة نسور ورباها على اللحم والخمر حتى استكملت قوتها ثم صنع تابوتا من الخشب وجعل لذلك التابوت بابا من اعلاه وبابا من أسفله وربطه بارجل النسور بعد ان جوعهم وعلق لحما على عصى فوق التابوت ثم دخل النمروذ في التابوت وأخذ معه قوسا وثلاثة أسهم وأخذ معه أحد وزرائه ممن كان يثق بعقله

ثم كشف اللحم للنسور فأقلعوا طمعا في اللحم فبعد ساعة قال لوزيره اكشف الباب
الاعلى فنظر الى السماء فوجدها على هيئتها ثم كشف عن الباب الاسفل فنظر الى
الارض فوجدها كاللجة ووجد الجبال كالدخان ثم أطبق البابين ثم بعد زمان وقد
كادت النسور أن تهلك من التعب فتح البابين فنظر الى السماء فوجد ظلمة ونظر الى
الارض فرأى ظلمة فبينما هو صاعد اذ ناداه ملك الى أين يا عدوّ الله فظن النمروذ أن
الذي ناداه اله السماء فأخذ القوس ووضع السهم وصوبه نحو السماء ورمى به في الهواء
فغاب السهم عنه ساعة ثم عاد اليه وهو ملطخ بالدم ففرح النمروذ بذلك وقال قتلت
اله السماء قال عكرمة ان السهم أخذته سمكة وقربت نفسها الى الله تعالى فأصابها
ذلك الدم منها وهي في بحر بين السماء والارض قال العزيزي ان النمروذ لم يزل يصعد
في الجوّ الى أن ناداه ملك الى أين يا عدوّ الله ان بينك وبين السماء خمسمائة عام ثم صعق
الملك صعقة مات منها الوزير ثم ان جبرائيل عليه السلام ضرب التابوت بجناحه فسقط
في البحر فقذفته الامواج الى البر فخرج النمروذ من التابوت وقد ابيضت لحيته من
الخوف مما رأى من الاهوال فلما رآه قومه أنكروه ولم يصدقوا أنه النمروذ قال الثعلبي
ان الله سلط على ذلك الصرح ريحا عاصفا فألقته على من كان من أرباب دولته وذلك
قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ثم ان النمروذ أحضر ابراهيم وقال له قل
لربك بان ينزل من السماء الى الارض حتى أتقابل معه فان ذلك من عادة الملوك تقابل
وتقاتل فأوحى الله الى ابراهيم أن قل للنمروذ ينظر الى سائر المخلوقات ويختار أي
جنس نرسله عليه فاختار البعوض لانه لا يأكل الا أكلة واحدة ويموت فقال
ابراهيم اجمع عساكرك من جميع الجهات والبس الدروع والجواشن وتهيأ لهذا
الجند الذي هو أضعف جنود الله القوي فجمعهم النمروذ فكان مقدارهم مسيرة
أربعة فراسخ ❊ قال العزيزي ان هذا الجمع كان بأرض الكوفة فلما كان الميعاد ظهر
عسكر البعوض من البحر حتى سد ما بين الخافقين وحتى حجب الشمس عن الابصار
فأمرهم الله أن ينتشروا على عساكر النمروذ ويأكلوهم فصارت تأكل الدروع
والجواشن والسلاح حتى وصلت الى لحومهم فأكلتها ولم يبق منهم غير العظام فهلكوا
جميعا ثم أرسل الله تعالى الى النمروذ بعوضة ضعيفة بجناح واحد وهي أصغر البعوض
كله فدخلت في أنفه وصعدت الى رأسه فانهزم وأخره الله تعالى ليعتبر قيل انها مكثت
في رأسه أربعين سنة فكان يأمر غلمانه أن يضربوه بالنعال على رأسه فيجد بذلك راحة
فلما طال عليه الامر ضربه أحد خدامه بطبر على رأسه فانفلق فخرجت تلك البعوضة
وهي مثل العصفور وتقول هذا جزاء عدوّ الله وذهبت وأهلك الله تعالى النمروذ
وجنوده بأضعف جنوده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال تعالى وما يعلم

جنود ربك الا هو وقد قيل فى المعنى

فلسان الكون عنه ناطق * ان هذا الملك لله الصمد
جل خلقا عن مثال سابق * وتعالى عن نظير وانفرد
فاذا عاينتم آياته * نزهوه عن شريك وولد

ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام قال كعب الاحبار خرج ابراهيم عليه السلام في طلب الاضياف فمر به ملك الموت في صورة شيخ كبير فسلم على ابراهيم فرد عليه السلام وقال له من أنت قال أنا عابر سبيل فأخذ بيده وأتى به الى منزله فلما رأته زوجته عرفت أنه ملك الموت فبكت فلما دخل اسحق وجد أمه تبكى فبكى الآخر فلما وجدهما ملك الموت يبكيان خرج من المنزل ومضى فلما جاء ابراهيم ووجد الضيف قد مضى غضب على سارة واسحق وقال بكيتما فى وجه ضيفى حتى مضى وكان لابراهيم بيت يتعبد فيه فدخله ابراهيم فوجد الضيف فيه فقال له ابراهيم من أدخلك بيتى من غير اذنى فقال له الضيف لاتجد عنى يا ابراهيم أنا ملك الموت فقال له ان كنت صادقا فأرنى آية تدل على انك ملك الموت فقال له حوّل وجهك عنى فحوّل ثم التفت ابراهيم اليه فرآه على الصورة التى يقبض بها أرواح الانبياء والمؤمنين وهى صورة حسنة منوّرة ثم قال لابراهيم حوّل وجهك عنى فحوّل ثم عاد فنظره على الصورة التى يقبض بها أرواح المنافقين والكفار فعند ذلك غشى على ابراهيم فتركه ملك الموت وانصرف عنه مدة *ثم ان ابراهيم خرج يوما الى منظرضيفا فرأى شيخا كبيرا فأخذ بيده وأدخله الى بيته وأحضر له شيأ من العنب فجعل الشيخ يأخذ من العنب ويمج ويرمى بجلد العنب وماؤه يسيل على لحيته فتعجب منه ابراهيم وقال أيها الشيخ كم لك من العمر قال كذا وكذا سنة فاذا هو قدر عمر ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم اللهم اقبضنى اليك حتى لا أصير الى الهرم فكان ابراهيم أول من طلب الموت فلما دنا منه ملك الموت قال له يانبى الله على أى حالة تحب أن أقبض روحك فقال ابراهيم وأنا ساجد لله تعالى فقبض روحه وهو ساجد *وقد اختلف جماعة من العلماء فى مدة حياة ابراهيم فمنهم من قال عاش مائة وخمسة وسبعين سنة ومنهم من قال عاش مائتى سنة والله سبحانه وتعالى أعلم (قال) السدى ان سارة توفيت قبل ابراهيم بمدة طويلة وجاوزت من العمر مائة وسبعا وعشرين سنة فلما ماتت اشترى لها مغارة ودفنها فيها وهى فى قرية حبرون من أرض كنعان ولما مات ابراهيم عليه الصلاة والسلام دفن فى تلك المغارة

ذكر قصة اسحق عليه السلام قال وهب بن منبه لما رزق ابراهيم بابنه اسمعيل من هاجر انكسر قلب سارة لانها لم ترزق ولدا وكان لها من العمر خمسة وثمانون سنة فبشرها الله باسحق بعد هذه المدة كما جاء فى القرآن وان يكون من نسله ألف نبى فعند

ذلك طاب قلب سارة بهذه البشارة (قال) السدى كان بين اسمعيل واسحق نحو ثلاثين سنة وكان اسحق شديد الغيرة وكان نبيا مرسلا قد بعثه الله الى قوم بالشام فلما كبر اسحق تزوج بامرأة من أرض حوران وهى رفقاء بنت توبيل فلما دخل بها حملت منه بغلامين فى بطن واحد وهما العيص ويعقوب قال السدى ان العيص تكلم فى بطن أمه فسمعته فاخبرت أباه بذلك فقال لها ان سمعت فاعلمينى فلما سمعت اعلمته فجعل اسحق أذنه عند سرة زوجته فسمع العيص يقول ليعقوب والله لئن خرجت قبلى لاخرقن بطن أمى وأقتلك فقال له اسحق يامبارك ارع حق أمك ولا تخرق بطنها ولا تقتل أخاك فلما كان الوضع كان العيص يسابق يعقوب فخرج العيص أولا وتاخر يعقوب بعده فلذلك سمى العيص عيصا لانه عصى أخاه عند الخروج لان يعقوب كان أكبر منه وأسبق فى الحمل وسمى يعقوب يعقوب لانه تعقب فى خروجه من بطن أمه فلما كبرا كان العيص أحب الى أبيه وكان يعقوب أحب الى أمه فلما كبر اسحق فى العمر كف بصره فقال لولده العيص ياعيص ائتنى بكبش حتى أذبحه واجعله قربانا الى الله تعالى وأدعولك دعوة فعسى أن تنفعك دعوتى ان شاء الله تعالى واجعل يدك عند يدى وقت الدعاء فسمعت زوجته ماقاله لابنها العيص فاخبرت ابنها يعقوب بذلك وقالت له اسبق أنت الى كبش وائت به الى أبيك والبس فروة مقلوبة لان العيص كان على بدنه شعر مثل شعر المعز فاذا المسك أبوك يعلم أنك العيص انه فيدعولك وتفوز بدعوته فعند ذلك أسرع بكبش والبس فروة مقلوبة وجاء الى أبيه وقدم له القربان مشويا فأكل منه اسحق وقال قدم يابنى وهو يظن أنه العيص فتقدم يعقوب ولمسه أبوه فوجد الشعر فقال اسحق ان المس مس العيص والريح ريح يعقوب فقالت زوجته هو ابنك العيص فادع له فوضع كفه على كف يعقوب وقال اللهم اجعل من ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عند أبيه فجاء فى أثره العيص ومعه كبش مشوى فوضعه بين يدى أبيه فقال له من أنت قال انا ابنك العيص فقال يابنى قد سبقك بالدعوة أخوك يعقوب وفاز بها فعند ذلك غضب العيص وقال لاقتلن يعقوب فقال اسحق يابنى لاتغضب قد بقى لك عندى دعوة فرفع يده وقال اللهم اجعل ذريته عدد الرمل والحصى ولم يملكهم أحد غيرهم فكان من نسله بنو الاصفر وهم ملوك الفرنج وكان العيص به صفرة زائدة فكان يسمى الاصفر فكان فى قلب العيص من أخيه يعقوب شئ فقالت أمه ليعقوب اذهب الى منزل خالتك بأرض نجران واترك لاخيك أرض كنعان فانى أخشى عليك منه فسرى يعقوب هو وعم له تحت الليل فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل الى منزل خالته وكان اسمها ليان وكان لها ابنتان فتزوج بواحدة منهما ثم تزوج بالاخرى وهى الصغيرة فرزق منها بيوسف

بنيامين وكان ذلك جائزا فى شريعته ولم يزل ذلك جائزا الى أن بعث موسى بن عمران عليه السلام فأنزل الله عليه تحريم ذلك فرزق الله يعقوب من زوجته اثنى عشر ولدا فلما كبر أولاده قصد الرجوع الى أرض كنعان فأمر أولاده أن يسبقوه واذا وصلوا يدخلون ويسلمون على عمهم العيص ويقولون له نحن أولاد أخيك يعقوب وقصده منك الترفق والتودد لما جرى بينكما من الدعوة كما سبق فلما وصلوا ودخلوا وسلموا عليه وقالوا له ذلك فعند ذلك طاب قلبه على أخيه وزال ما عنده وترحب بهم وأحبهم حبا شديدا ولما قدم يعقوب بعد ذلك تلطف بأخيه العيص وأقام عنده مدة ثم ان العيص ترك أرض كنعان لأخيه يعقوب وأولاده ورحل الى بعض بلاد الشام فتزوج هنالك بابنة عمه اسمعيل وكان اسمها نسمة فجاء منها عدة أولاد ذكور وأناث فجاء من نسله الروم ولم يجئ من نسله نبى سوى أيوب عليه السلام وقيل ان القياصرة ملوك الروم من أولاد العيص وكذلك ملوك بنى الاصفر (قال) السدى ان اسحق عاش من العمر مائة وستين سنة ولما مات دفن بارض فلسطين ثم نقل بعد ذلك الى أبيه ابراهيم ولما مات العيص كان عمره مائة وعشرين سنة والله أعلم انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار

❊ذكر قصة لوط عليه السلام❊ قال وهب بن منبه هو لوط بن هرون بن تارخ بن أخى ابراهيم قال السدى ان لوطا بعث فى زمن ابراهيم الى قوم سدوم بارض غرورة زغر وكانوا أهل كفر يرتكبون الفاحشة فوقع بارضهم الغلاء فكانوا يدخرون الغلال ويطلبون بذلك الغلاء وكان الناس يقصدونهم من سائر الاقطار فجاء اليهم ابليس اللعين فى صفة شيخ كبير فقال لهم انى خبير باحوال الزمان فان كان عندكم شئ من الغلال فامسكوا أيديكم فى بيعها فسوف يأتى على الناس مدة لا ينبت فيها حبة ولا يقطر من السماء قطرة واذا جاءكم الناس ليشتروا فلا تبيعوا لهم حتى تلوطوا بهم وان كانوا شيوخا أو صبيانا فكانوا يجلسون على الطريق ينتظرون من يمر بهم من المسافرين فيصدونهم ويلوطون بهم (قال) الثعلبى ان أهل تلك القرية كان يسكن بعضهم بالجبال وبعضهم بالسهل وكانت الفرقة التى تسكن بالجبال وحشيين لم يجتمعوا بالفرقة التى تسكن السهل فاحتال عليهم ابليس ليجمع بينهما فاتخذ المزمار وزمر فلما سمع الجبليون صوت المزمار نزل من الجبل النساء والرجال فلما اجتمعوا بالسهل ورأى بعضهم بعضا افتتن الرجال بالرجال والنساء بالنساء فظهر من يومئذ اللواط والسحاق فكان كما يقال فى المعنى

شغل المرد بالبدال وأضحى ❊ نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد أتاه ❊ ففرارا من معشر الفساق

فلما تزايد بهم هذا الامر بعث الله لهم لوطا عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى
عبادة الله تعالى فلم يزدادوا الا عتوا وقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
فعند ذلك قال رب انصرني على القوم المفسدين فاستجاب الله دعاءه وبعث الله اليهم
أربعة من الملائكة على صورة مرد حسان قال قتادة ان الله تعالى قال للملائكة
لا تهلكوا قوم لوط حتى تشهدوا عليهم أربع شهادات فلما دخلوا على لوط قالوا نحن
ضيوفك في هذه الليلة فانطلق بهم الى منزله وقال لهم أما علمتم أمر هذه القرية قالوا وما
أمرها قال انها شر قرية على وجه الارض وأخبرهم بأمر قومه وما هم عليه من
الفاحشة قال وكانت امرأة لوط اذا دخل الى منزلها ضيوف ترسل تعلم القوم بهم
ولها أمارة وهي أن ترسل رسولها تتطلب من جيرانها الحافية لمون ان في منزل لوط
أضيافا فيأتون اليهم فلما اخبرتهم امرأة لوط بالاضياف جاؤا اليهم فغلق لوط الباب في
وجوههم وقال لهم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي وخذوا واحدة من بناتي عوضا عن
الاضياف فقالوا له لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلم يزل لوط
يناجيهم من خلف الباب حتى تسوروا عليه من الحائط وهجموا عليه وخاف على
أضيافه فقالت له الملائكة انا رسل ربك لن يصلوا اليك الآية ثم ان الله تعالى أذن
لجبرائيل عليه السلام فضرب بجناحه وجوه القوم فطمس الله أعينهم فصاروا
لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم قائلين ان لوطا أسحر من على وجه الارض
فلما علم لوط ان الاضياف رسل ربه قال لهم أريد أن تهلكوهم في هذه الساعة فقالوا
ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله مسخ
امرأة لوط فصارت ملحا لما كانت تدل على الاضياف بطلب الملح ثم أمر الله تعالى لوطا
ان يسري بعياله تحت الليل فلما خرج لوط من القوم ادخل جبرائيل جناحه تحت
القرى واقتلعها من أصولها وكانت سبع مدن في كل مدينة ما شاء الله من رجال
ونساء وصبيان فرفعها بين السماء والارض حتى سمع أهل السماء صياح ديوكهم
ونباح كلابهم ثم قلبها وجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعهم بحجارة من سجيل فهلكوا
أجمعين وسئل مجاهد هل بقي من قوم لوط أحد فقال نعم خرج منهم واحد الى مكة
فبقي حجره معلقا بين السماء والارض أربعين يوما حتى خرج من مكة وصار في أثناء
الطريق فسقط عليه حجره فهلك في الحال وقد عذب الله قوم لوط بعذاب لم يعذب
به أحدا من الامم لاجل ارتكابهم الفاحشة العظيمة قال السدي توفي لوط عليه
السلام في زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام انتهى على سبيل الاختصار

❊ ذكر قصة يعقوب وما وقع له مع أولاده من جهة يوسف عليهم السلام ❊ قال الله
تعالى نحن نقص عليك الآية قال وهب بن منبه لما خرج يعقوب من أرض كنعان

هاربا من أخيه العيص أتى عند خالته وتزوج بابنتها فجاء من راحيل وهي الصغيرة
ولدان يوسف وبنيامين ولما وضعت راحيل يوسف كان يعقوب غائبا نحو الشام فنزل
عليه جبرائيل وقال يا يعقوب ان الله تعالى وهبك ولدا لم يرزق مثله لاحد من الناس
وقد أعطاه الله شطرا من الحسن ففرح بذلك ولما وصل من السفر ونظر الى يوسف
فكان لا يمل من النظر اليه فذبح ألف رأس من الغنم قربانا لاجل يوسف شكرا لله
تعالى وفرقها على الفقراء والمساكين فلما كبر يوسف وصار له من العمر ست سنين ماتت
امه راحيل (قال) السدي ان الله تعالى قسم الحسن عشرة أجزاء فأعطى الناس جزأ
واحدا وخص يوسف بتسعة الاجزاء الباقية وقيل ان يوسف نظر الى وجهه يوما في
المرآة فأعجبه حسنه فقال في سره لو كنت مملوكا ما قدر أحد على ثمني فسلط الله عليه
اخوته فباعوه بأبخس ثمن قيل البخس الذي كان في حق يوسف كان سبعة عشر
درهما دراهم معدودة وهذا من آفة العجب (قال) السدي لما كبر يوسف وصار له
من العمر اثنتا عشرة سنة رأى في منامه احد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين
فقص رؤياه على أبيه وقال كما قال الله اخبارا عنه يا أبت اني رأيت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا الآية قال فلما بلغ اخوة يوسف ذلك حسدوه على هذه الرؤيا وقالوا
لا شك ان يوسف يصير مولانا فان الشمس ابونا والقمر أمنا والكواكب نحن قال
السدي لما سمع اخوة يوسف هذه الرؤيا شابت لها رؤسهم مما حصل عندهم وكان
يعقوب يميل الى يوسف من دون اخوته قال فأخذوا في تدبير الحيلة في هلاك يوسف
فاجتمع رأيهم ان يدخلوا على ابيهم ويستأذنوه في اخذ يوسف معهم الى الصيد وقالوا
ان هو ابى عن ارساله معنا نقتله بين يديه ولا نوقره قال فدخلوا على ابيهم في غير الوقت
المعهود لزيارته وجلسوا بجانبه من غير اكرام له فقال لهم مالي اراكم منذعرين
فقالوا له ان قلوبنا مشغولة لان ذئبا عظيما هجم البارحة على اغنامنا وقتل منها غنما
عظيمة ونحن الآن نريد ان نخرج اليه عصبة فأرسل اخانا يوسف معنا نرتع ونلعب
وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف أن يأكله الذئب
وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون وقالوا كيف
يأكله الذئب وفينا اخوه شمعون الذي اذا صاح صيحة تضع لها الحوامل وفينا اخوه
يهوذا الذي اذا غضب فغضبه يشق الاسد نصفين فلما سمع يعقوب كلامهم قال
لابنه يوسف اذا كان غد فامض مع اخوتك الى الصيد فقد اذنت لك بذلك قال ابن
عباس رضي الله عنهما انما قال يعقوب لاولاده واخاف ان يأكله الذئب لانه رأى في
منامه كأن يوسف على رأس جبل وحوله ذئاب قد أحدقوا به ليقتلوه واذا بذئب منهم

قد جسا. وخلصه منهم وكان الارض قد انشقت ودخل فيها يوسف ولم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام انتهى ماراى يعقوب فى المنام قال فلما دخل ميعاد يوسف الى الخروج للصيد لبس يوسف ثياب السفر وشد فى وسطه منطقة من الذهب وخرج مع اخوته وأخذوا معهم كثيرا من الماء والزاد وركبوا خيولهم ويوسف صحبتهم ثم ان يعقوب خرج معهم الى الصحراء ومشى أربعين خطوة وودعهم وقبل يوسف بين عينيه وضمه الى صدره ثم رجع يعقوب الى منزله وندم على ارساله يوسف مع اخوته فلما بعدوا عن أرض كنعان وثب اخوة يوسف على يوسف فمسكوه من أطواقه ولطموه على وجهه وعروه من ثيابه فصار عريانا فقال دعوا القميص على ليكون لى كفنا وهموا بقتله فترامى يوسف على أخيه يهوذا وكان أكبر اخوته فقال لهم يهوذا لاتقتلوا يوسف وارعوا حق أبيكم فلم يلتفتوا الى كلامه وقالوا لابد من قتله فقال يوسف اسقونى شربة من الماء قبل ان تقتلونى فامتنعوا من سقايته فتلطف يهوذا بهم وأشار عليهم بأن يرموه فى الجب فأجمعوا على أن يجعلوه فى الجب فكتفوا يديه ورجليه وأدلوه فى الجب فلما أنزلوه الى الجب بكت ملائكة السماء رحمة ليوسف ثم عمد أحد اخوته الى الحبل فقطعه بسكين قبل ان يصل يوسف الى قعر الجب فأدركه جبرائيل فتلقاه ووضعه على صخرة قد رفعها الله له من الجب قال وهب بن منبه ان هذا الجب كان بأرض الاردن وقيل كان بين مدائن مصر ومدائن أرض كنعان وهو على قارعة الطريق (قال) السدى ان الذى حفر هذا الجب هو سام بن نوح وكان ماؤه مالحا فلما نزل يوسف عذب ماؤه وقصده بعض الافاعى فصاح بها جبرائيل فرجعت وطرشت وكل حية طرشى فهى من نسل تلك الحية قال قتادة وجاء جبرائيل بقميص من الجنة فألبسه وبطعام وشراب فأطعمه وصار الجب روضة مغدقة واتسع حتى صار مد البصر وقال جبريل لاتخف قد أتاك الفرج ثم بعد ليلة جاء اليه اخوه يهوذا ونادى يا يوسف هل أنت من جملة الاحياء أم من جملة الاموات فاجابه يوسف أنا من جملة الاحياء من فضل ربى فلما علم اخوته انه حى عمدوا الى صخرة عظيمة وأرادوا ان يلقوها عليه قال لهم يهوذا ان أنتم فعلتم ذلك أخبرت أباكم بفعلكم فتركوه وانصرفوا (قال) السدى كان عمر يوسف لما ألقى فى الجب أربع عشرة سنة ولما رجعوا الى أبيهم عمدوا الى شاة وذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وذلك قوله عز وجل وجاؤا على قميصه بدم كذب ثم انهم اصطادوا ذئبا ولطخوا فاه بالدم وأوثقوه بحبل وأتوا به الى أبيهم فوجدوه جالسا على قارعة الطريق فى انتظارهم لأجل يوسف فلما وصلوا اليه صرخوا وبكوا وقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فلما سمع يعقوب ذلك غشى عليه فلما أفاق قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على

ما تصفون ثم أحضر بين يديه ذلك الذئب الموثق والقميص فقال تالله ما اشفق هذا الذئب الذى أكل ولدى ولم يمزق قميصه وأمر باطلاق الذئب فاطلقوه فقال له ادن منى فدنا منه فقال أيها الذئب لم فجعتنى بابنى وأورثتنى حزنا طويلا ثم قال يعقوب الهى أنطق لى هذا الذئب فانطقه الله فقال يانبى الله والذى اصطفاك نبيا ما أكلت له لحما ولا مزقت له جلدا ومالى به علم وانما أنا ذئب غريب أتيت من أرض مصر فى طلب أخ لى فقدته منذ أيام فلما رآنى أولادك اصطادونى ولطخوا فمى بالدم وأوثقونى وجاؤا بى اليك وقد حرم الله علينا لحوم الانبياء فقال له يعقوب وهل يوسف فى قيد الحياة فقال له ما أنا بنمام ولا على الغيب بمطلع فعند ذلك أطلقه ودخل يعقوب الى خلوته وجعل يبكى وينتحب حتى ابيضت عيناه من كثرة البكاء فصار مثلا كما قيل

أحزان قلبى وبكائى حكيا ✽ أحزان يعقوب على يوسف

(قال) وكان يعقوب يجلس على قارعة الطريق ويبكى ويشكو الى من يمر به من المسافرين فأوحى الله اليه لئن عدت تشكوالى أحد من المخلوقين لامحونك من ديوان الانبياء فعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله ودخل الى بيت الاحزان ولزم الصبر قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان سبب بلاء يعقوب بهذه الفرقة من ولده أنه ذبح يوما شاة وشوى من لحمها ففاحت منها رائحة فجاء اليهم سائل وكان جائعا فطلب منهم شيأ من ذلك اللحم الذى شووه فلم يطعموه منه شيأ وتغافلوا عنه فرجع من عندهم مكسور الخاطر فلم تمض الا سبعة أيام حتى ابتلاه الله بفرقة ولده يوسف الذى كان أعز أولاده كما قيل فى المعنى

أحرص على كسر القلوب فانها ✽ مثل الزجاجة كسرها لا ينجبر

(قال) السدى لما أقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام ففى اليوم الرابع جاءت من أرض مدين سيارة يريدون مصر فحادوا عن الطريق ونزلوا بالقرب من الجب الذى فيه يوسف فذهب بعض السيارة ليستقى من ذلك الجب فلما أدلى دلوه تعلق يوسف بالحبل فنظر صاحب الحبل فى الجب فرأى يوسف فقال يابشرى هذا غلام وفرح به وأسره ليبيعه فذلك قوله تعالى وأسروه بضاعة ✽ ثم ان يهوذا أخا يوسف جاء الى الجب ومعه طعام الى يوسف فنادى من أعلى الجب يا يوسف فلم يجبه فعلم أن السيارة أخذته فتبعهم فوجدهم فى أثناء الطريق ومعهم يوسف وقيل كان مالك بن دعر قد أرسل جماعة ليأتوه بالماء فالتقطوه من الجب فوصل معهم يهوذا واخوته الى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا فلما سمع ذلك يوسف سكت خوفا فقال مالك أنا اشتريه منكم فاشتراه منهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قيل ان الدراهم كانت سبعة عشر درهما وقيل كانت اثنين وعشرين درهما ثم ان يهوذا اشترط على الذى اشتراه انه

لا يبيت به فى تلك الارض وقال له استوثق منه فانه هارب سارق ثم سارت القافلة نحو مصر فاركب يوسف على ناقة فلما مر يوسف بقبر أمه راحيل نزل من على الناقة ومضى ليزور قبر أمه فرار قال فاستفقدوا يوسف فلم يجدوه على ظهر الناقة فصاح مالك فى القافلة يا يوسف فلم يجده فذهب فى طلبه فوجده عند قبر أمه فلطمه مالك اشد لطمة وقال لقد حذرنا منك مولاك الذى باعك فلم نصدق ولكن ان عدت وفعلت مثل ذلك تكون هالكا قال فلما دخل مالك بن دعر الى مصر ألبس يوسف أثوابا فاخرة فاجتمعت الناس وازدحموا عليه لما رأوا من حسنه وجماله فعرضه للبيع فاشتراه قطفير عزيز مصر يعنى مدبر ملك مصر وكان الملك يومئذ بمصر الريان بن الوليد قيل لما اشتهر يوسف للبيع تزايد الناس فى ثمنه فدفعوا له أولا زنته فضة وزنته حريرا قال قتادة وكان وزن يوسف ذلك الوقت أربعمائة رطل فلما اشتراه قطفير أخذه ومضى به الى منزله فقال كما أخبر الله عز وجل وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكساه عشرين حلة من الملون وألبسه تاجا مرصعا بأنواع الجواهر وكان قطفير لا يصبر عن رؤيته ساعة واحدة قال وهب بن منبه أقام يوسف فى دار قطفير عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ مبلغ الرجال فشغفت به زليخا امرأة العزيز قطفير وراودته عن نفسه (قال) السدى ان قطفير كان عنينا لا يأتى النساء وكانت زليخا ذات حسن وجمال فلما تزايد بها الشغف بيوسف صبرت حتى أن يوسف دخل عليها وهى فى قصرها فقامت وأغلقت أبواب القصر وقالت هيت لك أى هلم لما أدعوك فقال يوسف معاذ الله أى اعوذ بالله مما تدعيننى اليه ان زوجك سيدى وقد أحسن مثواى فلا أخونه فى أهله قال الله عز وجل ولقد همت به أى هم فعل وهم بها أى هم ترك لولا ان رأى برهان ربه قال بعض المفسرين ان يوسف لما هم بزليخا تمثل له ابوه يعقوب وهو عاض على اصبعه وفى رواية انه راى جبرائيل فنهاه عن ذلك وقال له ان فعلت ذلك محوت اسمك من ديوان الانبياء فعند ذلك خرج هاربا فوجد الابواب مغلقة فلما رجع همت به زليخا ثانيا وهم بها فأوحى الله الى جبرائيل ان ادرك عبدى يوسف قبل ان يقع فى المعصية فهبط اليه جبرائيل وقال يا يوسف تعمل بعمل الخائنين وانت مكتوب فى ديوان المتقين فقام وبادر الى الباب هاربا ووقع له مثل ذلك ثالثا فولى هاربا ونجاه الله كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فلما ولى هاربا فى ثالث مرة ادركته زليخا عند الباب وتعلقت بقميصه فقدته من دبره ومنعته من الخروج فبينما هما كذلك واذا بقطفير قد دخل عليهما فرآها واقفة ويوسف بجانبها فبادرت هى بالكلام فقالت ماجزاء من اراد بأهلك سوأ يعنى زنا ثم انها خافت على يوسف من قطفير أن يقتله فقالت الا ان يسجن أو عذاب أليم أى يضرب

بالسياط فلما سمع يوسف كلامها قال هي راودتني عن نفسي ففررت منها فادركتني فقدت قميصي فلما رأى قطفير هذه الواقعة تفكر فيما ذا يصنع وصار ينظر الى زليخا مرة والى يوسف مرة وكان في القصر طفل صغير في المهد وعمره سبعة أيام وهو ابن داية زليخا فنادى بأعلى صوته أيها العزيز ان لك عندي فرجا فانظر ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قدّ من دبر عرف أن هذا من خيانة زوجته قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم التفت الى يوسف وقال له يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين قال الزمخشري كان قطفير رجلا حليما وكان قليل الغيرة على عياله وكان عنينا لا يقرب النساء فلاجل ذلك لم يشدد عليها في هذه الواقعة وأيضا كان شيخا شنيع المنظر وعمره نحو من مائة سنة فرأى زليخا معذورة لجمال يوسف وحسنه فكان لها عذر عنده (وقد قيل في المعنى)

تقول لي وهي غضبى من تدللها * وقد دعتني الى شيء فما كانا
كأن ايرك من شمع رخاوته * فكلما حركته نحوها لانا

(قال) بعض الحكماء من أقام بأرض بغداد سنة كاملة وجد زيادة في علمه ومن اقام بأرض الموصل سنة كاملة وجد زيادة في عقله ومن اقام بأرض حلب سنة كاملة وجد في نفسه شحا ومن اقام بأرض دمشق سنة كاملة وجد من نفسه فطانة وشجاعة ومن قام بمصر سنة كاملة وجد في طبعه قلة الغيرة (وقيل في المعنى)

ما مصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا ارضا صعيدا طيبا

(قال) السدي ولما اشتهرت زليخا امرأة العزيز بحب يوسف وشاع امرها قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن فحضر منهن جماعة كثيرة من نساء الوزراء والحجاب فأقعدتهن على المراتب الحسان واعطت كل واحدة منهن سكينا واترجة وصحفة فيها عسل وقالت لهن بحقي عليكن اذا امر عليكن الفتى العبراني يعني يوسف فالتطعمه كل واحدة منكن لقمة من الاترج والعسل فقلن لها سمعا وطاعة ثم ان زليخا قالت ليوسف اعلم انك ان خالفتني في جميع ما قلته لك فهذا شأن العبودية والآن اريد ان ازينك بأحسن الزينة واخرجك على هذه النسوة اللاتي عندي ولا تخالفني فقال افعلي ما بدا لك فألبسته الحرير واللؤلؤ وتوجته بتاج من الذهب مرصع بالجواهر وقالت له اخرج عليهن فخرج وهو مشرق بالنور احسن من الولدان والحور فلما رأته

النساء أكبرنه وقطعن أيديهن من الدهشة والنظر وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت لهن زليخا فذلكن الذى لمتننى فيه (وقد قيل فى المعنى)

لما تبدى على العشاق مبتسما * وحارت الناس طرا فى معانيه
* فقلت قول زليخا فى عواذلها * فذلكن الذى لمتننى فيه

فلما اندهشت النسوة قطعن أيديهن بالسكاكين وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وهن لا يشعرون بألمهن فلما رجعت النسوة الى بيوتهن صرن لا يصبرن عن رؤية يوسف ولا ساعة واحدة وهن متفكرات بيوسف وهن يقلن يوسف يوسف وأزواجهن يضربوهن بالسياط فلا يبالين به (قال) وهب بن منبه كانت النسوة اللاتى افتتن بيوسف أربعين امرأة فمات منهن تسعة نسوة وجدا بيوسف قال لما خرج يوسف على النسوة قلن له أطع مولاتك فيما تقول لك فقالت زليخا ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فلما رأى يوسف ان زليخا لا ترجع عنه قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن الآية * فلما شاع أمر زليخا فى المدينة خشى العزيز على نفسه من كلام الناس فأمر بسجن يوسف فسجن (قال) السدى لما توجهوا بيوسف الى السجن قيدوه وأركبوه حمارا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء من يخون سيده ويوسف يقول السجن أحب الى مما يدعوننى اليه فلما حبس يوسف كانت زليخا لا تهجع ولا تصبر ولا تنام ليلا ولا نهارا ولا تأكل ولا تشرب حتى نحل جسمها وصارت مثل العود البالى فلما طال الامر على زليخا أخذت فى أسباب التسلى فكانت تقول لنفسها اذا كان هذا شابا صغيرا افزع من المعصية وخاف من ربه ان يعصيه واختار السجن فكيف وانا امرأة كبيرة لا أخشى من المعصية فكانت تتسلى بعض التسلى بمثل ذلك وأما يوسف فانه لما سجن صار يتأنس بالمسجونين ويحدثهم وكان جبرائيل يأتيه فى كل شهر يزوره ويبشره بأنه سيصير ملكا ثم جاء مرة ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة وقال له يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة فابتلعها فكانت علامة لتعبير الرؤيا (قال) السدى لما كان يوسف فى الجب كان جبرائيل يأتى اليه فى كل يوم مرة ويؤانسه فى الكلام ولما كان فى السجن كان جبرائيل يأتى اليه فى كل شهر مرة فقال يوسف الهى لقد كنت فى الجب فى راحة وأنا فى السجن فى تعب وبكاء فأوحى الله اليه يا يوسف الجب كان باختيارى والسجن باختيارك حيث تقول رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه (قال) السدى ان الملك الريان كان من العمالقة وقد انفرد بملك مصر دون غيره وكان له عدو بأرض اليمن فبعث ذلك العدو الى ساقى الملك الريان والى طباخه مما قاتلا وبعث صحبة السم مالا جزيلا وقال لهما ان أنتما

دستتما السم على الملك الريان ومات فلكما عندي مال كثير اضعاف ما أرسلت اليكما فاخذ الساقي والطباخ في أن يسما الملك رغبة فيما وعدهما به عدو الملك وأراد كل منهما ان يتلف صاحبه ليفوز بقتل الملك لاجل المال فجاء الساقي الى الملك الريان وقال له اياك من الطباخ فانه وضع لك السم في طعامك ثم جاء بعده الطباخ وقال له اياك من الساقي فانه وضع لك السم في الماء فعلم الملك انهما خائنان فقبض عليهما وعاقبهما فأقراله بصدق الحال وماصاره فأمر بسجنهما فلما دخلا السجن كانا يجلسان بجانب يوسف ويتحدثان معه فقال له الساقي اني رأيت في المنام في هذه الليلة ثلاث طاسات من الذهب وفي كل طاسة عنقود من العنب وكاني أعصر من العنب خمرا وأسقيه الملك مرة بعد مرة ثم قال له الطباخ من بعد ذلك وأنا رأيت في منامي الليلة كأن لي ثلاث تنانير مملوءة بالنار وأني خبزت خبزا ووضعته في طبق وحملته على رأسي والطير تأكل منه فكان الساقي صادقا في منامه وكان مؤمنا وكان الطباخ كاذبا في منامه وكان كافرا مستهزئا بيوسف فقال لهما يوسف ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ومعنى ربه أي سيده وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما سمع الطباخ ذلك قال اني لم أر شيأ فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان ثم بعد ثلاثة أيام أمر الملك باخراج الطباخ وصلبه فتناهشت الطيور من رأسه كما أخبر يوسف ثم بعد ذلك أمر باخراج الساقي فلما خرج خلع عليه واعاده لما كان عليه قال لما خرج الساقي قال له يوسف اذكرني عند ربك وقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما من غير ذنب فلما خرج الساقي نسي قول يوسف (قال) وهب بن منبه ان يوسف لبث في السجن ست سنين بعد حروف اذكرني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا الكلمة التي قالها مالبث في السجن بضع سنين قال لما لبث بضع سنين جاء اليه جبرائيل وقال له يايوسف قد قرب الفرج من الله تعالى وذلك ان الملك الريان يرى مناما ولم يقدر أحد من الناس على تفسيره ويكون ذلك سببا لخروجك من السجن ثم بعد أيام رأى الملك الريان في منامه كأن بحر النيل قد غار في الارض وطلع منه سبع بقرات سمان ثم طلع بعد ذلك سبع بقرات عجاف أي ناحلات ضعيفات أكلن تلك البقرات السمان ثم طلع من بعد ذلك سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات صفر ثم ان السنبلات الصفر التفت بالسنبلات الخضر فيبستها في الحال فانتبه من منامه مرعوبا وأمر باحضار المفسرين وقص عليهم رؤياه فلما سمعوا ذلك قالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين فلما نام ثاني ليلة وأصبح نسي ماكان قدرآه فضاق صدره وأحضر المفسرين وقال لهم هل تذكرتم شيأ مما كنت قصصته عليكم بالامس من تلك الرؤيا

فقالوا كلهم قد نسيناها وهذه الرؤيا اضغاث أحلام فغضب الملك على المعبرين وأمر باسقاط ما كان لهم من الرواتب في دوانه ثم ان الساقي تذكر ما قاله يوسف فجاء الى الملك وسجد بين يديه وقال هل يأذن لي الملك في تعبير هذه الرؤيا فقال الملك ياهذا قد عجز عن تعبير هذه الرؤيا المعبرون فكيف أنت تقدر على تعبيرها فقال الساقي ان في السجن غلاما من أولاد يعقوب فهو أعلم بتعبير هذه الرؤيا فأمره الملك بالتوجه الى يوسف فمضى الساقي الى السجن ودخل على يوسف وقبل رأسه واعتذر اليه وقال له والله ياسيدي قد نسيت هذه المدة ولم أذكرك الا في هذا اليوم وهو ان الملك رأى في منامه رؤيا قد عجز عن تفسيرها المعبرون ثم ان الملك نسي ما رآه من تلك الرؤيا فقال له يوسف ان الملك رأى ما هو كذا وكذا فذهب الساقي وأخبر الملك بما قاله يوسف فتعجب الملك من ذلك وأمر باحضاره وهو قوله تعالى ائتوني به استخلصه لنفسي الآية ثم ان الملك أرسل فرسا وخلعة وتاجا وأمر الوزراء والحجاب بأن يمضوا الى السجن ويمشوا بين يدي يوسف وأرادوا ان يخرجوه فأبى يوسف ان يخرج وقال لا أخرج حتى تظهر براءتي بين الناس ثم قال للوزراء والامراء ارجعوا الى الملك فاسألوه ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن بالسكاكين فلما رجع الرسول وأخبر الملك بما قاله يوسف أمر بالسؤال من امرأة العزيز قطفير والنسوة اللاتي قطعن أيديهن فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما عرف الملك براءة يوسف زاد تعظيمه ثم ان يوسف عليه السلام لما أراد أن يخرج من السجن بكت أهل السجن قاطبة لفراقه فدعا لهم عند ما خرج ثلاث دعوات مستجابات فقال اللهم عطف على المسجونين قلوب العباد اللهم ادفع عنهم شدة الحر والبرد وائتهم بالاخبار في كل يوم من سائر البلاد ثم كتب على باب السجن هذا قبر الاحياء ثم ان يوسف اغتسل ولبس الثياب التي أهديت له من الملك الريان وركب ومشت بين يديه الوزراء والامراء والحجاب وسار في موكب عظيم حتى وصل الى قصر الملك فدخل عليه وسلم بالعربية عليه فقال الملك ما هذا اللسان فقال هذا لسان عمنا اسمعيل بن ابراهيم خليل الله قال وهب بن منبه كان الملك الريان يتكلم بسبعة ألسن فكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به ثم ان الملك اجلس يوسف بجانبه وقال له من أنت قال أنا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الله ونحن من أرض كنعان فقال من أدخلك السجن قال زليخا امرأة العزيز لاجل اني لم أطاوعها على الزنا فأعجب الملك كلامه وحسن وجهه وكان ليوسف لما خرج من السجن نحو ثلاثين سنة ثم ان الملك قال ليوسف قد رأيت في المنام رؤيا ونسيتها فقال له يوسف أيها الملك لقد رأيت سبع بقرات سمان طلعت من البحر ثم طلع بعدها سبع بقرات عجاف فافترسن

تلك البقرات السمان ومزقن جلودهن ورأيت سبع سنبلات خضر مثمرات وسبع سنبلات صفر يابسات غير مثمرات التففن على تلك السنبلات الخضر وصارت أصولهن في الماء فهذا ما رأيته ثم انتبهت من منامك فقال الملك انها لهي الرؤيا التي رأيتها بعينها فمن أخبرك بذلك فقال اخبرني بها جبرائيل رسول رب العالمين فقال له الملك وما ترى في هذه الرؤيا أيها الصديق فقال له يوسف ستأتيكم سبع سنين مخصبة ثم يأتيكم من بعدها سبع سنين مجدبة فقال له الملك وما التدبير في ذلك فقال يوسف ازرعوا زرعا كثيرا في السنين المخصبة ثم احصدوه وذروه في سنبله وقصبه وكذلك جميع الحبوب وابنوا لها مخازن كبارا فيكون القصب علفا للدواب والحب قوتا للناس قال الملك ومن يتولى هذا التدبير كله قال يوسف للملك اجعلني على خزائن الارض أي أرض مصر اني حفيظ عليم ثم ان الملك عزل قطفير وكان شيخا كبيرا وولى يوسف عوضا عنه وعاش قطفير بعد عزله شهرا ومات فلما تولى يوسف عليه السلام على مصر عدل في الاحكام وخضع له الجميع من الخاص والعام فكان يركب في كل سبعة أيام مرة وفي خدمته الامراء والوزراء والحجاب وكان يركب معه من العسكر نحو الالف غير المشاة وقد قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض أي أرض مصر (وقد قيل في المعنى)

وراء مضيق الخوف متسع الامن ✱ وأول مفروج خلاص من الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا ✱ خزائنه بعد الخروج من السجن

(قال) السدي لما جلس يوسف على سرير الملك فوض اليه الملك الريان أمر الديار المصرية شرقا وغربا فلما تم أمر يوسف في الحكم أوحى الله تعالى اليه بان يجعل ذلك الطفل الذي شهد له وهو في المهد بالبراءة وزيرا ولا يضيع شهادته له فاتخذه وزيرا وألبسه خلعة وأركبه فرسا ونودي عليه في الاسواق هذا جزاء من شهد بالحق ثم ان يوسف الصديق جد واجتهد في امر الزرع بزيادة العادة وبنى يوسف المخازن وسماها الاهرامات وخزن بها المغلات وآثار تلك المخازن باقية الى الآن في جهات الفيوم وغيرها من البلاد واستمر على خزن الغلال في قصبه وسنبله سبع سنين وهي السنين المخصبة فلما مضت ودخلت السنين المجدبة والعياذ بالله وقع الغلاء والقحط واشتد البلاء بالناس قال فلما دخلت السنين المجدبة اول من جاع الملك الريان فانتبه من منامه نصف الليل وهو يصيح الجوع فأتاه الطباخ بالمائدة فقال له الملك الريان من اعلمك باني جائع حتى جئتني بطعام من غير ان يعلمك احد بي فقال اعلمني بذلك يوسف فلما اكل وفرغ جاع في الحال وذلك حكمة من الله تعالى اذا وقع القحط والغلاء فان النفس دائما تأكل ولا تشبع قال فمس يوسف الصديق بيده بطن الملك الريان

فأذهب الله تعالى عنه الجوع قال وأما أهل مصر فكانوا يأكلون ولا يشبعون فباعهم يوسف الصديق القمح في أول سنة بالذهب والفضة والنحاس حتى لم يبق شئ من ذلك ثم في السنة الثانية باعهم القمح بالجواهر والحلى ثم باعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق شئ وفي السنة الخامسة بالضياع والاملاك حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم في السنة السادسة بالاولاد والنساء حتى لم يبق شئ ثم باعهم في السنة السابعة بالنفوس جميعا حتى لم يبق في مصر من كبير وصغير من رجل أو امرأة الا وصار وافى رق يوسف فعند ذلك اجتمع يوسف بالملك الريان وقال له اني أشهدك أني اعتقت جميع ما صار الى بالرق من أهل مصر ورددت عليهم أموالهم وضياعهم وأملاكهم جميعا قال السدى ان يوسف الصديق كان لا يشبع بطنه في تلك الايام وكان يقول أخاف ان شبعت أنس الجائع وكان يأمر طباخه ان يؤخر غداءه الى نصف النهار ❊ قال الكسائي لما كان اواخر السنة السابعة من سنى القحط فرغ القمح من عند يوسف الصديق والغلال فكان الناس اذا نظروا الى وجهه يشبعون برؤية وجهه فكانوا يقصدونه بكرة وعشية لرؤيته فتغنيهم عن الزاد الى بقية العام السابع حتى أدرك الزرع فاكتفوا عنه (قال) السدى لما وقع القحط بمصر جاءت زليخا الى يوسف ومعها خادم يقودها فانها عميت وطرشت وافتقرت وذهب جمالها فلما أقبلت على يوسف عرفها فقال لها أنت زليخا قالت نعم قال لها فاين حسنك وجمالك قالت قد ذهب ذلك كله ولم يبق منه شئ فقال لها يوسف كيف حال محبتك لى فقالت باقية لم تتغير ولم أجد لطعم العمى والفقر الما من كثرة الشغف بك ❊ وقيل ان زليخا وقفت ليوسف وهو سائر في موكبه فنادته سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعتهم وجعل الملوك عبيدا بمعصيتهم فقال يوسف لغلمانه انطلقوا بهذه العجوز الى الدار فانطلقوا بها فقال لها ماتريدين مني واذا بجبرائيل عليه السلام يقول يا يوسف ان الله تعالى يأمرك أن تتزوج بزليخا فقال له يوسف كيف أتزوج بها وهي عجوز عمياء فقال له جبرائيل ان الله تعالى يرد عليها بصرها وجمالها فعند ذلك تزوج بها يوسف وأسلمت على يده ورد الله لها حسنها وجمالها وبصرها فكانت أحسن ما كانت عليه فوجدها بكرا ثم ان زليخا قعدت مع يوسف الصديق أربعين سنة ورزق منها بولدين وهما افرايم ومنشا (قال) ولما وصل الغلاء والقحط الى أرض كنعان قال يعقوب لاولاده اذهبوا الى مصر واشتروا لنا غلالا من صاحب مصر فتجهزوا للسير وأخذوا معهم بضائع يشترون بها مثل عسل وزيت وصابون وغير ذلك فلما دخلوا الى مصر ودخلوا الى دار العزيز طلعوا الى القصر الذى فيه يوسف فرأوه وعلى رأسه ألف غلام وبايديهم أعمدة الذهب وكان

يوسف اذا جلس فى موكبه يضع على وجهه برقعا مكللا بأنواع الجواهر فلما وقفوا بين يديه عرفهم وهم له منكرون قال يوسف للترجمان سلهم من أين هؤلاء فقالوا له من أرض كنعان أولاد يعقوب فقال يوسف قل لهم كم أنتم فقالوا اثنا عشر ولدا وقد ذهب واحد منا ولم نعلم له أثرا فقال يوسف لحاجبه ارفعهم الى دار الضيافة فأقاموا بها ثلاثة أيام لم يأذن لهم بالانصراف ولم يبعهم شيأ فقال لهم يهوذا قد أعاقنا الملك ومن خلفنا اكباد جائعة وعيال ضائعة فدخل الحاجب على يوسف وأخبره بما قال يهوذا فقال يوسف قل لهم يأتونى بأخيهم من أبيهم وكتاب من أبيهم يشهد لهم بانهم أولاده والافلا كيل لهم عندى ولا يقربون (وقال) السدى ان يوسف أوفى لهم الكيل وأعطاهم الثمن الذى أخذه منهم ثمن الغلال ووضعه فى رحالهم ثم قال لهم دعوا بعضكم يكون عندى رهينة حتى تأتونى بأخ لكم من أبيكم فلما سمعوا ذلك قالوا من يقعد منا رهينة فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة أخاهم شمعون فتركوه عند العزيز ورجعوا الى بلادهم فلما وصلوا الى أبيهم قالوا يا أبانا انا قد قدمنا على ملك مصر فاكرمنا وأوفى لنا الكيل وأخبروه برهن أخيهم شمعون عند الملك حتى نأتيه بأخ لنا من أبينا فارسله معنا فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل قال ولما فتحوا متاعهم وجدوا أثمان الغلال التى أعطوها ليوسف رجعت اليهم فقالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا فارسل معنا أخانا بنيامين فقال لهم أبوهم لن ارسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله لتأتننى به فآتوه موثقهم فعند ذلك قال يعقوب والله على ما نقول وكيل والموثق اليمين (قال) السدى لما أرادوا أن يتوجهوا الى مصر قال لهم يعقوب يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قال قتادة ان يعقوب خشى على أولاده من العين لانهم كانوا من ذوى الحسن والجمال ملاح الهيآت فأمرهم ان يدخلوا متفرقين قال فلما دخلوا مصر من حيث أمرهم أبوهم اجتمعوا فدخلوا على يوسف وهو جالس على سريره فى قصره وقالوا أيها العزيز هذا الطفل الذى أمرتنا أن نأتيك به فقال لقد أحسنتم وأصبتم ثم انه أمر بالموائد فحضرت فاجلس كل اثنين من أم على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى فقال له الملك لاى شئ تبكى فقال لو كان أخى يوسف حيا لجلست معه فقال له الملك عند ذلك اذ كنت وحيدا فأنا أحق بك وأنزلك عندى فى هذا القصر وآكل معك فلما انصرفوا وبقى بنيامين عند الملك قال له لا تخف وكشف يوسف البرقع عن وجهه وقال له أنا أخوك فلا تبتئس أى لا تخف فعند ذلك تعانقا وتباكيا ثم قال له سأحتال على أخذك من اخوتك ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وجعل سقايته فى رحل اخيه بنيامين كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم (قال) كعب الاحبار ان السقاية كانت مشربة من ذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت وقيل

نها من الزمرذ الاخضر فلما قصدوا أن يرحلوا بلادهم أشاع الملك ذهاب السقاية واتهمهم بها فقال لهم الحاجب ألم يحسن الملك اليكم ألم يكرمكم قالوا بلى قال وكيف تأخذون سقايته وقد فقدت من حين دخلتم عليه ولا يمكن أن يسرقها أحد غيركم قالوا تالله ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فقال لهم الحاجب فما جزاء من أخذها منكم ان كنتم كاذبين قالوا اجزاؤه من وجد في رحله أن يقيم عند المسروق منه سنة كاملة في الاسر وكان ذلك جائزا في شريعة يعقوب فقال الحاجب لا بد أن نفتش الرحال فأتوا بها الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ففتشها فلم يجد بها شيأ فلم يبق الاوعاء بنيامين الصغير فقال يوسف هذا غلام صغير وما أظنه يسرق ولا يأخذ شيأ قالت اخوته والله لا نترك رحله بلا تفتيش حتى يطيب خاطرك علينا فلما فتشوه وجدوا في رحله السقاية فنكس يوسف رأسه وأظهر الحياء فأقبل أولاد يعقوب على أخيهم بنيامين ووبخوه بالكلام وقالوا يا ابن راحيل لا يزال لنا منك البلاء والعناء ثم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم (قال) السدي اختلف جماعة من العلماء في سرقة يوسف التي عيره بها اخوته فقالوا انه أخذ يوما بيضة من بيت عمته وأعطاها السائل كان واقفا على بابها وقال قتادة ان يوسف كان قد أخذ صنما من الذهب كان لجده أبي أمه وألقاه في بئر انتهى قال فلما ظهرت السقاية أحضرها يوسف بين يديه وضربها بقضيب كان معه ثم أدنى اذنيه منها فقال انها تخبرني بخبر عجيب بأنكم كنتم اثنى عشر ولدا ليعقوب وانكم انطلقتم بأخيكم فبعتموه بثمن بخس فلما سمع بنيامين قام ودعا للملك وقال أيها الملك استخبر الصواع هل يوسف حي أم لا فضربه وأصغى باذنه وقال انه حي يرزق وسوف يظهر ثم قال الملك امضوا الى أبيكم واتركوا أخاكم عندي سنة كما هو شرعكم فقالوا أيها الملك ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده قال كبيرهم يعني شمعون ألم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتنني به فكيف نلقى وجه أبينا بغير أخينا وقد اخترت ان أقيم بمصر حتى يحكم الله برد أخي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فلما رجعوا الى ابيهم يعقوب واخبروه بما جرى لابنه بنيامين بكى وقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم ان يعقوب دخل الى بيت الاحزان وجدد حزنه على يوسف واخيه (قال) السدي قد الهم الله يعقوب بتسمية ابنه يوسف واسم يوسف مشتق من الاسف لما سبق في علمه من الازل بما جرى ليعقوب فلم يزل يعقوب يبكي حتى نشفت دموعه وجرى الدم من عينيه وابيضت عيناه من كثرة البكاء (وقيل في المعنى)

لابد للاحباب من فرقة * وكل محبوب واصحابه
فمن يمت يفقد من نفسه * ومن يعش يهنأ باحبابه

(قال) السدى كان زمن الفرقة بينه وبين ابنه يوسف سبعين سنة وفى هذه المدة لم يسله ساعة فقال له اولاده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال قتادة بينما يعقوب جالس ببيت الاحزان اذ هبط عليه جبرائيل وقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك ان ابنك حى يرزق وقد صار عزيز مصر فان شئت دنايه بصوتك فى مكان محرابك فان الريح تحمل صوتك اليه * ويروى ان ملك الموت استأذن ربه فى زيارة يعقوب فأذن له فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت بالله عليك هل قبضت روح يوسف فقال لا والذى اصطفاك بالحق نبيا ما قبضت روحه وهو حى يرزق وقد قرب الفرج فعند ذلك طابت نفس يعقوب وسكن ما به * قال وكان سبب بلاء يعقوب انه ذبح بقرة ولها عجل مرضع بين يديها فلم يرحمها ولم يرحمه فجعل يصيح فى كل يوم على امه * ثم ان يعقوب كتب كتابا مضمونه من يعقوب نبى الله ابن اسحق الذبيح بن ابراهيم خليل الله اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما ابى اسحق فوضعت السكين على حلقه واما جدى ابراهيم فوضع فى المنجنيق وألقى فى النار واما انا فكان لى ولد يسمى يوسف وكان احب اولادى الى فذهب مع اخوته فاتوا الى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا ان الذئب اكله فبكيت عليه من منذ ثلاث وخمسين سنة حتى ابيضت عيناى واما ابنى بنيامين فقلت انك وجدت سقايتك فى رحله وحبسته عندك فنحن من اهل بيت لانسرق ولا نلوذ بمن يسرق فارحم ترحم واردد على ولدى فان فعلت ذلك فالله يجزيك خيرا وان لم تفعل ذلك دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك وقال يعقوب خذوا الكتاب واذهبوا الى عزيز مصر عسى الله ان يأتينى بهم جميعا فلما ذهبوا بالكتاب واتوا به الى يوسف اخذه يوسف ودخل بيته وقبله وقرأه وبكى وقال لاولاده هذا كتاب جدكم ثم ان يوسف خرج وجلس على سرير ملكه واحضر اولاد يعقوب بين يديه وقال لهم قد عفوت عن اخيكم بنيامين فما قصدكم غير ذلك قالوا أوف لنا الكيل وتصدق علينا فقد مسنا واهلنا الضر انا نراك من المحسنين فعند ذلك رفع البرقع عن وجهه وقال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا وجمع بيننا ثم انه قصد ان يؤكد المعرفة بذكر المنام السابق وما فعلوه فذكره (قال) السدى كان على خد يوسف خال اسود وفى وجهه شامة بيضاء تتلألأ بالنور فعند ذلك تحققوا انه يوسف ثم انه سألهم عن ابيه فقالوا له قد ابيضت عيناه ونحل جسده

ثم ان يوسف أعطاهم قيصه الذى كان أتاه به جبرائيل وهو فى الجب وكان من الجنة
فقال اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين
فقال يهوذا أنا أذهب بالقميص وافرحه بيوسف كما انى أعطيته القميص الملطخ
بالدم وقد أحزنته عليه ثم ان يهوذا توجه من أرض مصر الى كنعان فى سبعة أيام
وارسل معه مائتى جمل محملة من الزاد والقماش وكان وصول يهوذا يوم الجمعة وكان يهوذا
يحث السير (قال) كعب الاحبار ان ريح الصبا استأذنت ربها بأن تأتى الى يعقوب
ريح يوسف قبل ان تأتيه البشرى بالقميص فقال يعقوب لمن حوله انى لاجد ريح
يوسف لولا أن تفندون أى تستهزؤن (قال) مجاهد فى تفسير هذه الآية فمن يومئذ ريح
الصبا اذا هبت على عليل يجد لها راحة واذا هبت على محزون تنفس عنه الكرب
(قال) السدى فلما جاء يهوذا بالقميص الى يعقوب وألقاه على وجهه فارتد بصيرا
عادت اليه الشبوبة وذهب عنه الحزن والبكاء وعادت القوة والنشاط بعد ما قاسى
الشدائد (وأنشد فى المعنى)

جاء البشير مبشرا بقدومه * فالتقت من قول البشير سرورا
والله لو قنع البشير بمهجتى * لوهبتها ورأيت ذاك يسيرا
فكأننى يعقوب من فرح به * اذ عاد من شم القميص بصيرا

عند ذلك قال يعقوب ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون فقال له أولاده يا أبانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين فقال لهم يعقوب سوف أستغفر لكم ربى انه هو
الغفور الرحيم قال قتادة ان يعقوب أخر الدعاء لاولاده الى ليلة الجمعة الى وقت السحر
لان الدعاء فيه لا يرد * ثم ان يعقوب عليه السلام أخذ أولاده وعياله وتوجه الى مصر
فلما وصل نزل بمدينة بلبيس وكانت مدينة كبيرة عامرة وقد ذكرها الله فى التوراة
وسماها أرض جاشان فلما بلغ يوسف قدوم أبيه خرج اليه هو والملك الريان وخرجت
معهما العساكر والوزراء والامراء وكان عسكره نحو اربعمائة ألف انسان فلما بقى
بين يوسف ويعقوب مقدار فرسخ كشف الله عن بصره فرأى يوسف فى وسط العسكر
كالاسد الضارى ثم تلاقى يوسف مع أبيه على التل المعروف بالعكرشا بعد ان نزلا عن
المطى وكذلك الملك الريان نزل عن فرسه فترجلت العساكر كلهم أجمعون فتعانق
يوسف مع أبيه وبكيا حتى غشى عليهما فلما أفاقا قال له يوسف يا أبت كيف بكيت على
واذهبت نفسك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكننى كنت اخشى ان تسلب
من دينك مما قاسيت فيحال بينى وبينك * وقيل لما تلاقيا قال له يعقوب يا يوسف على
اى دين أنت قال يا أبت على دين ابراهيم عليه السلام ففرح يعقوب بذلك قال وهب
ابن منبه لما دخل يعقوب الى مصر كان معه من أولاده وأولاد أولاده اثنان وسبعون

انسانا من رجال ونساء فلا زالوا فى مصر ينمون ويتناسلون الى أيام موسى عليه السلام فلما خرج موسى من مصر فارا من فرعون كان معه من طائفة بنى اسرائيل ستمائة ألف وخمسمائة وسبعة وسبعون رجلا غير النساء والاطفال فكان جملتهم قاطبة ألف ألف ومائة ألف انسان (قال) السدى لما دخل يعقوب الى مصر مشى العسكر بين يديه فرسخا حتى وصل الى داره فلما وصل الى القصر ودخل رفع يوسف أبويه أى أباه وخالته وكانت أخت أمه لما عليه تربية فسميت أمه ولاجل ذلك رفعهما على سريره وأمر العسكران يسجدوا لهما وكان ذلك عادة أهل مصر فى التحية قال يوسف لابيه يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا قال فأوحى الله الى يعقوب لم قلت أخاف ان يأكله الذئب ولم تفوض الامر الى فلذلك فرقت بينكما ولما اجتمع يوسف بأبيه أقاموا فى مصر فى أرغد عيش أربعة وعشرين سنة فبينما هم على ذلك اذ هبط جبرائيل على يعقوب وقال له يا يعقوب قد اشتاقت اليك أرواح آبائك وقد قرب الوقت بانقضاء أجلك فكره يعقوب ان يخبر يوسف بذلك بل قال يا بنى أريد ان أزور قبور آبائى ببيت المقدس فاذن له فى ذلك فخرج من مصر وخرج معه ابنه يوسف لوداعه فى العسكر ورجع هو والعسكر وأرباب الدولة (قال) السدى لما أراد يعقوب أن يخرج من مصر جمع أولاده بين يديه وقال لهم يا بنى ما تعبدون قالوا لا نعبد الا الله قال العزيزى أقام يوسف بمصر بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما دنا أجله أتاه ملك الموت وهو يريد ان يركب على فرسه فلما وضع رجله فى الركاب قال له ملك الموت أخرج رجلك من الركاب فهذا وقت الانقلاب فلما أيقن يوسف بالموت قال لاخوته لا تقيموا من بعدى فى أرض مصر فانها دار الفراعنة ومسكن الجبابرة (قال) السدى لما توفى يوسف جعلوه فى حوض من رخام أبيض ودفنوه فى أحد جانبى النيل فى الفيوم فانخسف ذلك الجانب دون الآخر فلما رأوا ذلك جعلوا ذلك الحوض فى وسط النيل بين عمودين من الصوان وجعلوا الحوض فى سلسلة من حديد وسمروها بسكك من حديد فى تلك الاعمدة فلما صنعوا ذلك انخسف الجانبان من النيل جميعا قال العزيزى توفى يوسف وله من العمر مائة سنة وقد مات قبل زليخا بمدة يسيرة ودفنت بمصر ولم يعلم مكان قبرها فكان كما قال

محبتى لا تنقضى ❁ بسلوة تبطلها ❁ كأنها دائرة ❁ أولها آخرها

(قال) السدى ما كان فى أولاد يعقوب نبى سوى يوسف عليه السلام ومنهم من قال كلهم أنبياء وهم الاسباط الذين ذكرهم الله فى القرآن العظيم (قال) السدى ان الملك الريان صاحب مصر توفى فى زمن يوسف وقال انه أسلم على يد يعقوب وكان اسمه الريان ابن الوليد بن ارسلادس وكان حسن السيرة عادلا فى الرعية وكان خراج مصر فى زمانه

الف ألف دينار ولما وقع الغلاء فى أيامه أسقط عن المزارعين بأرض مصر خراج ثلاث
سنين وكان من جملة فراعنة مصر انتهى (قال) الكسائى ان يوسف هو أول من أظهر
علم الهندسة ولم يكن الناس يعرفون ذلك وهو أول من قاس النيل بمصر ووضع له
مقياسا محكما وهو الذى حفر خليج المنتهى بالفيوم (ومن العجائب) ان الخليج لا ينقطع
جريانه على الدوام ولو انقطع ماء النيل عنه وهو أول من خص بتعبير الرؤيا وأول من
خزن القمح فى سنبله وأول من اظهر القراطيس أى الورق البلدى قال ابن لهيعة
فى أخبار مصر ان يوسف عليه السلام هو الذى بنى مدينة الفيوم ودبرها بالوحى من
جبرائيل وكانت أرضها مغايص الماء فدبرها حتى أخرج عنها الماء وجعل بها عشر
قناطر وجعل عليها أبوابا من الحديد وبنى بها من جهة الشمال الى جهة الجنوب حائطا
طوله مائتا ذراع بذراع العمل وأحكمه لبرد الماء اذا زاد النيل اثنى عشر ذراعا وكان
على خليج المنتهى عدة طواحين تدور بالماء قال العزيزى وكان انتهاء العمل منها فى
سبعين يوما فتعجب الملك من ذلك وركب هو ووزراؤه ورأوا ما صنعه يوسف فتعجبوا
من ذلك وقالوا هذه الطواحين كانت تعمل فى الف يوم فسميت من ذلك اليوم الفيوم
وكانت محكمة على ثلاثمائة وستين قرية منها على مسيرة يوم من مصر وكان فى الفيوم
الف منبر من ذهب برسم الوزراء والحجاب يجلسون عليها فى المواكب وقد سماه الله
فى القرآن بالمقام الكريم * قال اقام يوسف مدفونا ببحر النيل فى خليج المنتهى نحوا
من خمسمائة سنة حتى ظهر موسى عليه السلام (قال) السدى لما خرج موسى من
مصر ومعه بنو اسرائيل أوحى الله اليه بأن يحمل معه جثة يوسف قال موسى يارب
من يدرى أين جثة يوسف فأوحى الله اليه ان عجوزا كبيرة قد ذهب بصرها تسمى
سارح وهى بنت آشر بن يعقوب فهى تعرف مكان جثة يوسف فمضى لها موسى وسألها
عن جثة يوسف قالت لا أدلك على مكان جثة يوسف حتى تحملنى معك الى بيت
المقدس وتدعو لى بان الله يرد على سمعى وبصرى فقال لها موسى أفعل ذلك ان شاء الله
تعالى فدعا لها فرد الله عليها ما سألت فدلته على المكان الذى فيه جثة يوسف فأخذها
من خليج المنتهى وكانت فى وسط الماء فحملها معه فى تابوت من خشب وتوجه بها الى
بيت المقدس ودفن يوسف عند ابراهيم الخليل عليه السلام * ثم ان موسى حمل معه
تلك العجوز وصارت كما شرطت (قال) السدى فمن حين نقلت جثة يوسف من الفيوم
نقصت البركة منها فى زرعها وغلالها ومواشيها (قال) الكسائى كان بين مولد
موسى ووفاة يوسف عليهما السلام زيادة عن خمسمائة سنة وكان مولد يوسف بارض
كنعان ومولد موسى بمصر تمت قصة يوسف عليه السلام

ذكر قصة أيوب الصابر عليه السلام * قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب الآية

(قال) كعب الاحبار كان ايوب من الروم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ولم يجئ من نسل العيص سوى ايوب وكانت زوجة ايوب تسمى رحمة وهى بنت افرايم بن يوسف عليه السلام قال العزيزى كان ايوب نبيا فى زمن يعقوب وقد بعث الى اهل حوران من نواحى دمشق (قال) السدى كان ايوب فى سعة من المال وكان لا يفتر عن قرى الاضياف ويأوى الغرباء وكان يتعاطى المتجر والزرع وله عدة اولاد وعيال كثيرة (قال) وهب بن منبه كان لايوب عبادات يقصر عنها العابدون فحسده ابليس اللعين على تلك العبادات وكان ابليس فى تلك الايام لا يمتنع من الصعود الى السماء وكان يتحدث مع الملائكة وهم يثنون على ايوب خيرا لكثرة عبادته وجوده وقراه الاضياف قال ابليس اللعين لو كان أيوب فقيرا ما عبد الله فلو سلطنى الله على ماله لترك العبادة فأوحى الله الى ابليس انى قد سلطتك على ماله فجمع ابليس جنده ومضى الى زرعه ومواشيه فلم يشعر ايوب الا وقد ثارت نار عظيمة من تحت الارض فاحرقت جميع زرعه وهبت على مواشيه فاحرقتها عن آخرها ثم ان ابليس اتى الى أيوب وهو قائم يصلى فى محرابه فقال له ان الذى تصلى له قد احرق جميع زرعك واهلك جميع مواشيك فقال ايوب الحمد لله الذى اعطانى واخذ منى ما كان وهبنى فرجع ابليس خائبا ثم صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت صبر أيوب قال هو على ثقة من ربه فلو سلطنى الله على اولاده لما كان يصبر فأوحى الله اليه قد سلطتك على اولاده فمضى ابليس وحرك الدار على اولاده وعياله فسقطت الدار عليهم فهلكوا جميعا فاتى ابليس الى ايوب وهو قائم يصلى فى المحراب على صورة دايتهم فناحت بين يديه وبكت وضجت فقال ايوب ما الخبر فقالت قد سقطت الدار على اولادك فهلكوا جميعا فقال ايوب الحمد لله الذى اعطى واخذ ثم جاء ابليس فى صورة خادمهم فقال له لو رأيت اولادك وقد سالت دماؤهم وتشققت بطونهم وامعاؤهم فلا زال يقول وينوح حتى رق قلب أيوب وبكى وقال يا ليتنى لم أخلق فابتهج ابليس بهذه الكلمة ثم ان ايوب استغفر الله من ذلك وصبر واحتسب ثم ان ابليس صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت ايوب قال هو على ثقة من ربه ثم قال ابليس فلو سلطنى الله على جسده لما صبر على ذلك فأوحى الله اليه انى قد سلطتك على جسده فرجع ابليس واتى الى ايوب فوجده قائما يصلى فدنا منه ونفخ فى انفه نفخة فاشتعل منها دماغه وقدمه وما بينهما وحصل له ألم شديد بين اللحم والجلد وكان ايوب متزوجا بثلاث نسوة فلما رأينه على تلك الحالة ذهبت اثنتان وبقيت رحمة عنده فأتى ابليس الى اهل تلك القرية التى فيها ايوب فقال لهم أخرجوا ايوب عنكم والا يعدكم فى أجسامكم من دائه فقال اهل

القرية لرحمة اخرجي ايوب عنا والا قتلناه فحملته رحمة على أكتافها واتت به الى خربة
هناك ففرشت تحته التراب فنام عليه قال وهب بن منبه نام أيوب على التراب مطروحا
سبع سنين ولم يقرب اليه أحد سوى زوجته رحمة فكانت تذهب الى أهل القرية
وتعمل لهم أشغالهم وتأتي الى ايوب بما يحصل لها من نوالهم من الخبز والطعام فجاء
ابليس الى أهل تلك القرية وقال لهم لاتدعوا رحمة تدخل عليكم فتعدي كم من حال
زوجها فقال أهل القرية يارحمة ابعدي بزوجك عنا والا قتلناك بالحجارة فحملته على
أكتافها وذهبت به الى مكان بعيد عن القرية وفرشت تحته الرماد ووضعته عليه
وجعلت تحت رأسه حجرا وقالت له يا أيوب اطلب لك العافية من الله فقال يارحمة
خولنا الله في نعمائه فنصبر على بلائه فكانت رحمة تذهب وتقف على الأبواب
فيطردونها ويقولون لها اذهبي عنا لاتعدينا من داء زوجك فلما بلغ بها الجهد واضر
بأيوب الجوع عمدت الى ضفيرة من شعرها فقطعتها وباعتها برغيف وأتت به الى أيوب
وقال لها أيوب من أين لك هذا الرغيف فأخبرته بما كان من شعرها فلما سمع أيوب بكى
بكاء شديدا وصبر (ومما) يحكى من موافاة النساء قال أبو الفرج الاصفهاني ان رجلا
من العرب يقال له هدبة بن خشرم أمر بقتله معاوية بن أبي سفيان فلما تحقق
الاعرابي ذلك أرسل خلف زوجته تحت الليل فأتت اليه وهي تختال في ثوب خز
والمسك يفوح منها وقد زنت خلاخيلها وكانت ذات حسن وجمال فلما اجتمعا جلسا
يتحدثان ثم انهما قاما كيما ثم نام معها وكان بينهما ما كان فلما أصبح الصباح أخرجوه من
السجن ومضوا به الى القتل فالتفت الى زوجته وكانت ابنة عمه فتأمل اليها وأنشأ
يقول أقلي من التعنيف وارعي لمن رعى * ولاتجزعي مما أصاب فأوجعا
ولاتنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والرأس ليس بأنزعا
قال فلما سمعت زوجته ذلك مالت الى جدار الحائط وأخذت سكينا وقطعت بها
أنفها ثم التفتت اليه وقالت له هل بقي بعد ذلك من الحسن شئ يوجب النكاح فشي في
قيوده وقال الآن طاب الموت فقتل (وقال) الثعلبي بينما أنا أمشي في شوارع البصرة
واذا أنا بامرأة من أجمل النساء وجها وأظرفهن شكلا وهي تقبل شيخا هرما شنيع
الوجه والخلقة وهي تحادثه وتلاعبه وتضحك في وجهه وتفلي قميصه من القمل فلما
رأيت ذلك دنوت منها وقلت لها ياهذه من يكون هذا الشيخ الشنيع منك قالت زوجي
فقلت لها وكيف تصبرين على شناعته وقبح وجهه مع وجود حسنك وجمالك ان
هذا العجب قالت ياهذا أتعجب من صنع الله تعالى فلعل هذا الشيخ رزق مثلي فشكر
ورزقت أنا مثله فصبرت والصبور والشكور في الجنة أفلا أرضى بما رضي الله تعالى
من هذا الامر فتركتها وانصرفت عنها وقد أعجزني جوابها (ومما رواه) معاذ بن جبل

رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو خرج من احدكم قيح أو دم فمسحته امرأته بلسانها ولم يرض عنها جاءت يوم القيامة فى تابوت من نار وتهوى بها الى قعر جهنم ❊ قال وهب بن منبه ثم ان ابليس اللعين تصور لرحمة زوجة أيوب فى صورة طبيب فقال لها أأنت زوجة أيوب المبتلى قالت نعم قال أنا اداويه من هذه العلة بشرط انه اذا ذبح لا يسمى وان يشرب الخمر فيشفى فلما رجعت الى أيوب أخبرته بذلك فقال لها ويلك هذا ابليس اللعين فغضب أيوب على رحمة وحلف يمينا عظيما انه اذا شفى من هذه العلة ليجلدنها مائة جلدة حيث انها لم تقل لابليس ان الله يشفيه ثم ان أيوب بكى وقال الهى أنا لم أكن قط بين أمرين الا وقد طلبت رضاك فيهما دون رضائى وماشبعت من الطعام قط خوفا ان أنسى فبأى ذنب آخذتنى به فأوحى الله تعالى اليه يا أيوب هل صبرك على البلاء بتوفيقى أم بتوفيقك فأوحى الله اليه ثانيا يا أيوب لولا أنى جعلت تحت كل شعرة فى جسدك صبرا لما كنت تطيق بعض ما فى جسدك من الالم فعند ذلك قال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين قال الله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وقال تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر (قال) السدى لما قال أيوب رب انى مسنى الضر علم الله تعالى انه قد جزع لاجل الله تعالى فجاء اليه جبرائيل عليه السلام برمانة من الجنة وقيل بسفرجلة وقابل أيوب فقال له أيوب من أنت أيها العبد الصالح الذى أنست بك من بعد ما نفرت عنى الاصحاب والاحباب فدنا منه جبرائيل وناوله تلك الرمانة فلما أكلها ونزلت فى جوفه ذهب عنه الالم الذى فى جسده جميعه فقال له جبرائيل يا أيوب قم فقال وكيف أقوم ولم يبق لى حيل ولا قوة فأخذ جبرائيل بيده ومشى به نحو اثنتى عشرة خطوة وقال له اركض برجلك اليسرى فركض بها فظهرت له عين ماء حار ثم قال له اركض برجلك اليمنى فظهرت له هنالك عين ماء بارد فقال له جبرائيل اغتسل فى الحار واشرب من البارد فلما شرب واغتسل عاد اليه حسنه وجماله وصار جسده كالفضة النقية ثم أتاه جبرائيل بحلة من الجنة وألبسه اياها وتوجه بتاج من الجنة فصار أيوب يزهو كالشمس المضيئة فعند ذلك صلى أيوب ركعتين شكرا لله تعالى على نعمه ورضائه (وقد قيل فى المعنى)

ماضاق بالمرء أمر فاستعد له ❊ عبادة الله الا جاءه الفرج
وما ألم بباب الله ذو تعب ❊ الا تزحزح عنه الهم والحرج

(قال) وهب بن منبه لما اغتسل أيوب من تلك العين تناثر عنه الالم وصار فراشا من ذهب وطار فى الآفاق فصار نعمة بعد ان كان بلاء (قال) السدى ان اليوم الذى اغتسل فيه أيوب وشفى كان يوم النيروز فلذلك تجد الاقباط تتراشش بالماء يوم النيروز

قال وكانت رحمة غائبة فى طلب القوت لايوب فتعرض لها ابليس فى الطريق وقال لها يارحمة الى متى هذا التعب والجهد العظيم فى حق من لا يخلص من البلاء والمرض وقد أوعدك اذا عوفى ايجلدنك مائة جلدة فلم تلتفت رحمة الى كلامه وأقبلت نحو أيوب فجعلت تطوف عليه فى الفضاء فلم تجده فأخذت تنادى وتقول ياأيوب هل أكلتك السباع أم ابتلعتك الارض ثم ان أيوب نادى رحمة فقال لها ياجارية ماتطلبين قالت أريد الصابر قال وكان أيوب لابس الحلل وعلى رأسه التاج وعنده عين ماء وهو عند روضة فى خير وعافية فاشتبه على رحمة حاله لانه كان فى بلاء وعناء فلم تعرفه فقال لها أيوب هل لك فى أيوب علامة تعرفينها فتأملته فقالت انك تشبه أيوب فضحك فى وجهها وقال أنا أيوب وقد عافانى ربى فنزل جبرائيل وأشار الى داره فعمرت وأحيا الله له أولاده ورد عليه مواشيه وزروعه ونسى أيوب ما كان قاساه من البلاء والمحنة فى السبع سنين وهو صابر (وقد قيل فى المعنى)

كن راضيا حكم الاله * عزوجل بلا وجل

وارض القضاء فانه * حتم أجل وله أجل

(قال) السدى لما عوفى أيوب من بلائه بقى متحيرا فى يمينه الذى حلفه وتوعد رحمة بالمائة جلدة فضاق صدره لذلك فأتاه جبرائيل وقال له ياأيوب خذ مائة عود من أصول السنبل واجمعها حزمة واضرب بها ضربة واحدة لرحمة فتخلص من اليمين ففعل ذلك أيوب وخلص من يمينه (قال) السدى واستمر أيوب فى نعمة حتى مات وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وقيل مائة سنة والله أعلم ولما مات دفن بحوران وكانت أم أيوب بنت لوط عليه السلام ولما مات أيوب سارت أولاده على سيره من العبادة والطاعة وكان أكبرهم حوميل وبعده مقيل ورشد ورشيد وبشير وكان فى زمانهم ملك يقال له لام بن دعام وهو من ملوك الشام

ذكر قصة ذى الكفل قال كعب الاحبار لما قبض الله تعالى أيوب عليه السلام تغلب على أولاده الملك لام بن دعام فأرسل هذا الملك الى أولاد أيوب ليزوجوه بأختهم بنت أيوب فأرسلوا اليه وقالوا ليس فى ديننا ان نزوجك وأنت على الكفر فان أحببت فادخل فى ديننا فنزوجك اياها فلما سمع ذلك الملك هددهم وعزم على قتالهم وبلغ ذلك أولاد أيوب فمنهم من أشار بقتاله ومنهم من أشار بمداراته بالمواعيد فعند ذلك قال حوميل بن أيوب لابد من قتاله وحربه فلما جمع الملك جنوده وبرز للقتال برز أولاد أيوب بمن معهم من المؤمنين والتقى الجيشان واقتتلا قتالا شديدا فوقعت الهزيمة فى جيش حوميل بن أيوب واحتوى لام على جميع أموالهم وأملاكهم وأسر من قومهم ناسا كثيرا وفيهم بشير بن أيوب فهم الملك بصلبه ثم أمهله وأمر بحبسه يريد الفدية

فأراد اخوه حوميل ان يرسل له الفدية فرأى فى منامه قائلا يقول يا حوميل لا ترسل الفدية ولا تخف على أخيك وان هذا الملك سيؤمن وتكون عاقبته الى خير فقص الرؤيا على من كان عنده ورجع عن اعطائه الفدية فبلغ الملك لام هذا الكلام فغضب غضبا شديدا فأمر ان يتخذ خندق ويجعل فيه النار ليحرق بشير بن أيوب فعند ذلك أحضر الجنود النار وأوقدوها واحتملوا بشيرا والقوه فيها فلم تحرقه النار فتعجب الملك لام من ذلك وقال ان هذا السحر عظيم فقال له بشير أيها الملك لسنا بساحرين وقد كان لنا جد قال له ابراهيم الخليل ففعل به النمروذ كذلك فلم تحرقه النار وجعلها الله عليه بردا وسلاما وكذلك يفعل الله بأولاده فعند ذلك رق قلب الملك وعلم الحق فأسلم وآمن واجتمعوا على الاسلام فزوجوه بأختهم وسمى الملك بشيرا ذا الكفل لانه لما أراد الملك الفدية تكفل بشير بايصال الفدية اليه من اخوته ثم ان حوميل أرسل أخاه ذا الكفل رسولا الى جميع أهل الشام باذن الله تعالى وكان الملك لام بين يديه يقاتل الكفار فلم يزالوا على ذلك حتى مات حوميل ثم مات بشير ذو الكفل ثم مات بعدهم الملك لام بن دعام فتغلب على أهل الشام العمالقة الى أن بعث الله شعيبا انتهى على سبيل الاختصار

ذكر قصة نبى الله شعيب عليه السلام قال كعب الاحبار ان أسماء ملوك مدين منهم أبو جاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من العمالقة وقال ابن عباس رضى الله عنه معنى أبى جاد أبى آدم خالف الطاعة ظاهرا بأكل الشجر ومعنى هوز اول من نزل الى الارض ومعنى حطى حطت عنه ذنوبه بالتوبة ومعنى كلمن أكل من الشجرة ومن عليه ربه بالمغفرة ومعنى سعفص عصى آدم ربه فأخرجه من النعمة الى النكد ومعنى قرشت أقر بالذنب وسلم من العقوبة وقال قتادة هى أسماء ملوك أصحاب الايكة *قال كعب الاحبار ان مدين بن ابراهيم عاش عمرا طويلا وكان له امرأة من العمالقة فولدت له أربعة بنين فتزوجوا وتوالدوا فصار منهم خلق كثير فدعا مدين بكبراء نسله وجمعهم عنده وقال لهم انكم كثرتم والرأى عندى ان تبنوا لكم مدينة كبيرة حصينة حتى لا تخافوا على أنفسكم من العمالقة قال فبنوا مدينة وحصنوها وسموها باسم جدهم مدين وجعلوا فيها محلات وجعلوا لكل قبيلة محلا فرغبت العمالقة فى مجاورتهم فلم تسعهم فخرجت العمالقة من مدين ونزلوا بالايكة وهى قرية قريبة من مدين فكان أهل مدين يعبدون الله وأهل الايكة يعبدون الاصنام ولا يغير بعضهم على بعض وكان فى المدينة رجل من عبادهم يقال له صنعون وهو والد شعيب وكان تحت صنعون امرأة من العمالقة فولدت له ولدا وهو شعيب واسمه بيرون لما كان غلاما وكان سبب تسميته شعيبا ان والده لما كبر سنه وضعف خاف على نفسه

من كثرة القوم فرجا أن يسعفه ولده فكان صنعون يقول اللهم بارك فى شعى أى ولدى
فغلب عليه اسم شعيب فقيل له شعيب وسقط عنه الاسم الاول ثم توفى أبوه صنعون
فقام شعيب عليه السلام مقام أبيه وفاق بالزهد والعبادة أهل زمانه من أهل مدين
واشتهر بذلك قال وكان أهل مدين أصحاب تجارات يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك
من الحبوب ويخزنونها عندهم ويتربصون بها لاجل الغلاء فهم أول المحتكرين وكان لهم
مكيالان مكيال واف لاجل الشراء ومكيال ناقص لاجل البيع وميزانان أيضا كذلك
فكثروا على ذلك مدة وشعيب لا يعاشرهم ولا يداخلهم وكان له غنم ورثها عن أبيه
يأكل من ابنها حلالا طيبا فبينما هو جالس على باب داره يذكر الله اذ أقبل عليه رجل
غريب فسلم عليه وقال يا شعيب أنت رجل صالح وانى اشتريت من رجل مائة كيل
من الطعام بمائة دينار فأخذتها واكتلتها فنقصت عشرين كيلا والتمس من شعيب
ان يساعده عليهم فعند ذلك توجه شعيب معه الى القوم فسألهم عن قضية المشترى
قالوا ألم تعلم يا شعيب ان ذلك سنتنا نأخذ بالوافر ونعطى بالناقص فقال شعيب ليس
هذا من سنة الله فاتقوا الله واعطوا الرجل حقه فلما رأوه على غير سنتهم سبوه وكذبوه
وجفوه

(مبعث شعيب عليه السلام)* فنزل عليه جبرائيل فى الحال فقال له السلام عليك
فقال له وعليك السلام من أنت فاخبره جبرائيل ان الله اطلع على سريرته ويأمره ان
يكون رسولا الى أهل مدين وأصحاب الايكة وغيرهم ممن يعبد الاصنام ويأمرهم
بطاعة الله ويحذرهم بأسه ونقمه وينهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان
فتوجه شعيب الى ما أمره الله به حتى أتى الى القوم فقال يا قوم اعبدوا الله وحده
واتركوا عبادة الاصنام فان الله أرسلنى اليكم لانهاكم عن معصيته واحذركم نقمه
وانهاكم عن بخس المكيال والميزان وذلك قوله تعالى يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان فقالوا يا شعيب لم نكن نترك ما يعبد آباؤنا أو ان
نفعل فى أموالنا ما نشاء وليس معك حجة وقد عرفناك وعرفنا أباك ولو شئنا
أخرجناك ولكنا لا نفعل ذلك حتى نجتمع نحن وبنو اسرائيل ونشكو لهم سوء
ذلك قال فانصرف عنهم بعد كلام كثير ثم عاد اليهم فى اليوم الثانى وقد اجتمعوا ومعهم
ملكهم أبو جاد فوقف عليهم وخطب ونهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال
والميزان فقال له قومه ما نفقه كثيرا مما تقول ثم عادوا اليهم فقالوا انا لنراك فينا ضعيفا ولولا
رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال فأخذ القوم بالاستهزاء فقال اعملوا على
مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى
معكم رقيب قال واقبل عليه سادات قومه من أهل مدين والايكة وقالوا يا شعيب

انك رجل ترجع الى حسب ونسب والى عفاف عرفناك به فان كنت تريد الرياسة والاموال شاركناك بها واترك ذكر آلهتنا الا بخير فقال لا أريد منكم شيأ من ذلك وانما أريد ان أنصحكم وان لا تعبدوا مالا ينفعكم ولا يضركم وان تعطوا كل ذي حق حقه فعند ذلك احتمله القوم جميعا وجاؤا به الى أبي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت واجتمع الناس ليسمعوا ما يجري بينهم فأمرهم شعيب ونهاهم وحذرهم فذكرهم ما نزل بقوم نوح من الغرق وبقوم هود من الريح وبقوم صالح من الدمدمة وبقوم ابراهيم من الزلازل والبعوض وبقوم لوط من الانقلاب وارسال الحجارة عليهم فقال كلمن يا شعيب ان كان الامر كما تقول فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين (قال) الكسائي لما انصرف شعيب أتاه وزير من وزراء الملوك وآمن به سرا وكتب عنده شعرا قاله حين أسلم

شعيب بن صفوان أتى برسالة * وخص بها من دون رهط أبي عمرو
بحق أتاهم صادقا فغدوا به * وجاؤا عليه بالعظيم من الكفر
فلما رأيت القوم صدوا وأعرضوا * عن الحق والانذار ضاق بهم صدري
فجئت شعيبا تابعا ومصدقا * لارجو ثواب الله في آخر العمر

ثم بعد ذلك قالوا كلهم يا شعيب ألك حجة فيما تقول قال نعم قالوا ان نطقت الاصنام بصدق ما تقول تكن قد جئت بالحق ورضي القوم بذلك لانهم ظنوا ان أصنامهم لا تنطق بمثل ما يريد شعيب فتقدم شعيب الى الاصنام فقال من ربكم ومن أنا فتكلمي باذن الله تعالى فأنطقها الله الذي أنطق كل شئ فقالت الاصنام ربنا الله ورب كل شئ وخالقنا وخالق كل شئ وأنت يا شعيب رسول الله ونبيه وتنكست عن سررها ولم يبق منها صنم جالس الا تنكس فلم يصدقوم فأرسل الله على قوم شعيب ريحا كادت تنسفهم نسفا فبادروا مسرعين الى منازلهم من شدة الريح وآمن بشعيب في ذلك اليوم خلق كثير رجال ونساء فأرسل الملك يهدد من آمن فقال شعيب لا تخافوا فأمر الملك ابو جاد اعوانه ان يترصدوا شعيبا ومن آمن به ويقتلوهم فعند ذلك قال شعيب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين واذا بريح قد هاجت عليهم فيها حر وكرب لا طاقة لهم بها فرمى القوم أنفسهم في الآبار والسراديب ودام عليهم مدة وهم لا يزدادون الا عتوا ونفورا وشعيب يحذرهم فيقولون هذا من فعل آلهتكم فاصبروا فأرسل الله عليهم الذباب الازرق يلدغهم كلدغ العقارب وربما قتل أولادهم وشغلهم الله بأنفسهم عن أذى شعيب ومن آمن به وهم لا يؤمنون فهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان الى مكان ليجدوا لهم فرجا من الكرب وشعيب يناديهم الى أين تهربون فليس لكم الا التوبة فيقولون يا شعيب نحن نكفر بك وبربك

فرد نا مما نحن فيه واذا بسحابة سوداء قد أظلتهم فنصبوا لهم ظلة واستظلوا بها جميعا فأظلمت الارض عليهم حتى صاروا لا يبصر بعضهم بعضا واشتد عليهم الحر فأوحى الله الى شعيب أن اخرج أنت وقومك واعتزلهم وانظر كيف يحل عذابي بهم ثم زمت السحابة بوجهها وحرها وضربت القوم بعضهم في بعض وأضرمت فأحرقت جلودهم وأكبادهم وجميع ما كان على وجه الارض والمؤمنون ينظرون اليهم ولم يصل شئ من العذاب الى المؤمنين فذلك قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة يعني صيحة جبرائيل فأصبحوا في ديارهم جاثمين فأقبلت أخت الملك كان وكانت قد آمنت بشعيب فأبصرت أهلها فوجدتهم قد نضجت جلودهم وجاء شعيب فقسم أموالهم على قومه المؤمنين وتزوج بامرأة من المؤمنين ورزقه الله رزقا حسنا ولم يزل مقيما بأرض مدين حتى كف بصره وجاء موسى عليه السلام وتزوج بابنته انتهى على سبيل الاختصار

❊ قصة موسى بن عمران عليه السلام ❊ قال وهب بن منبه لما أمات الله الريان بن الوليد ملك مصر وكان مكرما عند بني اسرائيل وكانوا يعبدون الله علانية فملك بعده ابنه سنجاب قال وكان بمصر رجل يقال له مصعب يرعى الغنم وكان له من العمر مائة وسبعون سنة ولم يرزق ولدا فرأى بقرة وضعت عجلا فحسدها فأنطق الله البقرة فقالت يا مصعب سيولد لك ولد ذكر ويكون من أركان جهنم فواقع زوجته فحملت بفرعون ومات مصعب قبل ولادة زوجته فلما ولدت من بعده أتت بالوليد بن مصعب فلما كبر وبلغ سلمته أمه الى النجارين فتعلم صنعة النجارة وأتقنها ثم ولع بالقمار ولم يكن له صبر عنه فعاتبته أمه بذلك فقال يا أمي كفي عني فاني عون نفسي فلزمه هذا اللقب فلم يكن يعرف الا بعون فلا زال يقامر ويغلب حتى لم يبق عليه ثوب فتستر بخرقة لا تواريه فاستحى من الناس فهرب على وجهه فقيل فرعون وغاب مدة ورجع فرأى لزوم هذا الاسم له فقالت له أمه هل تريد أن تشتغل بالتجارة قال لها لا أرضى الا بما تريده نفسي فوجد معه درهما فاشترى به بطيخا وجلس على قارعة الطريق ليبيعه واذا بعريف الطريق طلب منه درهما فقال فرعون يا هذا اليس معي الا شئ قيمته درهم فقال أمر الملك أن يؤخذ من كل بائع درهم فغضب فرعون وخلى رحله ومضى وجعل يدور بأرض مصر ينقب ويسرق فيهرب مرة ويحبس مرة فاتفق ان رجلا من العمالقة ركض به فرسه فلم يقدر أن يضبطه فوثب فرعون الى الفرس وضبطه بلجامه وأوقفه فقال العملقي يا فرعون أراك قويا فلو أقمت عندي لاتخذتك سائسا فرضي فرعون وأقام عند العملقي مدة يخدمه حتى مات العملقي ولم يخلف أحدا من الورثة فاحتوى فرعون على جميع ماله وحمله الى أمه ولم يزل فرعون ينفق من ذلك المال حتى نفد منه فوقع في قلب

فرعون أن يقعد على باب مقابر مصر و يطالب أرباب الجنائز بشيء يظهر أنه بأمر الملك فلم يزل كذلك مدة حتى بسط له بساطا وجعل له خادما وكان الناس يعطونه فجمع من ذلك مالا عظيما حتى مات للملك بنت فتعلق بجنازتها فرعون فأخبروا الملك بذلك فاستدعاه فحضر ودعاه الملك وقص عليه قصته فهم الملك بقتله فأفدى نفسه بمال جزيل فطابت نفس الملك بالمال وأراد أن يقره على عمله فنهته أرباب دولته وقالوا له هذا أمر قبيح فعله وذكره بين الملوك مذمة فقال فرعون للملك اني قوي على ان يكون أمر الحرس في يدي وكان الملك كثير الاعداء فخلع الملك عليه وجعله أمينا على الحرس فاتخذ فرعون قبة في وسط البلد وجعل له اعوانا للحرس شداد البأس قال فرأى الملك في منامه أن عقربا اسود لهشعاع قد ملأ المدينة لدغ الملك فأفاق الملك من منامه مرعوبا فركب بالليل وقصد وزيرا من وزرائه ليخبره بما رأى فرآه فرعون فأخذه الى القبة فقص الملك لفرعون ما رأى فعند ذلك أخذ فرعون سيفا وقتل الملك سرا وركب فرعون وقصد قصر الملك فجلس على السرير ووضع التاج على رأسه وفتح الخزائن واستدعى الوزراء وأصلحهم بالمال ودانواله فأول من دخل عليه وسجد بين يديه هامان وكان غلاما لسنجاب قال كعب الاحبار أول من سجد بين يديه ابليس اللعين وأول من سماه الهاور بانم سجد هامان والوزراء والاعوان والكهنة ثم بعث فرعون الى أسباط بني اسرائيل فدعاهم الى الطاعة فأقبلوا وسجدوا بين يديه وقصدوا بالسجود سرا الله المعبود قال فجاء ابليس على الصورة التى سجد بها الفرعون فقال أيها الملك أنا أتخذ لك صنما تنفرد به ولقومك أصناما فقال افعل ما بدا لك وأمر فرعون باتخاذ الاصنام و بعبادتها وكان بنو اسرائيل يعبدون الله سرا

﴿قصة آسية بنت مزاحم رضي الله تعالى عنها﴾

(قال) كعب الاحبار ان آسية كان أبوها مزاحم قد تزوج بأمها في الليلة التي اقترن سعد الكواكب بالزهرة فحملت امرأة مزاحم بآسية فرأى مزاحم في منامه كأن شجرة خضراء خرجت من ظهره واذا بغراب قد انقض عليها وقال أنا صاحب هذه الشجرة فانتبه مزاحم وقص ذلك على بعض صلحاء المعبرين فقال ترزق جارية حسناء صديقة وتكون عند رجل كافر وترزق الشهادة فلما ولدت آسية وصار لها من العمر عشرون سنة واذا هي بطائر مثل الحمامة وفي فيه درة فرمى بها في حجر آسية وقال يا آسية خذي هذه الخرزة فاذا اخضرت فهو أوان تزويجك واذا احمرت فهو وقت الشهادة ثم طار الطائر فأخذت الخرزة وربطتها على عضدها وأخذت في العبادة واشتهر أمرها بالخيرات فوصفت لفرعون فأحب ان يتزوجها فخطبها من أبيها فاغتم أبوها لذلك وقال ان ابنتي صغيرة فكذبه فرعون فقال مزاحم اجعل لها مهرا فأبى فرعون فتلطفوا

به الى أن أرسل اليها خلعة ومهرا فتلطفوا بها الى أجل مداراة فرعون وقالوا لها أنت على دينك وهو على دينه وكان قد أمهرها عشرة آلاف أوقية من الذهب ومثلها من الفضة وبنى لها قبة عظيمة وجعل لها جوارى كثيرة وأمر بذبح البقر والغنم فلما صارت عند فرعون دخل عليها وهم بها فلم يقدر على ذلك وكان هذا حاله معها فرضى منها بالنظر فقط

* ذكر الآيات التى رآها فرعون * قال فبينما هو نائم فى قبة آسية اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون قد قرب زوال ملكك ويكون على يد فتى من بنى اسرائيل قال فرعون أما سمعت يا آسية قالت نعم (آية اخرى) فبينما هو ذات يوم نائم على سريره واذا بشاب قد دخل عليه من غير حجاب وتحت الشاب أسد عظيم وبيده عصا وهو يضرب بها رأس فرعون وهو يقول انظر نفسك ومن أين أنت وأخذه برجله ورماه فى البحر فلما أفاق استدعى بالمعبرين وقص عليهم القصة فقالوا أحلنا فأجلهم فلما خرجوا قالوا لبعضهم هذه الرؤيا تدل على هلاكه فلما جاؤه خافوا منه فقالوا له أضغاث أحلام * آية أخرى * فلما كانت الليلة الثالثة رأى ذلك الشاب قد أتاه وتلك العصا بيده فضرب بها رأسه وقال له ويلك يا فرعون ما أقل حياءك من اله السموات والارض ثم رأى بعد ذلك ان آسية صار لها جناحان فطارت بها بين السماء والارض ودخلت فى السماء وهو ينظر اليها ورأى الارض قد انفجرت فأدخلته فيها فانتبه مرعوبا فجمع الكهنة وقص عليهم رؤياه فقالوا ان هذه الرؤيا تدل على مولود يولد ويسلب ملكك ويزعم انه رسول اله السماء والارض ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه

* حديث قتل الاطفال * فاستشار فرعون وزراءه وقومه فاشاروا أن يجعل على الحبالى حرسا فكل من حملت تحمل الى داره ويكون ولادتها هناك فان كان ذكرا قتله وان كانت انثى تركها ففعل ذلك حتى قتل اثنى عشر ألف طفل فضجت الملائكة الى ربها وقالوا الهنا وخالقنا انت الفعال لما تريد فأوحى اليهم ان لهذا الامر اجلا ممدودا وبشرهم بموسى وحمل امه به وكان فرعون امر وزراءه وأرباب دولته ان لا يفارقوه لان الكهنة قالت له ان هذا المولود يكون من اقرب الناس اليك وكان عمران من جملة ارباب دولته الممنوعين عن مفارقته ايضا فبينما عمران جالس على كرسيه اذ رأى زوجته وقد حملها ملك وجاء بها الى جانب عمران فواقعها وفرعون نائم لم يشعر فحملت تلك الليلة بموسى عليه السلام ثم اغتسلا من حوض فى دار فرعون واحتملها الملك وذهب بها الى مكانها وكل ذلك تحت الليل ولم يعلم بذلك احد من الناس وكان فرعون عين نساء يطوفون فى البلدة فكانوا يطوفون على النساء جميعا الا امرأة عمران لم يدخلوا عليها لعلمهم ان عمران لا يفارق فرعون فلما تم لحمله تسعة اشهر

أخذها الطلق فى نصف الليل ولم يكن عندها أحد الا اخته فوضعته ووجهه بالنور
يتلألأ ففرحت به وهى مكروبة خائفة عليه فتنكست الاصنام على رؤسها وأصبح
فرعون مغموما مهموما فجد فى طلب المولود واتفق ان الوزير هامان وقع فى قلبه ان
الولادة فى بيت عمران فأخذ معه الاعوان ودخل الى دار عمران فجعل هامان يفتش
الدار حتى لم يترك شيأ ونظر الى التنور فرآه يفور نارا ورأى العجين بجانبه فلم يشتغل
بذلك وخرج وكانت أم موسى غائبة فى حاجة لها خارج الدار فلما رجعت رأت هامان
وهو راجع فأخذها الرعب على موسى فدخلت الى الدار ونظرت الى التنور فوجدته
يفور بالنار وكانت لما خرجت وضعت موسى فى التنور وجعلت عليه آلة الوقود حتى
لا يراه أحد عند دخوله فجعل الله عليه النار بردا وسلاما فنظرت أم موسى فى التنور
فوجدت ابنها سالما فأخرجته وأرضعته ولما بلغ عمره تسعين يوما أوحى الله الى امه
اذا خفت عليه فضعيه فى تابوت وألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين فاقبلت امه الى نجار بمصر يقال له سونام وقالت اصنع لى تابوتا
طوله كذا وعرضه كذا وأحكمه لئلا يدخل اليه الماء ولا يخرج منه فصنعه وأتقنه
وسلمه الى أم موسى فعند ذلك أرضعت موسى وكحلته ودهنته ووضعته فى التابوت
وهى باكية حزينة وكان أبوه قد مات وعمره أربعون يوما وأخذت التابوت ورمته فى بحر
النيل نصف الليل فأمر الله الملائكة بحفظه هذا وفرعون مشدد الطلب فى أمر النساء
والأطفال ولم يكن له هجوع قيل انه بقى التابوت فى الماء أربعين يوما وقيل ثلاثة أيام
وقيل يوما واحدا وهو الاصح

* ذكر دخول التابوت لدار فرعون * قال وكان لفرعون بنت برصاء وعجزت الاطباء
عن مداواتها فقال الطبيب أيها الملك ليس لها دواء الا الاغتسال كل يوم بماء النيل
فاتخذ خليجا من النيل الى داره واتفق ان ذلك التابوت قذفته الامواج باذن الله حتى
ادخلته الى دار فرعون فبادرت البنت وأخذت التابوت وفتحته فاذا فيه موسى
فاخرجته بيدها فحين لمسته برئت من علتها وأقبلت بالتابوت الى آسية وذكرت لها
قصته وكيف دخل وكيف شفيت به فاخرجته آسية وقبلته وهى لا تعلم انه ابن عمران
فمضت به الى فرعون وقصت له قصته وكيف شفيت به البنت فقال يا آسية أخاف
أن يكون هذا المولود عدوى ولا بد من قتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان
ينفعنا أو نتخذه ولدا وأهل به فهو عندك حتى تبين انه عدو فاقتله * قصة رضاعه *
ثم انهم عرضوا عليه المراضع فلم يقبل ثم ان امه قالت لاخته كلثم اخرجى وخذى خبر
أخيك فخرجت الى آسية لتأخذ خبره واذا هو فى حجر آسية فقالت كلثم أنا أدلكم على
من يكفله لكم وذهبت الى امها وأخبرتها بذلك فقامت من ساعتها ودخلت على

رعون وموسى بين يديه فعرفتها آسية انها امرأة عمها فقالت لها اعرضي عليه لبنك
لما أخذته امه ووجد رائحتها ارتضع منها فقال فرعون أرى لك لبنا غزيرا فهل لك من
لد قالت وهل ترك الملك لاحد ولدا فظن ان ولدها قتل مع من قتل ولم يعلم انها امرأة
مران فقالت لها آسية أحب أن تكوني عندي فأقامت عندها سنتين حتى استغنى
ن الرضاع فلما همت امه على الانصراف أمرت لها آسية بحمل من الذهب والثياب
لفاخرة وذهبت غنية مستبشرة
عجائب موسى صلى الله عليه وسلم) فلما صار لموسى ثلاث سنين اقعده فرعون فى حجره
د موسى يده الى لحية فرعون ومعط منها خصلة فاغتاظ فرعون غيظا شديدا وقال
هذا عدوى وهم بقتله فقالت له آسية ليس للصغار عقل ولا معرفة وأنا آتيك بدليل
وأمرت باحضار طشت وجعلت فيه تمرة وجمرة وقدمته الى موسى فمد يده الى التمرة
فحول جبرائيل يده الى الجمرة فرفعها الى فيه فأحرقت لسانه وأخذ بالبكاء الشديد
فسكن غيظ فرعون (آية أخرى) فلما تم لموسى سبع سنين كان قاعدا مع فرعون على
سريره فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير غضبان وضرب برجله قوائم السرير
انكسر منه قائمتين فسقط فرعون فانهشم انفه وسال الدم على وجهه فهم بقتله فقالت
آسية الا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداءك فسكن غضبه * آية
أخرى * فلما صار لموسى من العمر اثنتا عشرة سنة قعد يوما على المائدة وعليها جمل
مشوى فقال موسى له قم باذن الله فقام قائما على المائدة ففزع فرعون من ذلك ودخل
على آسية فأخبرها بذلك فقالت الا يسرك أن يكون لك ولد يأتى بمثل هذه العجائب
فسكن غضب فرعون * آية أخرى * فلما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج
يوما وتوضأ ووقف يصلى فقال رجل من خواص الملك ياموسى لمن تصلى قال لسيدى
ومولاى فقال الرجل تعنى أباك فرعون قال على فرعون لعنة الله وعليك معه وكان
ذلك دأب موسى بأمر فرعون وكل من أتى ليخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله
عليه فرعون قبل الاخبار فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار
(آية أخرى) لما علم أهل مصر انه من أراد أن يوشى للملك بما يفعل موسى يتسلط عليه
ويضره قبل أن يوشى امتنعوا من أن يخبروا فرعون بشئ من فعل موسى الا بالجميل قال
فلما صار لموسى أربعون سنة وبلغ أشده وكان موسى يذكر لبنى اسرائيل ما عليه
فرعون من الضلالة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبغض أهل الكفر
* حديث القبطى * وكان طباخا لفرعون فاشترى حطبا فرآه فتى من بنى اسرائيل
ممن كان يجالس موسى فجذبه القبطى ليحمل الحطب فامتنع واستنصر بموسى فقال
موسى خل سبيله فأبى القبطى فوكزه موسى فى صدره فمات فندم موسى على قتل

القبطى خوفا من الله فقال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له فلما أصبح فى اليوم الثانى صار موسى خائفا من فرعون لان فرعون علم بذلك الامر فبينما موسى خائف يترقب واذا الذى استنصره بالامس يستصرخه على قبطى آخر ابن أخى المقتول وكان هذا القبطى يطالب الاسرائيلى بدم عمه ويريد أن يأخذه الى فرعون فطلب الاسرائيلى من موسى أن يعينه على القبطى فقال موسى للاسرائيلى انك لغوى مبين أغويتنى بالامس حتى قتلت رجلا وتريد اليوم أن تغوينى لاقتل آخر فخزى الفتى من كلام وعلم أن موسى ندم على مافعل بالامس وعلم القبطى أن الاسرائيلى لم يقتل عمه وانما قتله موسى فأطلق القبطى الاسرائيلى وجاء الى فرعون وأخبره أن موسى قتل عمه فأرسل فرعون فى طلب موسى واذن لاولياء المقتول ان يقتلوا موسى حيث وجدوه وكان رجل يسمى حزقيل مؤمنا من آل فرعون لما سمع ذلك أتى موسى وقال له ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج موسى خائفا الى نحو ارض مدين حافيا بغير زاد متوكلا على الله تعالى

✱ قصة موسى لما كان بأرض مدين ✱ فلما وصل موسى الى مدين فى اليوم السادس وجد رعاة الغنم على بئر يسقون غنمهم واذا بامرأتين تذودان وهو قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان فقال موسى ما خطبكما قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وباقى الماء لمواشينا وابونا شيخ كبير نبى هؤلاء القوم وهم يحسدونه على ما آتاه الله وكان الرعاة اذا فرغوا من السقى يضعون حجرا كبيرا على رأس البئر لئلا يقدر احد على فتحه خوفا على اخذ شئ من الماء فصبر موسى حتى وضعوا الحجر وانصرفوا فقال موسى للمرأتين قربا أغنامكما الى الحوض ثم تقدم ورفع الصخرة عن رأس البئر بيديه ولا يقدر على رفعها الا جمع غفير اى رجال كثيرة وذلك مع ضعفه وجوعه فسقى لهما ثم تولى الى الظل تحت شجرة كانت هناك فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فتمنى موسى فى ذلك الوقت قرصا من خبز الشعير فلما اتت المرأتان الى ابيهما وهو نبى الله شعيب فقال لهما انكما جئتما بسرعة وكان موسى قد سقى لهما فقصتا عليه خبر موسى فقال شعيب لاحداهما وكانت شديدة الحياء اذهبى فأتينى به فأقبلت الى موسى وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فقام موسى معها فكانت تمر بين يديه فكشفت الريح عن ساقيها فقال لها موسى تأخرى الى خلفى ودلينى على الطريق فتأخرت فكانت تقول له عن يمينك عن يسارك قدامك حتى دخل مدين الى بيت شعيب فأذن له شعيب بالدخول فدخل فسلم عليه وجلس بين يديه فسأله شعيب ما الذى جاءبك الى ارض مدين فقص عليه موسى كما قال تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين فدعا

شعيب بالطعام فأكل وحمد الله تعالى فقالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فكان من قوته رفع الحجر عن البئر وكان لا يرفعها الا جمع من الرجال وكان من أمانته تأخير المرأة عنه لئلا ينظرها فقال شعيب يا موسى اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد ان أشق عليك فرضي موسى وقال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت من الثماني الحجج أو العشر فلا عدوان على اي لا سلطان على فرضي شعيب قال فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صفورا بحضرتهم ثم أدخله عليها فلما أراد موسى الانصراف مع الغنم قال له شعيب ادخل الى هذا البيت وخذ عصا فدخل موسى ونظر الى عصي معلقة فاخذ من جملتها عصا حمراء قال شعيب أرني هذه العصا التي أخذتها يا موسى فلما لمسها شعيب قال ضعها مكانها وخذ غيرها وأرني ما أخذت ففعل موسى ذلك مرارا فكان كلما وضعها وأخذ غيرها فلا يخرج بيده الا تلك العصا قال شعيب يا موسى خذها فهي من أشجار الجنة أهداها الله لآدم يا موسى واني وصيك بها فاحفظها وان اهل مدين يحسدوني فيدلوك على مكان لا ماء فيه ولا مرعى اعلم ذلك فخرج موسى بغنم شعيب وكانت أربعمائة شاة فما زالت تزيد مع موسى حتى صارت أربعين الفا وكان لا يجسر أحد من الرعاة ان يسقي قبل موسى قال فلما بلغ موسى الثماني حجج قال له شعيب مهما جاء من الغنم ذكور في السنة التاسعة فهي لك وفي السنة العاشرة اناث فهي لك فأتت الاغنام في التاسعة بذكور خلص وفي العاشرة باناث خلص فسبحان الرزاق العليم فاخذ الجميع موسى

(خروج موسى من ارض مدين) فلما عزم موسى على الانصراف بكى شعيب وقال يا موسى كنت مباركا علي فكيف تخرج بابنتي وقد كبرت وضعف بصري وكثر فسادي وغنمي شاردة بغير راع فقال موسى طالت غيبتي عن امي واختي وخالتي وقد تركتهم في بلدة فرعون فقال شعيب أكره ان امنعك عن املك وهذه ابنتي معلك تم الصاحب لك فكن بها شفيقا ونعم الرفيق أنت وهي واوصاها كذلك ودعا لهما ل فسار موسى باهله وولده وغنمه يريد ارض مصر فلما قرب الى وادي طوى بقرب الطور وكان آخر النهار وقد هبت الرياح وسكب المطر وعظم البرد فانزل موسى اهله وضرب الخيمة على جانب الوادي وكانت امرأته حاملا فاخذها الطلق في الحال فجمع موسى حطبا واخرج زنادا وضربها فلم تور شيأ واجتهد فلم يحصل شرر فرمى بها وخرج من الخيمة متحيرا في امر النار فاغتم لذلك فنظر على بعد فاذا هو بنار تلوح فتوجه في طلبها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة يعني من عند الشجرة ولم تكن نارا بل نور فنودي يا موسى اني انا ربك فاخلع

نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى الى قوله
تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي ف
اخرى وهذه المآرب كان يعلق عليها كساه ويستظل بها ويقاتل بها ا
ويعلق عليها زوادته قال الله تعالى ألقها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى ف
ولى مدبرا ولم يعقب فلما هرب قال له جبرائيل أتهرب من ربك ياموسى وهو
فرجع موسى الى موضعه والحية بحالها قال الله تعالى خذها ولا تخف فادخل يده
ليأخذها بكمه لانه خائف ان تلدغه فقال جبرائيل ان اذن الله في لسعها الك لا
كمك فأخرج يده فاخذها فاذا هي عصا قال الله تعالى واضمم يدك الى جناحك تخ
بيضاء من غير سوء فمد يده الى تحت ابطه فخرجت بيضاء من غير برص آية اخرى
العصا فأنس موسى وذهب عنه الخوف وقال ياموسى انا اخترتك لرسالتي لابعثك الى
عبد من عبيدي بطر نعمتي وتسمى باسمي وعبد غيري قال موسى رب اشرح ا
صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اه
هارون اخي الآية قال الله تعالى لقد أوتيت سؤلك ياموسى (قيل) لما اشتد
شعيب الطلق سمع بذلك سكان الوادي من الجن فاجتمعوا اليها واوقدوا عند
النار وقبلوها حتى وضعت وانصرفوا عنها فلما رجع موسى حمد الله وشكره وتوجه
مصر قال وسخر الله لابنة شعيب راعيا من ارض مدين فعرفها فحملها الى
شعيب فلم تزل عنده حتى فرغ موسى من أمر فرعون فبلغ ذلك شعيبا فرد الى
زوجته

❊ ذكر دخول موسى عليه السلام الى مصر ❊

فأوحى الله الى هرون اخي موسى بقدوم موسى وهو يومئذ وزير فرعون وكان فر
لا يفارقه ليلا ولا نهارا فأوحى الله اليه في المنام ان أخاك موسى قدم من أرض م
رسولا وانت شريكه في الرسالة الى فرعون فانتبه هارون خائفا وظن انه من الشي
وعاد الى منامه فعاد اليه القائل كذلك ثلاث مرات ثم قال له قم الى اخيك وك
الابواب مغلقة فاحتمله الملك الى قارعة الطريق وقال له امض ياهارون واستقبل
أخاك فكان الريح يأتي الى موسى كلام هارون والى هارون كلام موسى حتى اج
فبشر موسى أخاه هارون بالرسالة ثم اقبلا يريدان امهما فقال هرون اني اخاف ان يعا
احد فقال موسى لا تخف قد قال الله تعالى انني معكما أسمع وارى فلما وصلا الى
امهما قرعا الباب ودخلا ليلا فلما رات امهما انهما اجتمعا عندها غشي عليها فلما افاق
قص موسى عليها قصته جميعها وانه رسول الله الى فرعون وقومه فسجدت لله شكرا
فبات موسى تلك الليلة عند أمه فلما كانت الليلة الثانية أخذ موسى عصاه ومضى فبا

كان يضرب بها بابا بابا الا وفتح حتى فتح كذا وكذا بابا حتى صار فى قبة فرعون فلقيه نائما
واخوه عند رأسه جالس على كرسى فلما رآه هارون قام اليه وقال ياموسى أفى مثل
هذا الوقت وفى مثل هذا المحل يكون الكلام اذهب فلكل مقام له مقال فذهب
موسى هذا وفرعون نائم لا يشعر فلما أصبح الصباح أتى موسى الى فرعون فمن القوم
من عرفه ومنهم من لم يعرفه فأخبر الناس فرعون بقدوم موسى فقالوا رجل طويل
اسمر كث اللحية عليه جبة صوف وفى رجليه نعل مخصوف وفى يده عصا خضراء فعند
ذلك اصفر وجه فرعون وارتعدت قوائمه وخاف خوفا شديدا فأمر هامان أن يحبس
موسى وقال فرعون لاخيه هارون لاى شئ لم تعلمنى بمجئ موسى فقال أيها الملك
خفت أن أشوش عليك بخبره والآن هو فى حبسك فاحضره بين يديك واسأله فيم جاء

مخاطبة موسى عليه السلام لفرعون

(قال) فزين فرعون قصره وكشف عن جواهر سريره واستدعى بكبراء قومه واوقف
هارون عن يمينه وهامان عن شماله على العادة وأحضر موسى فكانت تقول بنو
اسرائيل لاشك بأن يقتل فرعون موسى فلما حضر موسى قال له فرعون تجاهلا من
انت قال موسى أنا عبد الله ورسوله وكليمه قال فرعون ياموسى انك عبد فرعون وابن
عبده وابن أمته قال موسى ان الله أعز من أن يكون له ند لا اله الا هو وقال فرعون الى
من أرسلك ربك قال موسى اليك والى أهل مصر قال فرعون فيم أرسلت قال لتقولوا
لا اله الا الله وحده لاشريك له وانى موسى عبده ورسوله وهذا أخى هارون معى رسولا
اليكم انزل يا أخى وبلغ رسالة ربك فنزل هارون عن كرسيه وقال يافرعون انا رسولا
ربك اليك لتؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيأ فبهت فرعون وتحير لما قال هرون
ذلك لانه كان عنده بمنزلة عظيمة فعند ذلك غضب وقال لوزيره انزع ما كان على هارون
من لباسه فجردوه عن أثوابه فبقى عريان ولم يبق عليه شئ غير لباس عورته فنزع موسى
مدرعته وألبسها لاخيه هارون فقال فرعون لوزيره هامان خذهما اليك واذكر لهما
نعمتى وتربيتى وما صنعته معهما من الجميل فجاء بهما الى منزله وأكرمهما فصار يعظهما
هامان و يتلطف بهما ليدخلهما فى طاعة فرعون وهما يعظانه ليدخلاه فى طاعة الله فلم
يقدر أحد من الفريقين على اطاعة صاحبه قال فأحضرهما فرعون بعد ذلك وقال
لموسى ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الآية الى قوله تعالى وجعلنى من
المرسلين اليك وقال موسى يافرعون جعلت بنى اسرائيل عبيد الك تذبح أبناءهم
وتستحيى نساءهم فغضب فرعون وكان متكئا فجلس وقال فأت بآية ان كنت من
الصادقين فاضطربت العصا فى كف موسى فالقاها فاذا هى ثعبان مبين فلما رآها
فرعون ومن حوله فروا هاربين فكان لهم صيحة عظيمة فكان أول من هرب فرعون

وتبعه القوم فقال ان هذا السحر عظيم فارسل فرعون فاحضر السحرة ووعدهم بمال
جزيل ان كانوا هم الغالبين فجمعوا حبالا وعصيا فجعلوا بين كل حبلين عصا وبين كل
عصاوين حبلا واجتمع الناس من المدينة والمدائن اللاتي حولها فكانوا خلقا عظيما
وكان ذلك اليوم يوم الزينة فاحضروا موسى وهارون فكانت الحبال والعصى تمشي
بعضها في بعض وجاؤا بسحر عظيم فامتلأ الوادي من الحيات فصارت يركب بعضها
بعضا فأوجس في نفسه خيفة موسى فاوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق
ما في يمينك تلقف ما صنعوا فالقى موسى عصاه فصارت حية لها سبعة رؤس فابتلعت
جميع تلك الحبال والعصى وجميع زينة القوم فوقع الخوف بين القوم فوقف فرعون
ووزراؤه على تل عال لينظروا آخر ما تفعل الحية فاخذت الحية نحو القوم فولوا هاربين
فقال كبير السحرة وكان مكفوف البصر هل تجدون العصا منفوخة أم لا فقالوا على
حاله لم تتغير فقال لو كان فيها سحر لانتفخت ولكنه صادق بانه رسول الله فآمنوا
وقالوا آمنا برب موسى وهارون ثم خروا سجدا لله رب العالمين فامر فرعون بقطع
أيديهم وأرجلهم من خلاف وأمر بصلبهم أجمعين فقالوا يا فرعون نرضى بعذاب الدنيا
فانه ينقضي ولا نرضى بعذاب الآخرة فانه لا ينقضي وكانوا سبعين رجلا

* ذكر الآيات التسع * قال الله تعالى وأرسلنا عليهم الطوفان فدام عليهم ثمانية
أيام بلياليها فكانوا لا يرون فيها شمسا ولا قمرا حتى امتلأت الدور والاسواق ماء
فاخذت الارض في الخراب فجاء القوم الى فرعون فقال لهم انصرفوا أنا أكشفه
عنكم فدعا فرعون بموسى وسأله أن يدعو برفع الطوفان فدعا موسى الله تعالى فرفع
الله الطوفان وكان موسى قد دعا الله برفعه رجاء أن يؤمن فرعون فلما لم يؤمن أرسل الله
عليهم الجراد فاكل أشجارهم وزروعهم ودام عليهم ثمانية أيام ففزعوا الى فرعون
فوعدهم بصرفه عنهم فدعا فرعون بموسى وقال ان صرفت الجراد نؤمن بك فدعا موسى
ربه رجاء ايمانهم فارسل الله على الجراد ريحا باردة فهلك الجراد عن آخره فلم يؤمنوا
فارسل الله عليهم القمل فاكل جميع ما في بيوتهم وجميع ما على الارض ووقع في ثيابهم
فقرضها وقرض أبدانهم وشعورهم فضجوا الى فرعون فصرفهم ثم دعا موسى ووعد
بالايمان فدعا موسى ربه فصرفه عنهم فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع فكانت
أشد بلاء لانها كانت تقع في طعامهم وقدورهم وبين ثيابهم وفرشهم وكان لها رائحة
كريهة فبقوا على ذلك ثمانية أيام فرجعوا الى فرعون وفرعون رجع الى موسى فدعا
موسى ربه في كشف ذلك فصرفه الله عنهم وأرسل اليهم مطرا فجرفها الى البحر
يؤمنوا فاوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك النيل فضربه موسى بعصاه فصار دما عبيطا

فاشتد بهم العطش حتى أشرفوا على الهلاك فكان يمضي الفرعوني والاسرائيلي الى النيل الى موضع واحد فيغرف الفرعوني منه فيكون دما ويغرف الاسرائيلي ماء فلم يؤمنوا فضمن فرعون لموسى ايمانهم فدعا الله فكشفه عنهم فلم يؤمنوا فكان ذلك اربعين يوما بين كل آيتين ثمانية أيام ثم ان موسى قال يارب انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا الآية فكان الدعاء من موسى والتأمين من هارون فأوحى الله اليهما اني قد استجبت دعوتكما فاستقيما على رسالتي فطمس على كثير منهم فأصبح بعض من الرجال والنساء والصبيان حجارة وكذلك أسواقهم وما كان فيها فذلك قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه في التفسير كان أول الآيات العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والبحر حين صار يبسا ثم أخرج عمر خريطة فيها دنانير ودراهم وجواهر وحنطة وشعير وأرز وحمص وعدس وماش ولوبيا وقد مسخ جميعه وقت الطمس

﴿حديث قتل الماشطة وقتل آسية رحمة الله عليهما ورضوانه﴾ قال وكان لبنت فرعون ماشطة فكان يوضع تحتها البنت فرعون كرسي من الذهب والمشط من الذهب تمشطها به اذ وقع المشط من يدها يوما فقالت تعس من كفر بالله فغضبت البنت وأخبرت فرعون فغضب وأحضر الماشطة فاستخبرها فقالت وحق الحق أنا مؤمنة بالله موسى فعند ذلك أمر بالقاء الماشطة الى الارض وبتسمير يديها ورجليها بمسامير في الارض وأتى باولاد الماشطة فقال فرعون ان آمنت بي أطلقتك والاذبحت أولادك على صدرك فأبت فذبح أولادها على صدرها وهي تقول الحمد لله ثم بعد ذلك وضعها في صندوق من حديد محمي بنار فماتت في ذلك الصندوق وكان معدا لمن آمن بالله فيحميه ويضع فيه من آمن بالله الى أن يموت فرأت آسية الملائكة تنزل من السماء وتبشر بقدوم الماشطة على ربها وبايديهم الكرامات لها فقامت آسية من وقتها وساعتها وقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله وكان فرعون مغموما على قتل الماشطة فلم يشعر الا وآسية عنده حاسرة عن وجهها وهي كالوالهانة فقالت له يا ملعون الى كم أصبر وأنت تقتل أولياء الله حتى وصلت الى الماشطة ولم ترع حقها يا ملعون الى كم تأكل رزق الله وتكفر به ولا تشكره والى كم ترى من الآيات ولم تعتبر فصاح فرعون فاجتمع اليه وزراؤه وحجابه فقال انظروا الى فعل موسى وهارون كيف فعل بنا وبقومنا وباهلنا وأفسدهم علينا بسحره ولم أبال بسحره ولكن صعب على حال آسية لكرامتها عندي ولا أدري كيف وصل اليها سحر موسى فسألها فرعون أن ترجع الى أمها ليذهب ما بها من الجنون فأبت فجعلوا يتلطفون بها فجاءت امها ونصحتها فأبت وهي توحد الله وتشهد أن موسى رسوله

وقالت الوزراء لفرعون ان لم تقتلها افسدت عليك جميع قومك فامر فرعون فصنع بها مثل ما صنع بالماشطة فنزل في الحال جبرائيل فبشرها بالجنة وناولها كأسا فشربت منه وبشرها بانها تكون زوجة محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة فماتت من غير تألم رضي الله تعالى عنها وأرضاها

﴿حديث غرق فرعون في البحر﴾ روى ان الله تعالى أهبط جبرائيل على صورة آدمي حسن اللباس فدخل على فرعون فقال له فرعون من أنت فقال عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدي ملكته من نعمتي وأحسنت اليه كثيرا فاستكبر علي وبغي وجحد وتسمى باسمي وادعى في جميع ما أنعمت عليه انه له واني لست المنعم عليه قال فرعون بئس ذلك العبد من عبد قال له جبرائيل فما جزاؤه عندك قال جزاؤه أن يغرق في هذا البحر قال له جبرائيل أسألك أن تكتب لي بخطك ذلك فكتب له فاخذه جبرائيل وخرج الى موسى فاخبره بذلك وقال ياموسى ان الله يأمرك أن ترحل عن موضعك فنادى موسى في بني اسرائيل وأمرهم بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف فلما سمع فرعون بارتحال موسى وقومه نادى في جنوده فاجتمعوا وكانوا لا يحصون لكثرتهم ولحقوا موسى لانهم اعتقدوا انه هرب فلحقوه فادركوه فقال بنو اسرائيل ياموسى أدركنا فرعون بجنوده فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا للاسباط الاثني عشر وجعلوا يسيرون ويرى بعضهم بعضا وموسى بين أيديهم وهارون من ورائهم حتى دخلوا البحر جميعهم فاقبل فرعون وهامان عن يمينه ووزراؤه وجنوده خلفه فنظر الى البحر والى تلك الطرق فوجدها يابسة فحدثته نفسه في الدخول وعدمه وهم بالدخول فابت فرسه من الدخول واذا بجبرائيل عليه السلام راكب على رمكة فدخل في أثره فرس فرعون طمعا في الرمكة قال فدخلوا أجمعون فرعون وقومه حتى لم يبق منهم أحد على الساحل فانطبق عليهم الماء واذا بجبرائيل عليه السلام ومعه الصحيفة التي كتبها فرعون فاعطاه اياها فلما قرأها علم انه هالك قال فلما استيقن فرعون بالهلاك قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل الى قوله آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يعني أنجى الله جثته وأخرجها الى البرلان بني اسرائيل كانوا في شك من غرقه فعلمت بنو اسرائيل انه غرق وغرقت قومه أجمعون وأورثهم الله أرضهم وديارهم * ثم ان الله تعالى أوحى الى موسى أن يسير الى الارض المقدسة فان فيها قوما يعبدون الاصنام وهي أرض فيها مواضع الانبياء فامر موسى قومه بالمسير معه اليها فقالوا ياموسى ان الله

بعيلك واخرجك الينا لهيخينا من فرعون والآن تحملنا ماهو أشق علينا من فرعون ومعنا النساء والصبيان والزمنى والمشايخ وتلك البلاد مفاوز وليس معنا زاد وبها الحر الشديد فاوحى الله الى موسى أني مظلهم بالغمام ومنزل عليهم المن والسلوى وجعلت نعالهم لا تبلى وثيابهم كذلك وأمرت الحجارة أن تنفجر لهم بالماء فعند ذلك طابت نفوسهم وساروا مع موسى فوجدوا جميع ذلك من قدرة الله تعالى فاختار موسى اثني عشر رجلا فقال أريد ان تتوجهوا الى أريحاء مدينة الجبارين لتأتوني بخبرها وخبر أهلها واذا جئتم فاكتموا خبرها عن بني اسرائيل فخرجوا ومعهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وساروا حتى أشرفوا عليها فرآهم رجل من الجبارين فساقهم حتى أدخلهم الى أريحاء فاجتمع عليهم أهلها فوجدوهم عظيمي الجثة طوالا وكانت بنو اسرائيل بالنسبة اليهم صغار الجثة ضعفاء فهموا بقتلهم فقال بعضهم لا تقتلوهم واجعلوهم لنا عبيدا فلما جاء الليل هربوا فوصلوا الى واد يقال له وادي العنقود فأخذوا منه رمانة وعنقودا من العنب فلما وصلوا الى بني اسرائيل أشاعوا ما صار لهم وما رأوه من عظم خلقتهم فوقع الخوف في قلوب بني اسرائيل فقالوا يا موسى ان مملكة فرعون كانت علينا أخف مما نحن فيه من دخول مدينة الجبارين وانا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فقال موسى يا قوم لا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين فابوا عن المسير معه الى اريحاء الا القليل منهم فقال موسى رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فاوحى الله اليه لما سميتهم فاسقين فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين قال فكان كلما خرج واحد من الفاسقين عن أصحابه يتيه في الارض فلا يهتدي أن يلقى أصحابه فهلك فلا زالوا كذلك حتى انقرضوا عن آخرهم في أربعين سنة فسار موسى بمن معه من المؤمنين حتى وصلوا الى أريحاء فغلب موسى على المدينة وأهلها فهرب من كان بها الى بلاد أخرى وتفرقوا وأهلكهم الله تعالى

❊ حديث قارون وبغيه ❊ كان قارون ابن عم موسى وكان رجلا فقيرا عابدا فجاء الى أخت موسى وقال لها من اين لموسى الذي ينفقه من الذهب فقالت ان الله علمنا صنعة الكيمياء فعلمتها لقارون فاخذ قارون يفعل الكيمياء فاخذ في اللباس الفاخر والخيل المسومة والبناء الرفيع وجمع مالا عظيما قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة معناه أن مفاتيح كنوزه كانت تحمل على أربعين بغلا فعند ذلك ترك العبادة واشتغل بها عن عبادة ربه حتى كانت الناس تقول يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون فيقول نفر من المؤمنين ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وكان موسى ينصح قارون فيقول قارون كل هذا من الحسد حتى ان قارون قال

لامرأة جميلة فى الحسن فقيرة جائعة ان انت اتهمت موسى وقلت انه دعانى الى ان
يفعل بى القبيح فلم أطاوعه أعطيتك مالا كثيرا واتزوج بك فانصرفت المرأة فى تلك
الليلة وقد ألقى الله فى قلبها التوبة فلما أصبحت أتت الى جمع من بنى اسرائيل وفيهم
قارون فقالت يابنى اسرائيل هذا ما لقى الاخيار من الاشرار فى الاسرار اعلموا ان قارون
دعانى الى نفسه بالامس وقال لى كذا وكذا وان أكذب على موسى بما هو كذا وكذا وان
موسى كان ينهانى عن فساد كنت فيه وأنا الآن تائبة الى الله تعالى فلما سمع بنو
اسرائيل ما قالت المرأة قاموا من جانبه ووبخوه ولاموه وتركوه فبلغ ذلك موسى فغضب
وقال يارب عليك به فاوحى الله الى موسى انى قد أمرت الارض بالطاعة لك وسلطتك
عليه فاقبل موسى ودخل على قارون وقال له يا عدو الله تريد ان تفضحنى يا أرض خذيه
فغاصت داره فى الارض ذراعا فسقط قارون عن كرسيه فغاصت قوائمه فى الارض الى
ركبتيه فاستغاث بموسى فقال موسى يا عدو الله تبنى مثل هذه الدور والقصور وتأكل
فى أوانى الذهب والفضة وأنا أنهاك فلم تنته يا أرض خذيه فاخذته شيأ وهو يستغيث
بموسى فقال موسى ألم تتعظ بهلاك فرعون وغيره من الامم الماضية يا أرض خذيه
فاخذته الارض هو وداره وقال الله عز وجل فخسفنا به وبداره الارض فكان عبرة لمن
اعتبر ❊ قصة موسى والخضر عليهما السلام ❊ قال كعب الاحبار أعطى الله عز وجل
التوراة لموسى وآتاه من العلم كثيرا فقال يارب هل آتيت أحدا من عبادك مثل
ما آتيتنى فاوحى الله اليه ان لى عبدا آتيته من العلم ما لم يأتك فقال يارب أسألك أن
تجمعنى به فاخذ موسى فتاه يوشع بن نون وقد حمل معه خبزا من شعير وحوتا مشويا ثم
سارا على الساحل اياما فلم يرياه فقال يارب أرشدنا اليه فاوحى الله اليه ياموسى اذا
رأيت الحوت الذى معك قد صار حيا فذلك موضعه فسار موسى ومعه فتاه واذا هو
بقبة عظيمة وفيها قوم يركعون ويسجدون فسلم موسى عليهم فردوا عليه السلام
فسألهم من تكونوا وعن الخضر فقالوا نحن ملائكة نعبد الله فى هذه القبة من حين
خلق هذا البحر فسر فان الله يرشدك فسار موسى حتى وصل الى صخرة فجلس موسى
عندها فنام وكان الحوت فى زنبيل فاذا بالحوت قد سقط فى البحر ويوشع ينظر اليه فانتبه
موسى ونسى يوشع أن يخبره بقصة الحوت فجعلا يمشيان حتى بلغا نهرا ينصب فى البحر
فقعد بجانبه موسى وقال ليوشع آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فاخرج يوشع
الخبز وأخبره بذهاب الحوت عند الصخرة فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على
آثارهما قصصا حتى آتيا الى الصخرة فنظر يمنة ويسرة فاذا هو بالخضر يصلى فى جزيرة
من جزائر البحر فقال موسى لفتاه ارجع أنت لبنى اسرائيل وكن مع هارون حتى ارجع
ومشى موسى حتى وصل الى الخضر فوقف ينتظر فراغه من الصلاة فاحس به الخضر

فالتفت من صلاته وقال السلام عليك ياموسى بن عمران فقال موسى وعليك
السلام أيها العبد الصالح من أين عرفتني فقال الخضر عرفني بك من عرفك بي فقال
له الخضر ياموسى سل عما بدا لك فقال موسى هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت
رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا لانى أعمل على الباطن وأنت تعمل على الظاهر
قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ
حتى أحدث لك منه ذكرا فسارا على جانب البحر واذا بطائر قد أقبل فغمس منقاره
في البحر ثم أخرجه فمسحه على جناحه وطار نحو المشرق حتى غاب ثم طار نحو المغرب
حتى غاب ثم رجع فصاح فقال الخضر لموسى أتدرى ما قال هذا الطائر قال لا قال انه
يقول ما أوتوا من العلم الا بمقدار ما أخذت بمنقارى من هذا البحر فتعجب موسى من علمه
ثم خرجا الى الساحل يمشيان فبلغا الى مقبرة فجعلا ينظران الى جماجم الموتى
وعظامهم فقال الخضر ياموسى هذه جمجمة فلان الملوك وهذه جمجمة أخيه وعد
لموسى سبع جماجم اخوة فنطقوا كلهم عن أسمائهم وأفعالهم فتعجب موسى وخرجا
من القرية ومشيا على الساحل فاذا هم بسفينة قد رفع اهلها اشراعها وهم يسيرون
في وسط البحر فلوح الخضر اليهم فاقبلوا اليه وقالوا ما حاجتك قال أريد موضع كذا
وكذا وأحب ان تحملونا الى هناك فقربوا السفينة ودخلا عندهم فساروا حتى
صاروا في لجة البحر فعمد الخضر الى لوح من ألواح السفينة فكسره وسد موضعه بخرقة
كانت معه قال له موسى أخرقتها لتغرق أهلها أليس هذا جزاء أهلها فانهم حملونا
بلا أجرة قال الخضر ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا فسكت موسى وقال
لا تؤاخذني بما نسيت الآية ثم ساروا قليلا فاستقبلتهم سفينة فقالوا ان الملك يريد
سفينتكم فقالوا فيها عيب فدخلوها فوجدوها معيبة وهو الموضع الذى كسره الخضر
فتركوها فخرج الخضر وموسى من السفينة وجعلا يمشيان فلقيا غلمانا يلعبون
وفيهم غلام أحسن ما يكون فاخرجه الخضر من بينهم وعمد الى صخرة فضرب بها رأس
ذلك الغلام فقتله فعظم ذلك على موسى فقال ايها العبد الصالح أقتلت نفسا زكية بغير
نفس لقد جئت شيأ نكرا قال الخضر يا ابن عمران ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا
قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا ثم سارا حتى أتيا
اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه
الخضر بأن جمع الطين والحجارة وسواه فضجر موسى فقال ايها العبد الصالح استطعمت
اهل هذه القرية فلم يطعموك قال ياابن عمران هذا فراق بينى وبينك وانى منبئك
أما السفينة فكانت لعشرة أنفس خمسة ضعاف مرضى وخمسة صحاح وكان الاصحاء
يعملون للمرضى وكان ذلك الملك يأخذ السفن السالمة غصبا فأعبتها لئلا يأخذها

الملك وأما الغلام فكان يقطع الطريق وكان أبواه يغفران منه ويدعوان عليه فقتلته لاني لو تركته لكان فعله يوجب لابويه الكفر ولم يرد الله ذلك لهما وأراد أن يرزقهما خيرا منه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان تحته كنز لهما ولو سقط الحائط لتبين الكنز وذهب المال فأراد الله أن يبقيه لهما ببركة والدهما فذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا انتهى (ولما) توفى موسى صلى الله عليه وسلم أرسل الله اليه ملك الموت فجاءه وهو يقرأ في التوراة بين أهله فقال السلام عليك ياموسى فقال وعليك السلام من أنت قال أنا ملك الموت جئت لقبض روحك فادن منى حتى أشم رائحتك فدنا منه فقال تنفس فتنفس فقبضها ومضى ملك الموت صلى الله عليه وسلم

ذكر نبي الله يوشع عليه السلام ثم ان يوشع أخذ بعد موسى في الجهاد ففتح الله على يديه من المدن نحو ثلاثين مدينة من مدن الشام ثم جمع بني اسرائيل وقال لهم اعلموا رحمكم الله ان مدينة أريحاء فتحها موسى صلى الله عليه وسلم ونفى الجبارين منها والآن قد عادوا اليها وأنا سائر اليهم فخذوا أهبتكم فان الله ينصركم عليهم فسار يوشع بأصحابه حتى نزل بساحة أريحاء وتقابلوا وتقاتلوا مع الجبارين فقتل من الطائفتين خلق كثير وانهزمت الجبابرة عند العصر من يوم الجمعة وكان في عهد موسى ان يوم السبت للعبادة فقال يوشع ان فترنا عنهم هذه الساعة فيكون يوم السبت فلا فيقوى عدونا هذا اليوم فدعا الله وقال اللهم أطل علينا بقية هذا اليوم انك على كل شئ قدير اللهم انك تعلم ضعف بني اسرائيل فانصرنا ياخير الناصرين فأرسل الله ملكا الى يوشع انى حبست لكم الشمس ونصرتكم فمازال يوشع يجاهد ويجالد والشمس محبوسة بقدرة الله حتى دخل يوشع مدينة أريحاء وأبادهم وغنم أموالهم ثم سار من أريحاء الى بلاد كنعان فقتل من ملوكها نحو ثلاثين ملكا وفتح ثلاثين حصنا

حديث الياس عليه السلام قال كعب الاحبار لما ولد الياس طلع منه نور ساطع أضاء منه المشرق والمغرب فقالت بنو اسرائيل سلوا عن امتداد هذا النور فتتبعوه فوجدوا مولودا ولد من ولد هارون عليه السلام فقالت بنو اسرائيل هذا الذى بشرونا به وان الله يهلك الجبابرة على يديه ولما بلغ الياس من العمر سبع سنين حفظ التوراة وقال يوما من الايام يابني اسرائيل أريكم من نفسى عجبا فصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبكم فلما سكن الرعب عنهم أرادوا قتله فهرب منهم الى الجبال فكان يدور مع السباع والوحوش حتى استكمل عمره أربعين سنة فهبط جبرائيل عليه السلام على الياس فقال له من أنت قال أنا جبرائيل قال بماذا جئت قال مبشرك بالنبوة وأن الله جعلك رسولا الى الملوك الجبابرة الذين يعبدون الاصنام فقال الياس كيف أصنع وأنا وحيد وهم عندهم الجموع والسلاح فقال جبرائيل ان النصرة لك والقوة

وان الله أمر الوحوش والنار بطاعتك وأعطاك قوة ثلاثين نبيا فامض الى قومك قال وكان قومه فى سبعين قرية كل قرية أكبر من مدينة وفى كل قرية جبار يسوسهم فنزل الياس الى قرية فجاء الى جانب قصر جبارها وأخذ يتلو التوراة بصوت حسن فسمعه الجبار وزوجته فجاءت زوجة الجبار اليه فقالت من أنت وما تريد فقال انى رسول الله اليكم فقالت وما حجتك فقال ما تريدين قالت ادع هذه النار لتأتيك فدعا النار فأتته فأخبرت المرأة زوجها فآمنا به ثم مضى عنهم وجاء الى أهل القرية فبلغهم رسالة ربه فضربوه وأهانوه وأوثقوه وأخذوه الى ملكهم الاكبر فحمى له القدور وقال له ان لم تنته والا أحرقتك فصاح الياس صيحته المعروفة فارتعبت منها القلوب وخمدت النار فتحير الناس وقالوا يا الياس قد عرفنا حالك فاصبر الى غد فلما أصبح جاء الياس اليهم ووعظهم وحذرهم عذاب الله تعالى وبلغ رسالة ربه فقالوا يا الياس هلا بعث معك ربك جنودا فقال ويلكم ومن يقدر على أمر الله ومخالفته ثم خرج من بينهم الى نحو الملك جاب الذى آمن به وأخبره ثم ان الملك عاميل جمع أكابر مملكته وعلماء قومه وقال ما تقولون فى أمر الياس فقالوا الامان فقال قولوا ولكم الامان فقالوا انا رأينا فى التوراة صفة هذا الرجل وانه يبعث نبيا وتسخر له النار والاسود وانه لا يسمع صوته أحد الا ذل وقال بعض علمائهم كذبوا بل هو كذاب فقال الملك عاميل مهلا حتى ننظر ثم انصرفوا ثم ان الياس عليه السلام عاد الى الملك جاب فأخبره بذلك فقال له الملك جاب يا الياس انى معك فى غرور فان الذين أطاعوك فى ذل واهانة والذين لم يطيعوك فى عز ونعمة فانصرف عنى فلا حاجة لى فيك فقالت زوجته يا جاب ان كنت قد ارتددت عن دينك فلا أرتد أنا عن دينى ولحقت بالياس فكانت تعبد الله فى عريش عند بنت الملك عاميل ثم أسلمت بنت الملك عاميل ولحقت بالياس أيضا فأراد الملك عاميل قتلها فانشغل عنها بموت ولده وكان يحبه حبا شديدا فجاء الياس اليه وقال له يا عاميل ان كان الذى تعبده له قدرة فقل له يرد روح ابنك اليه فمضى الملك عاميل الى صنمه وسجد وتضرع وسأله أن يرد روحه فلم يجبه بشئ فدعا بالياس وقال ان كان ربك يرد روح ابنى أومن بربك وبك فدعا الياس ربه فقام الولد باذن الله حيا سالما فعند ذلك قال الملك عاميل أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله ثم خلع نفسه من الملك ولبس المسوح وتبع الياس فى دينه فلم يزل الياس يبلغ رسالة ربه فلم يؤمنوا ومات الملك عاميل وولده وابنته وزوجة جاب فعند ذلك دعا الياس على قومه بالقحط فقحطوا فلا كانوا يقتاتون بما عندهم من القوت حتى أكلوا دوابهم والعظام فلحقوا على الكلاب حتى الفار ومن مات منهم أكلوه فعند ذلك ضجت الملائكة الى ربها فى حال عباده

المؤمنين والطيور والوحوش فأتوا الى الياس وقالوا يانبي الله ان الله تعالى قد جعل أرزاق عباده اليك أفلا ترحمهم قال فانهم عصوني وغضبي عليهم لله فان آمنوا والا هلكوا فأوحى الله اليه ياالياس احلم ففزع الياس من ذلك وقال الهي مالى علم اني أعصيك وأنت أرحم الراحمين فاوحى الله اليه ان سر اليهم فان آمنوا كان فرجهم على يديك وان كفروا كنت ارأف بهم منك فانطلق الياس حتى دخل الى قرية فرأى عجوزا فقال هل تقدرين على طعام فقالت ماذقت خبزا من مدة طويلة ولى ولد قد أشرف على الموت وانه على دين الياس فقال وما اسمه قالت اسمه اليسع فجاء اليه الياس فوجده ميتا من الجوع فاحياه الله بدعوة الياس فقام وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله وقد جعلني الله وزيرا لك فخرج الياس فاجتمعت اليه الناس وطلبوا أن يدعو ربه حتى يفرج عنهم فدعا الله ففرج عنهم فلم يؤمنوا فدعا عليهم فاوحى الله اليه ياالياس قد بلغت رسالة ربك وفعلت ما أمرت به فاستخلف الآن اليسع وارجع عن ديار قومك وانك عندي لمن المقربين فاقبل الياس على اليسع وقال أنت خليفتي فاوحى الله الى اليسع انك نبي وأرسلتك الى بني اسرائيل وقويتك وأيدتك ثم ان الياس لما خرج عن قومه فاذا هو بفرس تلتهب نورا فقالت أنا هدية الله اليك فاركب فاستوى على ظهرها وجاءه جبرائيل عليه السلام فقال ياالياس أنت تسعى مع الملائكة في الارض فسر حيث شئت فقد كساك الله صفة الملائكة وقطع عنك لذة المطعم والمشرب وجعلك آدميا سماويا وأرضيا

ذكر قصة اليسع عليه السلام

(قال) وهب بن منبه هو اليسع بن أخطوب بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل بعد الياس قال السدي هو ابن عم الياس فلما رفع الله الياس استخلف بعده اليسع قال الواقدي ان في أيام اليسع بنيت مدينة طرسوس وملطية واستمر اليسع يقضي بين الناس بالحق حتى توفي ودفن بفلسطين فلما مات اليسع استمر بنو اسرائيل عشر سنين بغير نبي فعند ذلك أقام فيهم كاهن يقال له عالي بن أسباط بن هرون وكان رجلا صالحا فدبر أمور بني اسرائيل أحسن ما يكون واستمر على ذلك نحو أربعين سنة وفي أيامه ولد شمعون من أنبياء بني اسرائيل وولد أيضا داود أبو سليمان عليهما السلام وكان بين وفاة عالي الكاهن ووفاة موسى عليه السلام أربعمائة وسبعة وثمانون سنة انتهى والله سبحانه وتعالى وأعلم

ذكر قصة شمعون عليه السلام

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى الآية والمراد من قوله تعالى من بعد موسى هو شمعون وكان من ذريته هارون عليه السلام وكان أنبياء بني اسرائيل بمنزلة القضاة يحكمون بين الناس بالحق فلما مات الاسباط ولم يبق منهم سوى

أم شمعون فكان بنو اسرائيل يدعون الله تعالى ان يبعث فيهم نبيا من الاسباط فلما حملت به وكانت عجوزا عقيما من ذرية الاسباط تعجب بنو اسرائيل من شأنها وقالوا لم تحمل هذه العجوز الا بنبى من نسل الاسباط فحبسوها فى بيت حتى تضع ما فى بطنها فجعلت هى أيضا تدعو الله تعالى أن يكون حملها ولدا ذكرا فولدت شمعون وكان اسمه اولا شمويل فلما كبر تعلم التوراة فكفله على الصغر عالى الكاهن المتقدم ذكره فلما بلغ أشده وجاوز أربعين سنة أتى اليه جبرائيل ففزع منه وقال لعالى الكاهن سمعت فى البيت صوتا وليس فيه غيرنا فقال له عالى يا شمعون قم وتوضأ فهذا جبريل عليه السلام فقام شمعون وتوضأ وجلس فظهر له جبرائيل فقال له اذهب الى بنى اسرائيل وبلغهم رسالة ربك فان الله تعالى قد بعثك اليهم نبيا فلبث فيهم نحوا من أربعين سنة يقضى بين بنى اسرائيل بالحق وكان يعرف بابن العجوز * ثم ان بنى اسرائيل قالوا يا شمعون ادع الله بأن يقيم علينا ملكا حتى يكون لنا قوة ويستخلص لنا تابوت السكينة من أيدى العمالقة فلما دعا الله تعالى بعث الى بنى اسرائيل طالوت وهو قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية انتهى

* ذكر قصة الخضر عليه السلام * قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى أمر الخضر عليه السلام قال ابن عباس انه من ولد شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليهم السلام وقال ابن اسحق انه من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام وقال النقاش انه ابن فرعون صاحب موسى ولم يصحح الطبرى ذلك وأبطله وقال آخر هو اليسع صاحب الياس ولم يصح ذلك وقال آخر هو ارمياء ولم يصح ذلك وقال الاستاذ الحافظ أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخثعمى فى كتاب التعريف ان الخضر عليه السلام ابن ملك يقال له عاميل وهو من ولد العيص بن اسحق وامه بنت ملك يقال له فارس وكان اسمها ألهى وانها ولدته فى مغارة وانه وجد هناك شاة ترضعه فى كل يوم فأخذه الراعى ورباه حتى كبر وشب وصار ماهرا جيد الخط قارئا للصحف التى أنزلت على ابراهيم عليه السلام * وقال ابن اسحق ان أبا الخضر عاميل طلب كاتبا جيد الخط ليكتب له الصحف التى أنزلت على ابراهيم وشيث فقدم عليه جماعة من الكتاب وابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما عرضوا خطوطهم على الملك استحسن خط ولده الخضر فوقع فى قلبه محبته واستحسن شكله وعبارته فى الكلام ثم انه بحث عن حقيقة نسبه فتبين له انه ابنه فقام اليه واعتنقه وضمه الى صدره ثم انه نزل له عن الملك وولاه على رعيته عوضا عن نفسه واستمر فى ملك أبيه وهو يقضى بين الناس بالحق الى ان فر من الملك لاسباب يطول شرحها واستمر سائحا فى الارض الى أن وجد عين الحياة فشرب منها كما سيجىء الكلام على ذلك فهو حى الى ان يخرج الدجال ويقتله ثم يحييه الله

تعالى بحضرة الدجال بعد ما يقطعه وقال البخارى وطائفة من أهل الحديث منهم الشيخ أبو بكر بن العربى ان الخضر قد مات قبل انقضاء المائة من عمره والصواب ما رواه أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب الهواتف بسند يرفعه الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال لما مات النبى صلى الله عليه وسلم سمع هاتف يقول السلام عليكم أهل البيت ان فى الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا فكانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخضر عليه السلام فهو دليل على حياته * وأما سبب تسميته بالخضر ففى ذلك عدة أقاويل قال وهب بن منبه كان اسم الخضر ايليا وكنيته أبو العباس وانما سمى بالخضر لانه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء وقيل ان الفروة هى الارض وقال الخطابى انما سمى الخضر خضر الاشراق وجهه وقال مجاهد كان اذا صلى اخضر مكان سجوده وقال آخر كان اسمه خضرون والله أعلم وما مر من نبوته قاله جمهور من العلماء بانه كان نبيا وقال بعضهم كان نبيا ورسولا يوحى اليه وقال جماعة من العلماء انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وهو قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقول الخضر لموسى وما فعلته عن أمرى يدل على انه كان رسولا يوحى اليه والصحيح انه نبى لا رسول كما رجحه العلماء وقد مرت قصته فى ذلك عند قصة موسى عليه السلام وأما قول من قال انه باق الى اليوم فقال عمرو بن دينار ان الخضر والياس فى قيد الحياة مادام القرآن موجودا فى الارض فاذا رفع القرآن يموتان أى الخضر والياس قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الخضر والياس يجتمعان كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج فى مسجد الخيف فى مكة وذكر ان كل واحد منهما يحلق رأس صاحبه هنالك ويأخذ كل منهما شعر صاحبه ويمضيان ويقولان عند تفرقهما الدعاء المشهور (وروى) عن بعض الصالحين انه رأى الخضر عليه السلام وذكر صفته انه أشهل العينين ضخم الجسد طويل القامة أبيض اللحية أحمر الوجه زاهى النظر فصيح اللسان يتكلم باللغة العربية انتهى ما أوردناه من أخبار الخضر على سبيل الاختصار

* ذكر حرب طالوت مع جالوت * قال وهب بن منبه ان الله تعالى أنزل على شمعون عصا من الجنة وقال له ان الملك الذى أبعثه الى بنى اسرائيل يكون طوله على طول هذه العصا قال عكرمة ان الملك طالوت كان أصله سقاء يسقى الماء من بحر النيل على حمار له فتسرب ذلك الحمار منه فخرج فى طلبه فمر على باب شمعون النبى فدخل عليه وقال له يا نبى الله ادع لى بأن يرد الله على حمارى فقال شمعون نعم ثم رأى فيه أمارات تدل على ما أوحى الله اليه فى أمر الملك الذى يرسله الى بنى اسرائيل فاخرج تلك العصا المتقدم

ذكرها فقاسها على السقاء فجاءت طوله سواء وكان طالوت طويلا جدا ولذلك سمى طالوت فقال له شمعون ان الله تعالى قد أمرنى بان أجعل ملكا على بنى اسرائيل وقد ملكتك عليهم فلما خرج الى بنى اسرائيل قال لهم قد ملكت عليكم هذا الرجل وأطيعوه فغضب بنواسرائيل وقالوا كيف تولى علينا مثل هذا وفينا من هو أحق بالملك منه لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب والملك فى سبط يهوذا وطالوت كان من سبط بنيامين فقال لهم شمعون ان الله قد اصطفاه عليكم فقال رجل من بنى اسرائيل وكان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام هذا رجل فقير لا مال له وهو سقاء يحمل الماء الى بيوت بنى اسرائيل فقال لهم شمعون ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت على يده كما أخبرنى الله به وكان طالوت أحفظ الناس للتوراة ثم ان بنى اسرائيل ملكوا عليهم طالوت ثم انه خرج الى قتال العمالقة وكانوا يسكنون بقرى حول فلسطين فلما خرج اليهم حاربهم على تابوت السكينة لان العمالقة كانوا سلبوه من بنى اسرائيل قبل ذلك واستمر عندهم مدة طويلة حتى رده الله تعالى اليهم على يد طالوت * قال السدى ان تابوت السكينة كان طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين وهو من خشب الشمشاد ويقال ان فيه نعلى موسى وقطعة من عصاه وعمامة هارون وقطعة من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وهم فى التيه وكان هذا التابوت اذا قدموه امامهم وقت الحرب ينتصرون على عدوهم فلما سلبه العمالقة منهم أقام عندهم نحوا من عشرين سنة فكان كل من دنا اليه يحترق فقال لهم رجل صالح مادام عندكم التابوت لن تفلحوا أبدا فأخرجوه من بينكم فقالوا له كيف العمل فى اخراجه فعمدوا الى عجلة ووضعوا التابوت عليها ثم علقوا ذلك التابوت على ثورين وساقوهما من غير أحد معهما من الناس حتى أخرجوه من أرضهم وسار الثوران الى أرض بنى اسرائيل فوقف الثوران هنالك ومضى من كان معهما من العمالقة فلم تشعر بنواسرائيل الا وتابوت السكينة عندهم فكبروا تكبيرا عظيما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الملائكة أخذوا ذلك التابوت من على العجلة ورفعوه بين السماء والارض والناس ينظرون اليه حتى وضعوه فى دار طالوت وهو قوله تحمله الملائكة فلما عاين بنواسرائيل ذلك علموا ان الله تعالى قد اختار طالوت بان يكون ملكا عليهم قال السدى ان تابوت السكينة مدفون فى بحيرة طبرية الى أن يخرج عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيخرجه انتهى ذلك

* ذكر قصة النهر وتابوت السكينة *

(قال) قتادة لما أوحى الله الى نبيه شمعون المتقدم ذكره بأن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت ملك العمالقة وكان جالوت فى بيت المقدس فجمع طالوت الجنود من بنى اسرائيل فكان عدتهم نحوا من ثمانين ألف مقاتل فخرج طالوت بالجنود حتى قارب

النهر وكانت وقت القائلة فشكوا من شدة الحر وقلة الماء فقال لهم نبيهم ان الله مبتليكم
بنهر قال ابن كثير النهر هو نهر الشريعة ثم قال فمن شرب منه فليس منى أى من أهـل
دينى ولا طاعتى ثم استثنى بقوله الا من اغترف غرفة بيده ملء كفه وقال البراء بن عازب
ان أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر كانوا نحوا من ثلثمائة انسان وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوم وقعة بدر أنتم على عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا
معه النهر قال السدى فلما جاوز أصحاب طالوت النهر شربوا منه وسقوا دوابهـم ولم
يغـترفوا منه كما أمرهم الله تعالى فقوى عليهم العطش واسودت شفاههم فقال الذين
شربوا من النهـر وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا
عن طالوت وتجنبوا عن أمر القتال فلم يبق مع طالوت الا القليل من الجنود وكان معه
رجل يقال له ايشا وهو أبو داود نبى الله وكان له ثلاثة عشر ولدا وكان داود أصغرهـم
فقال يوما لابيه ايشا يا أبت انى لم أرم قط بقدحى شيـأ الا صرعته فى الحال فقال أبوه
أبشر يا بنى فان الله تعالى جعـل رزقك فى قدحك ثم قال لابيه مرة أخرى يا أبتاه انى
دخلت بين الجبال فرأيت أسـدا عظيما فخضع لى حتى ركبته ثم قبضت بيـدى على
منكبيه فتركته هناك ميتا فقال له أبوه أبشر يا ولدى فان سـعدك أقبل ثم قال لابيه
مرة اخرى يا أبتاه انى اذا سبحت فى الليل اسمع الجبال تسبح معى فقال له أبوه ابشر يا بنى
فهذا دليل نبوتك * فلما تلاقى طالوت مع جالوت أرسـل جالوت يقول لطالوت ان
أبرزت لى من يقاتلنى فان هو قتلنى فله ملكى وان أنا قتلته فلى ملكك فشق ذلك على
طالوت ونادى فى جنوده من يبرز الى جالوت ويقتله أعطيـه نصف ملكى وأزوجـه
بابنتى فلم يجبه أحد من أجناده وكان فى صحبته شمعون النبى فقال له طالوت يا شمعون
ادع الله تعالى ان يأتينا بمن يبرز لجالوت ويقتـله فدعا الله تعالى شمعون ان يأتيه بمن
يقتل جالوت فقال شمعون لايشا انى أريد أن تعرض على أولادك فلما عرضهم عليه
وكانوا اثنى عشر ولدا وهم أمثال الاسود فقال له شمعون هل بقى منهم أحد فقال بقى لى
ولد صغير يرعى الغنم واسمه داود وهو فى الوادى عند الغـنم فمضى اليه شمعون فلما رآ
قال هو المطلوب ورأى فيه من العـلامات مايدل على ما أوحى الله اليه بانه هو الذى
يقتل جالوت فقال له شمعون ان الله قد أمرنى ان ابعثك الى جالوت ويكون قتله على
يدك فقال داود السمـع والطاعة ثم مضى مع شمعون فبينـما هو يمشى فى أثناء الطريق
اذ مر بثلاثة أحجار فدعاه كل واحد منها ان يحمله وقالوا له انك تقتل بنا جالوت فحملها
فى مخلاته ثم لما وصـل الى طالوت بعثه مع الجنود الى جالوت وأركبه فرسا أدهم
وألبسه درعا من الحديد وقلده سيفا وسارت صحبته الجنود الى جالوت فوقف مقابله
وكان جالوت أشـد الناس بأسا وقوة وكان يهزم الجيوش الكثيرة وحـده وكان ا

خودة من بولاد وزنها نحو ثلثمائة رطل بالمصرى وكان له فرس ابلق عظيم الخلقة فلما
برز اليه داود وكان صغير السن ألقى الله تعالى الرعب فى قلب جالوت من داود فقال
له جالوت ياهذا الصبى أنت مع صغر سنك تبارزنى فقال داود نعم ابارزك ثم اخرج من
المخلاة الاحجار ووضعها فى المقلاع فقال له جالوت تبارزنى بالحجر كما يبارز الكلاب فقال
داود نعم لانك أشر من الكلاب فقال جالوت لاقسمن لحمك بين الكلاب ثم ان داود
قال بسم الله اله ابراهيم واسحق وموسى ويعقوب ووضع الاحجار فى المقلاع ورمى بها
جالوت فوصلت مثل النار الى دماغ جالوت ففلقته وما كان عليه من الحديد حتى
خرجت من قفاه فقتل جالوت فحينئذ مالت جنود طالوت على جنود جالوت بالضرب
ونصرهم الله تعالى عليهم وكسروهم باذن الله تعالى ثم انه نزع خاتم جالوت من يده
وجاء به الى طالوت ووضعه بين يديه ففرح طالوت بذلك وفرح بنو اسرائيل بهذه
النصرة ومضوا الى أرضهم وهم سالمون وكان جالوت يسكن بيت المقدس وهو من
العمالقة القديمة وداود لما بارز جالوت كان عمره يومئذ نحو عشرين سنة وكانت وقعة
جالوت مع داود بالقرب من المرج الاصفر بأرض الشام انتهى على سبيل الاختصار

❁ قصة وفاة طالوت وما جرى بينه وبين داود عليه السلام ❁

(قال) السدى لما قتل جالوت ومضى أمره جاء داود الى طالوت وقال له أنجز لى وعدك
من زواجى ابنتك فقال له طالوت أزوجك ولكن بصداق فقال داود أنت شرطت
صداقها قتل جالوت ومعها نصف مملكتك فقال طالوت أصدقها نصيبك من
الملك فقال له بنو اسرائيل أنجز ما وعدته به فلما رأى طالوت ميل بنى اسرائيل معه قال
يا داود انى معطيك ماتريد ولكن بقى لنا أعداء من المشركين فانطلق اليهم وقاتلهم
فاذا قتلت منهم مائتى انسان أزوجك ابنتى من غير صداق فمضى اليهم داود وتقاتل
معهم فصار كلما قتل منهم رجلا نظم قلفته بخيط فأكمل من قلفهم نحو مائتى قلفة
وأتى بها الى طالوت وألقاها بين يديه فقال له هذا ما شرطت فقال بنو اسرائيل أنجز له
شرطه وما وعدته به فلما رأى طالوت قوة داود وميل الناس اليه خشى من سطوته
فأراد قتل داود وكان من عادة الملوك يتوكؤن على عصا فى طرفها زج من حديد فرأى
داود جالسا فى بيت فرماه طالوت بتلك العصا فخلا داود عنها فلم تصبه فاصابت
الحائط فدخلت فيه فقال له داود عمدت الى قتلى فقال طالوت لا ولكن اختبرت
ثباتك للطعان فعند ذلك قام داود وأخذ العصا وهزها نحو طالوت فقال طالوت
الحرمة التى بينى وبينك ان تكف عنى فقال له داود ان الله كتب فى التوراة ان جزاء
سيئة بمثلها والبادى أظلم فقال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك

لتقتلني ما أنا باسط يدي اليك لاقتلك فقال داود اني عفوت عنك ثم ان طالوت
زوجه بنته ولازال مدة يتفكر كيف يقتل داود فعزم على ان يصنع لداود وليمة في
داره ويغافله ويقتله وكانت ابنة طالوت علمت بما يحتال أبوها به على قتل داود
فارسلت الى داود وأعلمته بأن أباها عزم على قتله فاخذ داود حذره منه ثم ان طالوت
صنع الوليمة ولم يبق شيأ من أمر الوليمة فارسل الى داود ليحضر فلما حضر داود بين يدي
طالوت قام له وأكرمه وكان داود بشاشا لطيفا عارفا بصنوف الالحان قال الثعلبي
ان داود كان قبل بلوغ النبوة يوقع بالعود لطالوت لما تغلظ عليه الاخلاط الرديئة
فكان داود يعطي لكل خلط نغمة لمعرفته بذلك فلما أقبل الليل انتهى أمر الوليمة
وانصرفت الناس وكانوا نحو أربعة آلاف انسان قال طالوت لداود اصعد الى السرير
ونم عليه وانصرف طالوت الى نسائه فعمد داود الى زق خمر ووضعه على السرير
مكانه وغطاه باكسية النوم وذهب داود واختبأ في مكان لينظر ما يصنع طالوت فلما
انتصف الليل دخل طالوت خفية يتسلل الى ان جاء الى السرير وظن ان داود عليه
فرفع سيفه وضربه ضربة محكمة فقطع الكساء والزق وسال الخمر فقال طالوت ما أكثر
ما كان يشرب داود من الخمر فلما أصبح طالوت وعلم انه لم يقتل داود أكثر من الحراس
والحجاب وصار يحتجب عن الناس خوفا من داود ثم ان داود دخل على طالوت ليلا وقد
أعمى الله بصر الحراس فلما دخل داود وجد طالوت ملقى على سريره وهو نائم فوضع
داود سهاما من سهامه عند رأس طالوت وسهاما عند رجليه وسهاما عن يمينه وسهاما عن
يساره ثم خرج داود وتركه فلما استيقظ طالوت من منامه رأى السهام حوله فعرف
ان ذلك من فعل داود ورأى عفوه بعد الظفر فقال داود أحلم مني ثم ان طالوت خرج
يوما الى الفضاء وحده واذا بداود مقابله من غير ميعاد فاخذ يمشيان وكان طالوت
فارسا وداود راجلا فخاف داود على نفسه فدخل غارا وتستر فيه فلما أدرك طالوت
الغار أعماه الله عن المكان الذي اختفى فيه داود ورجع طالوت فقتل جماعة من
المؤمنين من أصحاب داود ممن كانوا يحبونه ثم ندم طالوت على قتلهم وتاب وأراد أن
يعلم هل قبلت توبته أم لا فجاء الى قبر شمعون ونادى يا نبي الله شمعون فاجابه من القبر
باذن الله تعالى فقال طالوت اني فعلت كذا وكذا في المؤمنين فهل من توبة فقال
شمعون يا طالوت سر أنت وأولادك وكانوا عشرة وقاتل في سبيل الله حتى تقتلوا فيتوب
الله عليكم وتكونوا من الصالحين فاخذ طالوت بالبكاء وتجهز هو وأولاده ومضى الى
الجهاد وقاتل هو وأولاده فكان يرى مصارع أولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا
كلهم ثم نزل هو للجهاد فقتل ثم أتى رجل الى داود وقال له ان طالوت قد قتل هو وأولاده
فاستخلف على بني اسرائيل كما سيأتي الكلام عليه في موضعه ان شاء الله تعالى انتهى

على سبيل الاختصار

* ذكر قصة داود عليه السلام * قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض الآية قال وهب بن منبه هو داود بن أيشا بن عوفد من ذرية ابراهيم الخليل عليه السلام * قال ابن كثير لما قتل طالوت استخلف بعده داود وقد جمع الله له بين الملك والنبوة وكان قد مضى لداود من العمر نحو أربعين سنة وقد قال الله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فلما تم أمره فى الملك رحل الى بيت المقدس وكان عامة الفتوحات فى أيامه فتح الشام وارض فلسطين ومدينة عمان وحلب ونصيبين وحماة وعنتاب والاردن وكانت هذه بايدى الجبارين * قال السدى ان الله تعالى خص داود عليه السلام بالفضائل والكرامات والنبوة وأنزل عليه الزبور وخصه بالصوت الحسن وكان يقرأ الزبور بسبعين نغمة من الانغام فكان اذا سمعه المحموم عرق والعليل يشفى وكان اذا قرأ فى الفضاء تجتمع اليه الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان الريح يسكن عند صوته و يركض الماء الجارى أيضا عند صوته فحسده ابليس على ذلك فصنع آلات الالحان والطرب مثل العود ونحوه واشتغل الناس بذلك عن صوت داود عليه السلام * قال افلاطون من حزن فليسمع الالحان يزل حزنه فان الحزن خمود النفس واذا سمعت ما يطربها اشتعلت وأثارت الت الرواة ان الفيل اذا اصطادوه يموت قهر المفارقة وطنه الا اذا أطربوه بالملاهى فانه يعيش * ومن فضائل داود انه كان اذا سبح يسبح الطير معه والوحوش والجبال والشجر والحجر وكان يفهم تسبيحهم * قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومما خص الله تعالى به داود السلسلة التى كان يعرف بها الحق والباطل قال السدى كانت هذه السلسلة موصولة بالمجرة وكانت معلقة بمحراب داود يتحاكم الناس عندها وكانت من عجائب الدنيا لها قوة كقوة الحديد ولونها كلون النار مرصعة بالجواهر واليواقيت والزمرذ فكان اذا احدث فى الدنيا حادث تصلصل فيعلم بذلك الحادث وكان لا يمسها ذو علة الا برئ لوقته واذا امسها مشرك ذهب منه غل الشرك وكان المنكر لحق صاحبه اذا مد يده اليها لا يصل اليها واذا كان صادقا ومد يده اليها فصل ويمسكها وكانت ترتفع عند الباطل وتتدلى عند الحق واذا قصد أحد شيأ منها ترتفع * قال الثعلبى ان رجلا أودع جوهرة عند رجل آخر فلما جاء ليطلبها منه أنكرها فقال له صاحب الجوهرة امض أنا وأنت الى السلسلة وكان الذى استودع الجوهرة وضعها فى عكازه وكان لا يفارقه من يده قال فمضى الرجلان الى السلسلة فوصلا اليها فقال صاحب العكاز لصاحب الجوهرة خذ اليك هذا العكاز لاحلف لك فأخذه فتقدم وقال اللهم ان تعلم ان هذه الجوهرة قد أعطيتها لصاحبها اخذا ومد يده الى السلسلة فتناولها

ثم أخذه كاز من صاحب الجوهرة فتعجب صاحب الجوهرة فلما أصبح الصباح وجدوا السلسلة قد ارتفعت وغيبها الله عن الناس الى الآن ✽ قال ابن عباس كان داود أشد ملوك الارض سلطانا فكان يحرس محرابه فى كل ليلة ثلاثون ألف انسان من شجعان بنى اسرائيل ✽ ومن معجزات داود عليه السلام أن الله تعالى ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده مثل العجين فكان يصنع منه دروع الزرد وهو أول من اصطنع دروع الزرد وكانوا من قبله يستعملون دروع الصفائح فكان داود يصنع كل يوم اذا شاء درعا ويبيعه بستة آلاف درهم وينفق ثمنه على عياله ويتصدق بالباقى ولا يدخر منه شيأ قال السدى كان داود يتنكر ويمشى فى الاسواق ويسأل الناس عن سيرة نفسه حتى لاقاه جبرائيل فسأله عن سيرة نفسه فقال له جبرائيل ان داود نعم العبد الا انه يأكل من بيت المال فقال داود عند ذلك اللهم علمنى صنعة أنفق على نفسى منها فعلمه الله صنعة الزرد وألان له الحديد فكان يأكل من ذلك قال تعالى وألنا له الحديد وقال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية

✽ ذكر وقوع داود فى الخطيئة ✽ قال وهب بن منبه بينما داود يقرأ فى محرابه اذ دخل عليه طائر فى محرابه من الكوة وكان ذلك الطائر على صفة الحمامة ريشها من الذهب وجناحها مكلل بانواع الجواهر الملونة ومنقارها من الزمرد الأخضر ورجلاها من الياقوت الاحمر فلما رآها داود شغلته عن القراءة فتأملها فظن انها من الجنة فمد يده اليها ففرت من بين يديه الى جانبه فقام اليها ففرت الى الكوة ✽ وقيل كان سبب ذلك ان داود قال يارب أن جميع الانبياء ابتليتهم لتعظم لهم الاجور فهلا ابتليتنى لتعظم اجرى فاوحى الله اليه ياداود استعد للبلاء فى يوم كذا وكذا فلما كان الميعاد أتى اليه ابليس اللعين فى صفة الطائر المذكور قال فتقدم داود الى الطائر ففر الى الكوة الى بستان تحت قصر داود فنظر داود الى البستان لاجل الطائر واذا فى البستان امرأة جميلة ذات حسن فائق على أهل زمانها وهى تغتسل فلما نظر داود اليها خجلت واسبلت شعرها فغطى سائر جسدها فوقع حبها فى قلبه وشغف بها وفى المعنى يقول القائل

نضت عنها القميص لصب ماء ✽ فورد وجهها فرط الحياء
فقابلت الهواء وقد تردت ✽ بمعتدل أرق من الهواء
ومدت معصما كالماء منها ✽ الى ماء معد فى اناء
رأت عين الرقيب على تدان ✽ فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل ✽ وظل الماء يقطر فوق ماء

قال فلما افتتن بها سأل عن أمرها فقيل انها متزوجة برجل من الجند وهو مسافر وله

ستة أشهر في الغزو فعند ذلك كتب الى أمير الجيش يقول قدم أوريا بن حنا امام الجيش وأعطه الراية بيده وكان أوريا زوج المرأة وكان المتقدم بالراية قليلا ما يسلم فلما وصل الكتاب فعل أمير الجيش ما أمره داود فسلم الراية الى أوريا وتقدم فقتل فكتب أمير الجيش يخبره بموت أوريا فعند ذلك خطب داود امرأته فتزوج بها فحملت منه بولده سليمان عليهما السلام وكان اسم المرأة تشايع بنت صوري فاقام معها اياما وكان لداود اذاك تسعة وتسعون امرأة وقد أكمل بأم سليمان المائة وهي تشايع فعند ذلك ارسل الله له ملكين بصفة رجلين فدخلا عليه من غير اذن ففزع منهما داود فقالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وهو قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الآية فقال داود قصا على قصتكما قال احدهما ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال له داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فضحك المدعى عليه فقال له داود تظلم وتضحك فارتفعا وهما يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود انه وقع في الخطيئة فخر ساجدا أربعين ليلة وهو يبكي ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى حتى غرقت الارض من دموعه وأكلت الارض جبهته فرفع رأسه وقام فلبس المسوح وافترش الرماد تحت وجهه وعاد الى ما كان عليه فانقطع عنه الوحي وكان يقول في سجوده سبحان خالق النور رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه والاصار حديثا في الخلق الى يوم القيامة ولم يزل ساجدا وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى حتى انشعب رأسه فجاء اليه جبرائيل وقال يا داود ان الله غفر خطيئتك فاذهب الى قبر اوريا بن حنا واسأله بأن يحاللك فانطلق الى قبر أوريا وقال يا أوريا فقال من قبره لبيك يا داود فقال داود اجعلني في حل مما كان مني اليك فقال أوريا وما كان منك فقال عرضتك للقتل بسبب الزوجة فقال قد حاللتك من ذلك فاوحى الله اليه يا داود هلا قلت له عرضتك للقتل حتى قتلت فتزوجت بزوجتك من بعدك فعاد اليه داود وقال له يا أوريا فلما من القبر ثانيا فقال داود يا أوريا عرضتك للقتل حتى تزوجت بزوجتك من بعدك فلما سمع اوريا بذلك سكت فناداه مرارا فلم يجبه أوريا فبكى داود وحثا التراب على رأسه فاوحى الله تعالى اليه يا داود اذا كان يوم القيامة اعطى اوريا الثواب الجزيل حتى ارضيه واستوهبك منه فقال داود الهي الآن طاب قلبي بمغفرتك وكرمك وذلك قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب فكان داود لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وكان لا يأكل خبز الشعير الا وهو ممزوج بدموع عينيه ويذر فيه الملح وكان لا يأكله حتى يضنيه الجوع ويقول هذا أكل الخاطئين * قال عطاء الخراساني ان داود عليه السلام نقش خطيئته في كفه لئلا ينساها فكان كلما

نظرها يبكي قال وهب بن منبه لما وقع داود في الخطيئة اشتغل بالبكاء والندم عن النظر في أحوال الرعية من بني اسرائيل فعند ذلك اجتمعوا وجاؤا الى ابنه سليمان عليه السلام وقالوا له ان أباك كبر سنه واشتغل بخطيئته عن النظر في أحوال الرعية والحق أن تكون أنت متوليا على بني اسرائيل ودخلوا على داود وتكلموا معه في ذلك ولا زالوا به حتى خلع نفسه من الملك وولى ابنه سليمان ثم ان داود خرج من بني اسرائيل ولحق بالجبل فاجتمع أعيان بني اسرائيل وجاؤا الى سليمان وأشاروا عليه بقتل أبيه فلما بلغ داود أرسل يقول لابنه سليمان هل سمعت قط بابن قتل أباه قبلك ولكن ان جعل الله قتلي على يد بني اسرائيل فلا تحضر أنت قتلي فانه يصير ذلك سنة من بعدك فلما بلغ سليمان ذلك لم يوافق بني اسرائيل على قتل أبيه (قال) السدي لما تاب الله تعالى على داود وأراد ان يرجع الى ملكه ركب وحارب ابنه سليمان حتى هزمه عن المدينة وقتل في هذه الوقعة نحو العشرين ألفا من بني اسرائيل وهرب سليمان فلحقه قائد من قواد أبيه فلما ظفر بسليمان تركه للمجاهدة والغزوات هكذا نقله ابن كثير

ذكر قصة داود وسليمان في الحرث قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان الحرث زرعا وذلك أنه دخل على داود رجلان أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا الرجل انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فأكلته ولم يبق منه شئ فقال داود عليه السلام لخصمه أعطه الغنم التي أكلت الزرع في نظير زرعه وكان ابنه سليمان حاضرا فلما سمع ذلك قال لابيه انك لم تأت بشئ فيما قضيت به فقال له داود وكيف تقضي أنت بينهما فقال سليمان آمر صاحب الغنم بان يدفع الغنم الى صاحب الزرع سنة كاملة فيكون له نسلها ولبنها وأصوافها فاذا كان العام القابل وصار الزرع كهيئته يوم أكل فاسلم الزرع الى صاحبه والاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء على ما قضيته أنت وحكم داود بما قاله ابنه سليمان (ثم) ان داود استخلف ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان لسليمان يومئذ ثلاث عشرة سنة فشق ذلك على بني اسرائيل وقالوا كيف يستخلف علينا غلاما صغير السن وفينا من هو أعلم منه فلما بلغ داود ذلك جمع أعيان بني اسرائيل من أسباط أولاد يعقوب عليه السلام فلما اجتمعوا قال لهم كيف تقولون في أمر سليمان فليجئ كل منكم بعصا ويكتب اسمه عليها ويجيء سليمان بعصا ويكتب اسمه عليها ثم أدخلوا العصي كلها الى بيت واقفلوا بابه فمن أورقت عصاه فهو أحق بالخلافة فقالوا كلهم رضينا ذلك فادخلوا عصيهم كلها ووضعوها في بيت وقفلوه كما أرادوا فلما أصبحوا وجدوا العصي كلها على حالها الا عصا سليمان فانها صارت مورقة فلما رأت بنو اسرائيل ذلك علموا أن سليمان هو الخليفة عليهم من بعد أبيه داود واستمر على عبادة

الله تعالى معتكفا حتى مات قال ابن كثير لما مات داود مشى في جنازته أربعون الف راهب وعليهم البرانس السود ودفن في خارج باب بيت المقدس وقبره مشهور يزار عليه الصلاة والسلام انتهى على سبيل الاختصار

❋ ذكر قصة نبي الله سليمان عليه السلام ❋ قال الله تعالى وورث سليمان داود قال الثعلبي كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا وكان سليمان أصغر أولاده قال السدي كان سليمان افقه من أبيه وأقضى منه في الحكم ولكن كان داود أشد تعبدا قال السدي والثعلبي لم يملك الدنيا كلها سوى أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فهما النمرود بن كنعان وشداد بن عاد قال الله تعالى حكاية عن سليمان قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاجاب الله دعاءه وأعطاه ❋ سؤال لطيف ❋ قال بعض العلماء كيف طلب سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده والانبياء من شأنهم الزهد في الدنيا ❋ الجواب ❋ اعلم ان سليمان عليه السلام اعلم بذلك فقال أولا رب اغفر لي ثم طلب الملك بعد طلب المغفرة وهو قوله رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال السدي سبب طلب سليمان الدنيا ان جبرائيل عليه السلام جاء الى سليمان وقال له ان الله تعالى يأمرك ان تمضي الى مكان كذا وكذا فان هناك امرأة أرملة ولها عند الله منزلة فامض اليها وارفع عنها حوائج الدنيا وجميع ما تحتاج اليه من أكل وكسوة وغير ذلك فقال سليمان لجبرائيل ان الله تعالى يعلم اني عبد فقير لا أملك من الدنيا شيأ وكان سليمان يصنع القفف بيده ويبيعها ويأكل من ثمنها هو وعياله ولا يقرب بيت مال المسلمين فأوحى الله الى سليمان اطلب مني ما تريد فلما رأى الاذن من الله في الطلب طلب وما قصر فطلب المغفرة والملك فاستجاب الله دعاءه وأعطاه الدنيا من مشرقها الى مغربها ❋ قال وهب بن منبه ان سليمان لم يطلب الدنيا لنفسه وانما طلب أن تكون أمورها اليه حتى يعدل بين الناس وينصف المظلوم من الظالم ويجود على الفقراء والمساكين فان الدنيا مع العبد الصالح في يده لا في قلبه فان كان بالعكس فتغوى النفس وقول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي لان الله ألهمه العدل في الرعية فعلم ان غيره لا يقدر على مثل عمله وكان سليمان متواضعا يجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم ويحدثهم كأنه منهم وكان لا يشبع بطنه من خبز الشعير ولا يلبس الا الصوف مع سعة ملكه ولا ينفق الا من عمل يده ❋ قال وهب بن منبه ان الله تعالى سخر لسليمان الانس والجن والوحوش والطيور والريح فكان الريح يحمل بساطه الى مسيرة شهر في غدوة من النهار وهو قوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر ❋ قال السدي كان طول بساط سليمان فرسخا وهو مركب على أخشاب قال مقاتل ان الجان نسجت له البساط

من حرير ملون وهو مرقوم بالذهب وكان يحمل عليه جنوده ودوابه وخيوله وسائر
الانس والجن والوحش والطير وكان جيش سليمان ألف ألف انسان ويتبعها
ألف ألف من الجان وغيرهم وكان هذا البساط يسير بين السماء والارض مثل السحاب
ودونه الى الارض فان أراد أن يسير بسرعة أمر الريح العاصف أن يحمل ذلك البساط
فيسير كالبرق الى حيث شاء وكان البساط اذا سار لم يحرك انسانا ولا دابة ولا شجرة
واذا مرت على الزرع فى الارض لا يتحرك منه ورقة وكانت ريح الصبا واقفة بين يديه
فاذا تكلم أحد من المشرق أو من المغرب تحمل الريح ذلك وتلقيه فى أذن سليمان * قال
الزمخشرى كان لسليمان كرسى من الذهب برسم الامراء والاعيان وحول ذلك الكرسى
ثلاثة آلاف كرسى من الذهب والفضة قال السدى كان لسليمان ألف قصر مبنية
من قوارير وفيها ثلاثمائة امرأة وألف سرية قال كعب الاحبار كان جيش سليمان
اذا نزل فى الفضاء يملأ مائة فرسخ فكان منها خمسة وعشرون للانس وخمسة
وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان الطير يظله
من حر الشمس وقت القائلة قال الثعلبى كان راتب مطبخ سليمان فى كل يوم مائة ألف
شاة وأربعين ألف بقرة خارجا عن الفواكه والحلاوات وغير ذلك ومع هذا كله لم يرجع
عن أكل خبز الشعير بالملح الجريش وكانت الجن يغوصون له البحار و يستخرجون له
منها الدرر الكبار ويجعلونها بين يديه وذلك قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له
الآية قال الثعلبى ان سليمان كان اذا جلس فى موكبه تقف الغلمان الحسان على رأسه
بأطباق من الذهب وهى مملوءة من المسك السحيق وفيها صحف من الياقوت الاحمر
وفيها شئ من ماء الورد وفوقها طيور صغار مثل العصافير ترفرف بأجنحتها وتنزل فى ماء
الورد وتمرغ فى ذلك المسك وتطير وتنفض على الكبير والصغير من جيشه (قال)
السدى لم يقع لاحد من ملوك الارض مثل ما وقع لسليمان وذلك أن الريح مركبه والبحار
خزائنه والجن خدمه والملائكة حفظته والطير من الشمس تظله والوحوش تحرسه
وكان آصف بن برخيا وزيره والاسم الاعظم مكتوبا على خاتمه * وقيل ان سليمان تأمل
ذلك وأعجب بنفسه فمال البساط من تحته فى قوة سيره فهلك من جيشه نحو اثنى عشر
ألف انسان فى ساعة واحدة فلما رأى سليمان ذلك ضرب البساط بقضيب كان فى يده
وقال اعتدل أيها البساط فأجابه البساط من تحته وقال له اعتدل أنت يا سليمان حتى
اعتدل أنا فعلم أن البساط مأمور فخر سليمان ساجدا * قال وهب بن منبه فلما اتسعت
الدنيا عليه نسى الارملة التى تقدم ذكرها فلما تذكرها أضرب وتوجه اليها وهو ماش
على قدميه فوقف على بابها فأذنت له بالدخول فدخل فوجد المرأة عمياء وحولها

ثلاث بنات فقالت يا سليمان يوصيك الله بى وتغفل عنى هذه المدة الطويلة فاعتذر لها سليمان من ذلك وقال لها منذ كم وأنت عازبة فقالت له منذ عشر سنين ومعى ثلاث بنات ولم يكن لى ما يكفيهن من القوت فلما سمع سليمان ذلك حمل اليها مائة رجل ما بين قماش ومال وغير ذلك وقال لها متى فرغ من عندك شئ فارسلى لى أعلمينى حتى أرسل اليك عوضه فان الله أمرنى أن أكفيك هم الدنيا وأمر المعيشة قال أبو عمرو بن الجونى بينما سليمان سائر على بساطه بين السماء والارض اذ مر برجل راع فلما رأى الراعى البساط وسليمان وجنوده ركوبا عليه قال لقد آتاك الله يا ابن داود ملكا عظيما لم ينله أحد قبلك فألقت الريح كلام الراعى الى سليمان فاحضر سليمان الراعى وقال له ان تسبيحة من مؤمن أفضل مما أوتى سليمان من هذا الملك كله ﴿ومن النكت الغريبة﴾ ما نقله الشيخ عبد الرحمن بن سلام المقرى فى كتاب العقائد ان سليمان لما رأى ان الله تعالى أوسع له الدنيا وصارت بيده قال الهى لو أذنت لى ان أطعم جميع المخلوقات سنة كاملة فأوحى الله اليه انك لن تقدر على ذلك فقال الهى أسبوعا فقال الله تعالى لن تقدر فقال الهى يوما واحدا فقال الله لن تقدر فقال الهى ولو يوما واحدا فاذن الله تعالى له فى ذلك فامر سليمان الجن والانس بان يأتوا بجميع ما فى الارض من أبقار وأغنام ومن جميع ما يؤكل من أجناس الحيوان من طير وغير ذلك فلما جمعوا ذلك اصطنعوا له القدور الراسيات ثم ذبح ذلك وطبخه وأمر الريح ان تهب على الطعام لئلا يفسد ثم مد ذلك الطعام فى البرية فكان طول ذلك السماط مسيرة شهر وعرضه مثل ذلك ثم أوحى الله تعالى اليه يا سليمان بمن تبتدئ من المخلوقات فقال سليمان ابتدئ بدواب البحر فأمر الله حوتا من البحر المحيط ان يأكل من ضيافة سليمان فرفع ذلك الحوت رأسه وقال يا سليمان سمعت انك فتحت بابا للضيافة وقد جعلت عليك ضيافتى فى هذا اليوم فقال سليمان دونك والطعام فتقدم ذلك الحوت وأكل من أول السماط فلم يزل يأكل حتى أتى الى آخره فى لحظة ثم نادى أطعمنى يا سليمان وأشبعنى فقال له سليمان أكلت الجميع وما شبعت فقال الحوت هكذا يكون جواب أصحاب الضيافة للضيف اعلم يا سليمان ان لى فى كل يوم مثل ما صنعت ثلاث مرات وأنت كنت السبب فى منع رزقى فى هذا اليوم وقد قصرت فى حقى فعند ذلك خر سليمان ساجدا لله تعالى وقال سبحان المتكفل بأرزاق الخلائق من حيث لا يعلمون (وقد قيل فى المعنى)

رزقى يأتى وخالقى يكفله ✽ لا أقصد غيره ولا أسأله
ان كنت أظن انه من بشر ✽ لا قدره الله ولا يسره

﴿ومن النكت اللطيفة﴾ ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء ان الهدهد قال يوما

سليمان أريد أن تكون فى ضيافتى يوم كذا وكذا فقال له سليمان أنا وحدى قال لا بل أنت وجنودك فلما جاء يوم الميعاد توجه سليمان هو وجنوده الى ضيافة الهدهد ونزل بجزيرة الهدهد فطار الهدهد الى الجو وغاب ساعة ثم أتى وفى فمه جرادة فخنقها ورمى بها فى البحر وقال له يانبى الله تقدم وكل أنت وجنودك ومن فاته اللحم فعليه بالمرقة فضحك عليه سليمان وصار كلما تذكر تلك الضيافة سليمان يضحك ﴿ومن النكت﴾ مثل ذلك القنبرة أضافت سليمان وأتته ببعض جرادة فقيل فى معناها

أتت سليمان يوم الحرب قنبرة ❊ تهدى اليه جرادا كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة ❊ ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته ❊ لكان قيمتك الدنيا وما فيها

﴿ذكر قصة تزويج سليمان ببلقيس﴾ قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه الصلاة والسلام جالس على سرير مملكته اذ وقع عليه ضوء الشمس وكان الطير يظله من حر الشمس فكان ذلك المكان الذى وقع منه البعض من نور الشمس مكان الهدهد لانه تفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد ودعا بالعقاب وكان عريف الطير فقال له أين الهدهد فارتفع العقاب وسار يمينا ويسارا فلم يره فعاد وقال انه غائب وفى المعنى أنشد بعضهم

ومن عادة السادات ان يتفقدوا ❊ أصاغرهم والمكرمات عوائد
سليمان ذو ملك تفقد طائرا ❊ وكانت أقل الطائرات الهداهد

فعند ذلك قال سليمان يعنى الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا الآية قال بعض العلماء فى معنى عذابه الشديد هو ما قيل انه ينتف ريشه ويسلمه الى النمل فى القيلولة أو يضعه مع غير جنسه أو يذبحه فلما أقبل الهدهد تلقاه العقاب وأخبره بما قاله سليمان فلما وصل اليه وقف بين يديه وخفض جناح الذل فلما رأى سليمان ذلك منه رق له ولم يعجل عليه وسأله عن سبب غيابه فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به علما فقال له سليمان وما هذه الدعوى العريضة قال انى وجدت امرأة بأرض اليمن لم يكن فى قصرك مثلها ولا تقع العيون على أحسن منها واسمها بلقيس ولها عرش عظيم أى أكبر من عرشك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى قال الطبرى ان اسم بلقيس بلقمة وهى بنت هداد بن شرحبيل فلما بلغ سليمان سيرة بلقيس وانها تسجد للشمس من دون الله أخذ سليمان يدعوها للاسلام فقال للهدهد سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وكان نص كتاب سليمان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين فأخذ الهدهد كتاب سليمان ومضى به الى أرض سبأ وهو قوله جئتك

من سبأ أى من نواحى اليمن فسار الهدهد والطيور حوله وألبسه سليمان التاج على رأسه فحمل الكتاب فى منقاره وصار يدعو من يؤمن برسول سليمان فلما وصل الى قصر بلقيس وكان وقت القائلة وجدها على سريرها نائمة وكان فى قصرها ثلثمائة وستون كوة تشرق الشمس كل يوم من كوة فلا تعود اليها الا فى سنة أخرى فى مثل ذلك اليوم وكان لذلك القصر سبعة أبواب فلما أتى الهدهد بالكتاب دخل به من الكوة التى تقابل وجه بلقيس وألقى الكتاب على صدرها ثم رجع الى تلك الكوة التى دخل منها لينظر ماذا تصنع فلما انتبهت من منامها وجدت الكتاب على صدرها فلما قرأته قبلته ووضعته على رأسها * قال السدى لما ألقى الهدهد الكتاب على صدر بلقيس طار الشرك من قلبها ومالت الى الاسلام ثم انها أمرت باحضار قومها وقالت أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم قيل كرامته ختمه فاعلمتهم بما فى الكتاب فلما سمعوا ذلك قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين وكانت بلقيس تحكم على اثنتى عشرة قبيلة من قبائل اليمن فلما قال قومها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وكانت بلقيس من ذوى العقول قد دبرت ملك اليمن وساست الرعية أحسن سياسة * قال قتادة ان بلقيس أرسلت الى سليمان هدية حافلة أرسلت خمسمائة لبنة من الذهب والفضة وزن كل لبنة مائة رطل وخمسة أسياف من الصواعق وتاجين من الذهب فيهما من الجواهر النفيسة واليواقيت والزبرجد وأرسلت اليه حقة فيها درة ممثنة وخرزة من الجزع وهى معوجة الثقب وأرسلت مائة جارية ومائة غلام مردا وألبست الغلمان لبس الجوارى والجوارى لبس الغلمان ثم أمرت الغلمان أن يتكلموا بكلام لين والجوارى يتكلمن بكلام غليظ وأرسلت مع تلك الهدية رجلا من عقلاء قومها يقال له المنذر بن عمرو وكتبت له كتابا بشرح الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز لنا بين الجوارى والغلمان واخبر بما فى الحقة قبل أن تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا من غير علاج انس ولا جان وانظم الخرزة كذلك ثم قالت للرسول انظر اليه فان كان نظره اليك بغير غضب فهو نبى والا فهو ملك فلا يهولك أمره وافهم قوله ورد على الجواب كما تسمعه منه فلما توجه الى سليمان سبقه الهدهد واخبر سليمان بالهدية وبما قالته بلقيس جميعه فلما سمع سليمان بذلك رضى على الهدهد وصارت له فضيلة على سائر الطيور وكان يرى الماء تحت الارض فكان دليل سليمان على الماء فى سفره وصار من الطيور المباركة ثم ان سليمان أمر الجن ان يعملوا لبنا من ذهب وفضة ويفرشوها على طريق جماعة

بلقيس فلما فرشوها جعلوا بين اللبنات موضعا خاليا على قدر اللبنات التي مع رسول بلقيس قدرا وعددا وجلس سليمان على كرسيه فأمر الجن بأن يأتوه بأحسن دواب البر والبحر فجعلوها عن يمين الديوان وعن شماله وجعل من حوله الانس والجن والطيور عاكفة فوق رأسه والوحوش حول ذلك كله فلما وصل رسول بلقيس ومر على تلك اللبنات الذهب والفضة ورأى المحل الخالي بين اللبنات وضع الخمسمائة لبنة في ذلك المحل الخالي الذي جعله سليمان غنيمة له ومازال بعد ذلك سائرا حتى دخل الرسول على سليمان فنظر اليه نظر البشاشة وقال له أين الحقة التي معك فأتى بها فقال سليمان للرسول قبل أن يفتحها ان فيها درة مثمنة من غير ثقب وفيها خرزة من جزع وهي معوجة الثقب فقال الرسول صدقت يانبي الله ثم ان سليمان أمر الارضة وهي دويبة صغيرة فأخذت شعرة في فيها ودخلت في تلك الخرزة وخرجت من الجانب الآخر وأمر دودة بيضاء أن تثقب تلك الدرة فثقبتها ثقبا مستويا ثم نظمهما وأعطاهما للرسول ثم أمر الجواري والغلمان بأن يغسلوا وجوههم بين يديه بأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها الواحدة ثم تجعله في الاخرى فتضرب به وجهها والغلام يأخذ الماء من الاناء دفعة واحدة ويضعه على وجهه قال الثعلبي كانت الجارية تصب الماء على باطن كفها والغلام يصب الماء على ظاهر كفه فعند ذلك ميز بين الجواري والغلمان ثم رد جميع الهدية الى الرسول فلما رجع الرسول الى بلقيس أخبرها بجميع مارأى وبما سمع وبما شاهد من عظيم ملكه فقالت بلقيس هو نبي وليس لنا بحربه طاقة ثم انها أرسلت تقول لسليمان عليه السلام اني قادمة اليك أنا وقومي لانظر ما ذا تدعونا اليه من دينك وعزمت على التوجه اليه وجعلت عرشها في قصرها وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حراسا وأوصتهم بحفظه ثم انها توجهت الى سليمان في اثنى عشر ألفا من قومها فلما نزلت على مقدار فرسخين من مدينة سليمان بلغه ذلك فأراد أخذ عرش بلقيس قبل أن تصل اليه ليريها قدرة الله تعالى وما أعطاه من المعجزات فجمع أهل المعارف من قومه وقال أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي قبل أن يؤمنوا بالله فيحرم علينا أخذ أموالهم ثم انه أحضر الجن وقال لهم ذلك وكان فيهم عفريت من الجن يقال له صخر الجني قال له أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا أي من مجلسك الذي تقضي فيه بين الناس وهو من أول النهار الى نصفه والاصح انه الى قبل وقت الزوال وقال العفريت واني عليه لقوي أمين أي أمين على الجواهر التي رصع بها العرش فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال مقاتل هو جبرائيل عليه السلام وقال السدي هو أبو العباس الخضر

عليه السلام وقال مجاهد هو آصف بن برخيا وكان يحفظ الاسم الاعظم فقال انظر يانبى الله الى جهة اليمن فنظر فما رجع نظره الا والعرش قد ظهر قدام كرسى سليمان وكان مجيئه من مسيرة شهرين فلما رآه مستقرا عنده فى ايسر مدة قال هذا من فضل ربى فلما وصلت بلقيس ودخلت على سليمان قال لها أهكذا عرشك قالت كانه هو فعلم سليمان انها امرأة عاقلة حيث لم تثبت أنه هو ولم تنفه لاشتباهه عليها ثم قال لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة أى ماء فكشفت عن ساقيها فرأى سليمان على ساقيها شعرا مثل شعر المعز فصرف وجهه عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير اى زجاج مستوى وليس هو ماء ثم انه دعا بلقيس الى الاسلام فاسلمت على يده فأراد سليمان ان يتزوج بها وانما كره منها ذلك الشعر فشكا ذلك الى بعض الجن فصنع لها النورة فزال ذلك الشعر من بدنها جميعه فهى أول من استعمل النورة ثم ان سليمان تزوج بها وأحبها حبا شديدا وجعلها على ملكها باليمن وأمر الجن ان يبنوا لها ثلاث قصور فى بلاد اليمن أحسن من قصورها وكان سليمان يزورها فى الشهر مرة وأقامت معه الى ان ماتت بعد مدة يسيرة * وكان لسليمان من الزوجات والسرارى نحو السبعمائة سرية فقام فى ذهنه يوما ان يطوف على نسائه كلهن فتحمل كل واحدة بغلام فيجاهدوا كلهم فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فى تلك الليلة فلم تحمل منهن امرأة سوى واحدة قد حملت بولد بنصف جسد قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال أخى سليمان أن شاء الله لجاءت له فرسان يجاهدون فى سبيل الله كما طلب (قال) العزيزى بينما سليمان سائر فى بعض الغزوات اذ مر بوادى النمل فسمع نملة تقول لبقية النمل يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فألقت الريح ذلك فى اذن سليمان عليه السلام فتبسم ضاحكا من قولها ثم قال ائتونى بها فقال لها ايتها النملة لم حذرت النمل منى ومن جنودى أما علمت انى نبى لم أظلم فعفا عنها ولم يدخل الوادى الذى فيه النمل * قال بينما سليمان جالس فى وقت القائلة اذ بخيل أسرع من الهواء وردت الماء وشربت منه ثم أدبرت مسرعة كالريح فجمع سليمان الجن وقال أريد ان تحضروا لى هذه الخيل فقال بعضهم لا طاقة لنا بها وقال بعض الجن نتحايل فى قبضها فاتاها الجن وامسكوها ووضعوا اللجم فى أفواهها وركبوها فلم تقدر ان تنفر من اللجم فعرضوها على سليمان فاشتغل بها ففاتته صلاة العصر فلما رأى ان العصر قد فاتته بكى وجعل يستغفر الله فرجعت الشمس له حتى صلى العصر حاضرا فلما فرغ من صلاته قال ردوها على وطفق يقطع رؤسها وسوقها أى قوائمها لانها كانت سبب المعصية وفى شريعته يلزم زوال ذلك السبب الذى حصلت به المعصية فقتل نحو سبعمائة فرس

وهرب البعض وبقى البعض وقد استمرت تلك الخيول تتناسل من ذلك اليوم فكان من نسلها الخيول الجياد السوابق الى الآن المعروفات بالاصائل

* ذكر قصة خاتم سليمان بن داود عليهما السلام * قال وهب بن منبه كان سليمان لا يزال الخاتم معه فى أصبعه دائما لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان اذا دخل الخلاء نزعه من أصبعه ويوكل به أحدا ممن يثق به وكان على ذلك الخاتم مكتوبا بالاسم الاعظم ففى مرة دخل الخلاء وكان قد نزعه وأعطاه الجارية فجاء بعض الشياطين الى تلك الجارية على صورة سليمان ولم تشك فيه الجارية فاخذ الخاتم منها ووضعه فى أصبعه وخرج الى الديوان وجلس على الكرسى فجاءت الجنود من الانس والجن والطيور ووقفت بين يديه على عادتها وظنون انه سليمان فلما خرج سليمان من الخلاء طلب الخاتم من الجارية فنظرت اليه فرأت هيئته تغيرت فقالت له ومن أنت فقال لها أنا سليمان بن داود فقالت له سليمان أخذ خاتمه وذهب وجلس على كرسيه فعلم سليمان ان شيطانا احتال عليها وأخذ منها الخاتم ففر سليمان الى البرارى والقفار وكان قد زاد به الجوع والعطش فكان فى بعض الاحيان يسأل الناس ليطعموه ويقول أنا سليمان بن داود فلم يصدقه الناس فاقام على هذه الحالة أربعين يوما جائعا باثواب خلقة مكشوف الرأس ثم انه أتى الى ساحل البحر فرأى جماعة من الصيادين فاصطحب بهم وعمل صيادا معهم ثم ان آصف بن برخيا قال يامعشر بنى اسرائيل ان خاتم سليمان قد احتالت الشياطين عليه فسرقوه وان سليمان خرج هاربا على وجهه فلما سمع الشيطان الذى على الكرسى ذلك الكلام خرج هاربا الى البحر وألقى به الخاتم فالتقمه حوت من حيتان البحر ثم ان سليمان اصطاد ذلك الحوت بامر الله تعالى فشق بطنه واذا هو بالخاتم فوضعه فى أصبعه وسجد لله تعالى شكرا ثم انه قام من وقته ورجع الى كرسيه وجلس عليه وذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا الآية قال وهب بن منبه وكان سبب أخذ الخاتم وعوده اليه ان سليمان خرج فى بعض الغزوات فظفر بملك من ملوك اليونان فقتله واحتوى على ملكه وأمواله وأسر أولاده وكان فى أولاده جارية حسنة لم تر العيون أحسن منها فاحبها سليمان حبا شديدا فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يعلى شأنها بالمحبة على سائر نسائه فدخل عليها يوما فرآها مهمومة فقال لها ما بالك قالت قد تذكرت ابى وما كان عليه من الملك وأريد منك أن تأمر بعض الشياطين بان يصور لى صورة أبى وهيئته حتى يذهب عنى الحزن كلما نظرت اليها فامر سليمان عفريتا من الجن يقال له صخر المارد بان يصور لها هيئة أبيها فصنع لها صخر صنما كهيئة أبيها يكاد ان ينطق فزينته وألبسته التاج والحلل وصارت اذا خرج سليمان الى جنوده تسجد لذلك الصنم هى

وجميع من عندها من الجوارى فدامت تلك الجارية على ذلك أربعين يوما وسليمان لا يعلم بالسجود لذلك الصنم فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا لسليمان فجلس يوما على كرسى سليمان وجعل يعظ الناس فاثنى على من مضى من الانبياء عليهم السلام جميعهم الا سليمان فلم يذكره بشئ فتغير سليمان بسبب ذلك فلما فرغ آصف من المجلس وقام وتفرقت بنو اسرائيل قال سليمان لآصف لم تذكرنى مع جملة من ذكرت فقال آصف وكيف أذكرك وقد عبد فى دارك صنم من منذ أربعين يوما الاجل امرأة ثم ان سليمان أمر بكسر ذلك الصنم وعاقب تلك الجارية ودخل الى معبده وصار يبكى ويتضرع الى الله تعالى فابتلاه الله بذهاب الخاتم ونزع الملك منه مقدار ما عبد الصنم فى داره قال أبو بكر الحافظ كان قد وقع قحط فى بنى اسرائيل فى زمن سليمان عليه السلام فخرجوا يستسقون فرأى سليمان نملة ملقاة على قفاها رافعة يديها نحو السماء وهى تقول اللهم انا خلق من خلقك ضعاف لا قوة لنا فلا تهلكنا وتأخذنا بذنوب غيرنا فلما سمعها سليمان قال ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم

* ذكر وفاة سليمان عليه السلام * قال العزيزى ان ملك الموت اتى الى سليمان وكان صديقا له وكثيرا ما يزوره فقال له سليمان متى موتى فقال له عزرائيل عليه السلام وقت موتك اذا خرجت من موضع سجودك شجرة الخروب فاذا رأيتها فهو وقت وفاتك وكان سليمان اذا صلى ببيت المقدس ينبت فى مكان سجوده شجرة فيسأل الشجرة عن اسمها فتقول اسمى كذا ومن منافعى كذا ومن مضارى كذا فيكتب ذلك ويأمر بغرسها فى بستان له فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت له اسمى الخروبة قد جئتك بالاشارة لموتك وخراب هذا المسجد يعنى بيت المقدس فلما سمع سليمان كلامها أمر بغرسها فى حائط البستان وكتب منافعها ومضارها ثم لبس أكفانه ودخل الى محرابه واتكأ على عصاه وقال اللهم اكتم موتى عن الجن حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فاتاه ملك الموت وقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يزل كذلك سنة كاملة ولم يشعر أحد من الانس والجن بموته ولم يشعروا بحاله وقد سلط الله تعالى الارضة على العصا فاكلتها شيأ فشيأ فخر ملقى على الارض فلما سقطت به العصا علموا انه قد مات من سنة مضت وهو قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن الآية أى تبين للانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين من بناء بيت المقدس وغيره (قال) وهب بن منبه لما تولى الملك سليمان من أبيه داود كان عمره يومئذ ثلاثة وعشرين سنة وتوفى سليمان وله من العمر مائة وثمانون سنة واختلفوا فى مكان قبره فقيل دفن فى طبرية وقيل ببيت لحم وقيل عند أبيه داود

ببيت المقدس فى المسجد وقبره هنالك مشهور يزار والله سبحانه وتعالى أعلم انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر خبر بلوقيا وبناء بيت المقدس﴾

(قيل) ان بلوقيا الاسرائيلى طاف فى الأرض فمر بالبحر الثانى فرأى جبلا فيه كهف فدخل فى ذلك الكهف فرأى سريرا من الذهب وعليه رجل ملقى على قفاه ويده على صدره والاخرى على بطنه وهو كالنائم وفى أصبعه خاتم عليه أربعة أسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فاراد بلوقيا ان يأخذ الخاتم من أصبعه فقام اليه التنينان وصعد من أفواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يابلوقيا أتجسر على نبى الله سليمان وتنزع خاتمه من أصبعه فخرج بلوقيا وهو مرعوب قال الثعلبى أوحى الله الى داود عليه السلام ان يتخذ فى بيت المقدس مسجدا فشرع فى بنائه ومات قبل ان يستكمله فلما توفى داود أوصى ابنه ان يتمه فجمع سليمان الانس والجن وقسم عليهما الاعمال فى البناء والسقوف والرخام ثم انه جعل فيه اثنى عشر رباطا وأنزل كل سبط فى رباط وأمر الجن ان يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملون ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل فى وسط المسجد قبة وجعل فيها عمود أحمر من الذهب يتلألأ كالشمس فيستضئ به المسافرون فى الليل وجعل تحت القبة اصطبلا لدوابه وصف فيها المعالف لخيوله وهى باقية الى الآن تزار وجعل طول ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه أربعمائة وخمسين ذراعا ثم سقفه بخشب الساج وصفحه بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لاجل حفظه من الامطار وفرش أرض المسجد بالرخام الملون فلم يكن يومئذ أحسن منه بناء فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمة حافلة قال السدى وكان بهذا المسجد من العجائب لوح من الرخام الابيض اذا نظر فيه انسان وكان ولد زنا يسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الابنوس اذا مسها أحد وكان من أولاد الانبياء فلا يضره مسها واذا مسها أحد وكان من نسل غير الانبياء احترقت يده وكان به كاب من الخشب اذا مر به من كان عنده شئ من علم السحر ينبح عليه فيعلم الناس انه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان فى المسجد باب اذا دخل منه ظالم يضيق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المتقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة لا يسمع بمثلها * قال العزيزى أقام سليمان فى بناء هذا المسجد أربعين سنة وكان فيه من البنائين سبعون ألف بناء ومن النجارين ثمانون ألفا وكان له فى كل ليلة القار رطل دمشقى من الزيت برسم القناديل قال كعب الاحبار كان يجئ لهذا المسجد من البلاد فى كل سنة ستمائة قنطار من الذهب والفضة لاسيما من بلاد الروم (وروى) فى بعض الاخبار ان صخرة بيت المقدس يخرج من تحتها ماء عذب من

سائر البحار العذبة ثم تتفرق فى الارض وفيه دفن كثير من الانبياء ولم يزل هذا المسجد عامرا حتى ظهر بختنصر وخرب البلاد فخربه فى جملة ما خربه قال الثورى لما خرب بختنصر المسجد حمل منه ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر انتهى

❁ذكر قصة بختنصر البابلى ❁ وقيل اسمه بخت فارسى وذكر ما وقع له مع ارمياء عليه السلام ❁ قال وهب بن منبه كان ارمياء من سبط أولاد يعقوب عليه السلام قال السدى لما استخلف ارمياء على بنى اسرائيل أوحى الله اليه ان هلاك بنى اسرائيل على يد رجل يقال له بختنصر وهو من ملوك بابل وكان بختنصر المذكور من ولد يافث بن نوح عليه السلام كان قد عمر دهرا طويلا قيل انه عاش ألفا وخمسمائة سنة فلما سمع ارمياء ما أوحى الله تعالى اليه بكى وصاح وأتى الى ملك بنى اسرائيل وكان رجلا مؤمنا صالحا فأخبره بما أوحى الله تعالى اليه فلما سمع ذلك جمع أعيان بنى اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وحذرهم من نزول هذه النقمة بهم وكان يحذرهم من أمور يفعلونها فمكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين وهم لا يزدادون الا طغيانا وفسقا ومعاصى فلما حلت بهم نقمة الله خرج بختنصر عليهم وأتى من نحو بابل وكان صحبته ستمائة ألف أمير من امرائه واقفون بالرايات عند الجند والعشائر فلما زحفوا على البلاد ووصلوا الى بيت المقدس قال ارمياء اللهم ان كان بنو اسرائيل على طاعتك فأبقهم وان كانوا عاصين فأهلكهم بشئ من قدرتك فحين دعا أرسل الله صاعقة من السماء على بيت المقدس فأهلكت من بنى اسرائيل جانبا عظيما وأحرقت مكان القربان ثم دخل بختنصر الى بيت المقدس بمن معه من الجنود فهدم مسجد سليمان بن داود وأمر رجاله ان يرموا فيه ترابا فملؤه بالتراب ثم بالجيف وذبحوا فيه الخنازير وأحرقوا التوراة التى كانت به ثم شرعوا فى القبض على بنى اسرائيل من كبير وصغير وصاروا يقتلونهم واستمر بختنصر ينهب ويقتل ويخرب فى البلاد والجوامع ويقتل الناس من الفرات الى العريش وهو على ما ذكرناه من القتل والنهب والخراب ولم يرحم كبير الكبره ولا صغير الصغره قال الثعلبى لم يبق من بنى اسرائيل رجل الا وقتله وأما الاطفال ففرقهم على جنوده فأصاب كل رجل أربعة أولاد قال وكان فى هذه الاطفال جماعة من الاسباط من أولاد يعقوب ويوسف عليهما السلام وكان فيهم جماعة من أهل بيت داود وكان فيهم دانيال عليه السلام وكان يومئذ صغيرا لم يبلغ الحلم وهو قوله تعالى فجاسوا خلال الديار ثم ان بختنصر جعل الاسارى على ثلاث فرق فالشيوخ والعجائز والزمنى تركهم وجعل النساء الشابات فى الاسواق للبيع والشراء وفرق الاطفال وقتل الشباب والشجعان وحمل الاموال والتحف ورحل ورجع الى الشام ثم توجه الى مصر ففتك فى القبط بالسيف وخرب ما كان بها من العمارات العجيبة والطلسمات وأخذ

الاموال والتحف فرحل عنها وتركها خرابا بلقعا وبقيت مصر خرابا مدة أربعين سنة لا ساكن بها فكان النيل ينفرش على الارض ويذهب ولا يزرع أحد عليه ثم ان بختنصر توجه الى بلاد الغرب وفعل كذلك ثم توجه الى بلاد السودان وفعل كذلك وهو أول من أحدث الكمين من العشائر في الحرب فكان بختنصر نقمة في الارض وجعله الله كالطاعون في الارض وقد ورد في الاخبار عن الله عز وجل قال من عصاني ممن يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني ثم رجع بعد ذلك بختنصر الى بابل قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة الآية فمن يومئذ تفرقت بنو اسرائيل في البلاد خوفا من بختنصر فنزلت طائفة بيثرب وطائفة بايلة وغير ذلك من الاماكن واستمر بيت المقدس خرابا مدة سبعين سنة حتى عمره شخص من ملوك الفرس يقال له كيرش قال فمن يومئذ فقدت التوراة ونسي أمرها وصارت بنو اسرائيل لا يعرفون منها حرفا واحدا حتى ردها الله تعالى على لسان العزير عليه السلام قال السدي ان بختنصر أخرب بهذه الحركة نصف الدنيا انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة العزير عليه السلام ﴾

قال الله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير قال قتادة كان طعامه من التين الاخضر وقال الطبري كان طعامه من العنب الاسود وقد أتى عليه مائة عام ولم يتغير قال الله تعالى وانظر الى حمارك وكان حماره قد أماته الله بعده فأحيا الله أولا رأس العزير فصار ينظر الى العظام وكيف يكسوها الله لحما وأحيا له الحمار فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير قال السدي جاء بعد بختنصر ملك من الجبابرة يقال له برداس وكان بمدينة أذربيجان وكان على دين المجوس فأباح للناس نكاح الامهات والاخوات وعبادة النيران ولم يزل على هذا الحال معمولا به عند الفرس الى زمن كسرى أنوشروان فأبطله في أيامه انتهى

﴿ ذكر قصة دانيال عليه السلام ﴾ قال الثعلبي لما أسر بختنصر الاطفال كما تقدم وأسر من جملتهم دانيال وأخذه معه الى أرض بابل فسجن دانيال وسجن معه جماعة من الاسباط ثم ان بختنصر رأى في منامه رؤيا أفزعته فسأل الكهان عنها فلم يجيبوه بشئ فجاء السجان وقال لبختنصر ان عندنا في السجن شابا يقول انه يفسر ما رأيت فقال آتوني به فلما حضر بين يديه لم يسجد له فقال لاي شئ لم تسجد لي فقال دانيال لا ينبغي السجود لغير الله فتعجب منه وقص عليه ما قد رآه قال دانيال هذا أمر سهل وكانت الرؤيا أنه رأى صنما رأسه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ورأى

حجر انزل من السماء على ذلك الصنم فكسره ثم انتشر ذلك الحجر حتى ملأ المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها فى الارض وفرعها فى السماء ورأى عليها رجلا وبيده فأس يقطع بها فروع تلك الشجرة ثم ترك أصلها قائما على حاله فلما سمع دانيال ذلك فسره له على أحسن وجه ثم ان بختنصر أكرم دانيال وقربه وصار لا يتصرف بشئ الا برأيه فلما رأى المجوس ذلك نهوا بختنصر عنه وحذروه منه فأمر بقتله فحفر له أخدودا فى الارض وألقاه فيها وألقى معه سبعين ضاريين فلما بات تلك الليلة وأصبح وجده بختنصر لم تضره السباع فقربه الملك بختنصر فحسده المجوس واتهموه فقالوا لبختنصر ان دانيال يقول انك تبول فى الفراش كلما نمت وكان ذلك عارا عند الملوك فأمر بختنصر بوليمة وأحضر دانيال اليها وجاء الليل فأمر بختنصر دانيال أن ينام عنده تلك الليلة على فراشه وقال بختنصر للبوابين اذا خرج عليكم من يريد ان يبول فاقطعوا رأسه ولو كنت أنا فلما نام دانيال هو وبختنصر على فراش واحد حبس البول عن دانيال وانطلق على بختنصر فكان أول من قام يريد الخلاء فضى وهو يسحب أذياله لا يستطيع ان يرفع قامته من البول فرأته الحجاب فقاموا اليه بالسيوف فقال أنا بختنصر فقالوا كذبت انه أمرنا ان نقتل من خرج يريد البول فقتلوه بما اختاره وأهلكه الله لدانيال وأنجى الله دانيال * وذكر بعض المؤرخين ان بختنصر مسخه الله وأقام ممسوخا سبع سنين على صورة ثور فكان ذلك تأويل رؤياه * فلما مات تولى بعده ابنه بلسطاس فأقام بعد أبيه أربعين سنة ثم ان دانيال توجه الى جهة سكندرية فأقام بها الى ان مات ودفن هناك وقبره مشهور يزار عليه السلام وهو أول من فرق بين الشهود عند الشهادة قال العزيزى لما فتحت مدينة سكندرية فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على يد عمرو بن العاص ودخلها المسلمون رأوا مخبأة مقفولة بأقفال من الحديد ففتحوها فوجدوا فيها حوضا من الرخام الاخضر مغطى برخامة خضراء فكشفوها فاذا فيها رجل وعليه أكفان منسوجة بالذهب عظيم الخلقة فقاسوا أنفه فزاد على شبرين فأرسلوا أعلموا عمر بن الخطاب فاحضر عليا رضى الله تعالى عنهما وأخبره بذلك فقال على رضى الله تعالى عنه هذا نبى الله دانيال فأرسل عمر رضى الله تعالى عنه بأن يجددوا له أكفانا فوق ما عليه من الاكفان وان يحصن قبره حتى لا يقدر أحد على حفره فحفروا له قبرا فى مدينة سكندرية

* ذكر قصة لقمان الحكيم عليه السلام *

(قال) وهب بن منبه كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا قال عكرمة كان نبيا من أنبياء بنى اسرائيل وكان أصله عبدا حبشيا وقيل نوبيا وكان اسمه لقمان بن سرون وكان رجل قصار من بنى اسرائيل من أهل مدينة ايلة فاشتراه بثلاثين دينارا فأقام عنده مدة ثم أعتقه وكان ينطق بالحكمة وكان مقيما بمدينة الرملة قريبا من بيت المقدس

فكان بنو اسرائيل يأتون اليه ليسمعوا منه الحكمة والموعظة فلما اشتهر بالحكمة جاء اليه رجل من عظماء بنى اسرائيل فقال له يالقمان ألم تكن عندنا بالامس عبد الفلان قال نعم فقال من أين لك هذه الحكمة قال بصدق الكلام و بترك مالا يعنى وكان نبى الله داود عليه السلام يأتى اليه ليسمع منه الحكمة ولم يزل لقمان بمدينة الرملة حتى مات ودفن بين المسجد الذى بها وبين السوق * قال السدى دفن حول قبر لقمان سبعون نبيا ماتوا كلهم فى يوم واحد بالجوع والعطش وكان قد حاصرهم ملك من بنى اسرائيل حتى ماتوا وقد ذكر الله لقمان فى القرآن العظيم حيث قال ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية (قال) وهب بن منبه كان من الانبياء ثلاثة سود الالوان لقمان وذو القرنين ونبى الله صاحب الاخدود

(ذكر قصة صاحب الاخدود)

(قال) وهب بن منبه كان ملك من ملوك الفرس وكان جبارا عنيدا فسكر ذات ليلة فنكح اخته فلما أفاق من سكره جمع العلماء الذين فى زمانه وقال لهم كيف الخلاص مما وقعت به فلم يجيزوا له ذلك فقالت اخت الملك ان من الرأى ان تخرج الى أهل مملكتك وتخبرهم بان الله قد أحل نكاح الاخوات ففعل فأنكر عليه نبى ذلك الزمان الذى بعثه الله اليهم فلما بلغ الملك انكار النبى عليه أحضره بين يديه وقال له أخبر الناس بان الله قد أحل نكاح الاخوات فامتنع من ذلك وقال ان هذا لا يجوز ولا يحل ولا نكذب على الله فأمر الملك بان يقتل فحفر له اخدودا فى الارض وجعل فيها نارا موقدة وقذفه فى تلك النار وقذف معه اثنى عشر ألف انسان من العلماء من بنى اسرائيل ممن خالف أمره انتهى

(ذكر قصة بلوقيا)

(قال) الثعلبى كان فى زمن بنى اسرائيل رجل يقال له أرشا وكان من علماء بنى اسرائيل وكان يقرأ فى الكتب القديمة فرفيها على بعث محمد النبى صلى الله عليه وسلم فجمع ذلك كله فى صحيفة وخبأها عنده فى صندوق وقفل عليها قفلا وخبأ مفتاحه فى مكان غنى عنه وكان له ولد صغير يقال له بلوقيا فلما مات أبو بلوقيا أوصى ابنه بأن يقضى فى بنى اسرائيل من بعده فلما كان فى بعض الاوقات اذ رأى بلوقيا الصندوق فوجده مقفولا فسأل امه فقالت لا أدرى مافيه ولا أعلم أين مفتاحه ثم ان بلوقيا كسر القفل وفتح الصندوق فرأى الصحيفة المكتوب فيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه خاتم الانبياء والمرسلين وان الجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها هو وامته فلما قرأ الصحيفة أخرجها العلماء بنى اسرائيل فلما سمعوا ببعث محمد صلى الله عليه وسلم قالوا البلوقيا كيف كان أبوك يعلم ذلك ولم يخبرنا فوالله لولاك لاحرقنا قبره لاجل أنه كتم علينا خبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم ان بلوقيا ودع امه وقال ياأماه انى قد وجدت أنه سيبعث نبى آخر الزمان وانى مسافر ولا أرجع حتى أقف على

أخباره فقالت أمه بلغك الله مناك وسار من مصر في طلب محمد صلى الله عليه وسلم
وطاف البلاد من المشرق الى المغرب حتى وصل الى البحر السابع ورأى العجائب
الكثيرة التي لم يرها غيره من الناس فمن جملة ما رأى في جزائر البحار جزيرة فيها
حيات كأمثال الجمال البخاتي الكبار وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فقال لهن بلوقيا
السلام عليكن فقالت له الحيات ما سمعنا قط بمثل هذا فقال هذه سنة آدم فقلن من
أنت فقال من بني اسرائيل فقلن لا نعرف آدم ولا بني اسرائيل فقال لهن بلوقيا وكيف
عرفتن محمدا فقلن نحن منذ خلقنا الله تعالى على هذه الصفة أمرنا بذلك ونحن من
حيات جهنم فقال لهن بلوقيا وكيف أخبار جهنم فقلن سوداء منتنة تتنفس في كل
سنة مرتين مرة في الصيف فذلك الحر من نفسها ومرة في الشتاء وذلك البرد من نفسها
ثم ان بلوقيا دخل الى جزيرة أخرى فرأى فيها حيات أعظم مما رأى أولا كأمثال
جذوع النخل ورأى بينهن حية صفراء ان مشت مشت حولها الحيات فلما رأين بلوقيا
قلن له من انت فقال أنا بلوقيا من بني اسرائيل فقالت ما سمعنا بهذا الكلام من قبل
وأنا موكلة بجميع الحيات التي في الدنيا ولولاي لشردت على بني اسرائيل وقتلتهم في
يوم واحد فمضى بلوقيا الى ان وصل الى البحر السابع فرأى من العجائب ما يطول شرحه
(فمن) جملة ما رأى جزيرة فيها نخيل من ذهب اذا طلعت عليه الشمس يصير له لمعان
كالبرق فلا تستطيع الابصار رؤيته من شدة بريقه وفي هذه الجزيرة أشجار عظام
حملها فمد يده الى حمل بعض الاشجار فنادته الملك عني يا خاطئ فتأخر وجلس واذا هو
بجماعة نزلوا من السماء وبايديهم سيوف مسلولة فلما رأوا بلوقيا قالوا له كيف وصلت
الى هذا المكان فقال لهم أنا من بني اسرائيل واسمي بلوقيا ومن تكونوا أنتم قالوا نحن
قوم من الجن المؤمنين كنا في السماء فانزلنا الله تعالى الى الارض وامرنا ان نقاتل كفار
الجن في الارض فنحن نقاتلهم فتركهم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك عظيم الخلقة واقف
ويده اليمنى في المشرق والاخرى في المغرب وهو يقول لا اله الا الله فتقدم اليه وسلم
عليه فقال له من أنت قال بلوقيا رجل من بني اسرائيل خرجت في طلب خاتم النبيين
ثم قال له بلوقيا ومن انت قال أنا الملك الموكل في ظلمة الليل وضوء النهار فقال له بلوقيا
ما هذان السطران اللذان في جبينك فقال له مكتوب فيهما زيادة الليل والنهار وقصرهما
فما امسك الليل الا بقدر معلوم ثم تقدم بلوقيا واذا بملك عظيم الخلقة وهو يقول لا اله الا
الله محمد رسول الله فسلم عليه فرد عليه السلام فسأله بلوقيا عما هو فيه فقال انا ملك
موكل بالريح وبالبحر فلا اخرج الريح الا باذن من الله تعالى واني ماسكه بيميني وماسك
البحر بشمالي ولولا ذلك لهلك جميع من في الارض فتركه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى
جبل قاف واذا هو من ياقوتة خضراء وقد أحاط بالدنيا جميعها فمن شعاع ذلك ترى

سماء الدنيا زرقاء وقد وكل الله تعالى بهذا الجبل ملكا فاذا أراد الله أن يزلزل جانبا من
الارض أمر ذلك الملك أن يحرك العرق الذى يتصل بذلك الجانب الى جبل قاف
فتصير الزلزلة واذا أراد الله خسف قرية فيأذن الله لذلك الملك أن يقطع عرقها من
الارض فتنخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وما وراء هذا الجبل فقال أربعون ألف
مدينة غير مدائن الدنيا وهى من ذهب وفضة وليس يغشاها الليل ولا نهار وسكان
تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لا يفترون قال بلوقيا وما وراء تلك المدن قال
سبعون ألف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ما وراء تلك الحجب الا الله تعالى فترك
ذلك ومضى حتى انتهى الى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان فسلم عليهم
فردوا عليه السلام فقال لهم من أنتم قالوا نحن ملائكة من ملائكة الله نعبد الله
تعالى ههنا منذ خلقنا فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يرهج كالشمس فقالوا
هذا جبل الدنيا من ذهب وجميع معادن الذهب التى فى الارض فهى ممتدة منه ثم
تركهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما فردا عليه
السلام وقالا له من أنت يا خلق الله قال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل جئت فى طلب محمد
خاتم النبيين هل عندكم ما تطعمونى فاخرجوا له من غيب الله رغيفا فأكله فلم يجع
بعد ذلك ثم انتهى الى جزيرة فرأى فيها طيرا عظيم الخلقة حسن الهيئة وفيه ما يدهش
العقول من حسن تركيبه وهو على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة وعليها سمكة
مشوية فدنا من الطائر وسلم عليه وقال له من أنت قال أنا ملك من ملائكة الجنة
ارسلنى الله بهذه المائدة الى آدم وحواء حين اجتمعا على جبل عرفات فأكلا منها ثم
أمرنى الله تعالى أن أضعها هنا وأقف عندها الى يوم القيامة وأمرنى أن أطعم منها كل
من جاء هنا يا بلوقيا ولم ينقص منها شئ وهى على حالها فسأله ما حالها فقال الطائر ان
طعام الدنيا ينقص ويتغير بالمكث وأما طعام الجنة فلا ينقص ولا يتغير فقال له
بلوقيا هل يأكل من هذه أحد فقال نعم ان الخضر أبا العباس يأتى أحيانا فيأكل ثم
يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا أقام ليظفر بالخضر ويجتمع معه ويسأله فبينما هو ذات يوم
جالس واذا بالخضر عليه السلام قد أقبل وعليه ثياب بيض فقام اليه بلوقيا وسلم
عليه فرد عليه السلام فقال له بلوقيا يا أبا العباس خرجت فى طلب نبى آخر الزمان
حتى انتهيت الى هذا المكان فكنت الى قدومك أتخبر بى فقال له يا بلوقيا ان نبى
آخر الزمان لا يظهر فى هذا الاوان ولا تدركه يا بلوقيا أتدرى كم بينك وبين أهلك قال
لا أعلم قال مسيرة خمسين عاما أتحب أن أضعك عند أهلك فقلت نعم قال غمض عينيك
فغمضتهما فلم أشعر الا وأمى بجانبى ففتحت عينى وسلمت على أمى وقلت لها من جاء
بى اليك يا أمى فقالت رأيت طائرا ابيض قد وضعك وذهب سريعا فقص على أمه

قصته وخرج الى بنى اسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله فى غيبته فاخبرهم فجعلوا يكتبون جميع مارأى من العجائب مدة أربعين سنة فلم يحصوا ماعنده مما رأى قيل عاش نحوا من ألف سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر قصة اسكندر ذى القرنين﴾ قال الله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين الآية قيل هو من أولاد الضحاك وكان أصله من حمير وكان أسمر اللون وكانت امه من بنات الروم وقيل انه اسكندر بن دارب ملك اصطخر وبابل والمدائن بالمشرق وقد كفله جده أبوامه واسمه فيلسوف وكان ملك الروم (قال) الامام على رضى الله تعالى عنه وعكرمة كان اسكندر ذو القرنين من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام قال بعضهم كان طول انفه ثلاثة أشبار وقس على ذلك عظم رأسه وجثته ويقال انه هو الذى بنى المنارة بالاسكندرية وقيل عاش نحو ألف سنة وزيادة * واختلف فى نبوته فقال وهب بن منبه كان عبدا صالحا وقال عكرمة كان نبيا مرسلا الى أهل بابل وكان قبل ظهور عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بثلاثمائة سنة قال الحسن البصرى كان ملكا وغزا النمروذ بن كنعان وكان مسلما على ملة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكان فى زمن ابراهيم حاكما وهو الذى قضى لابراهيم فى وادى السبع لما رحل عن قومه ومرت هذه القصة عند قصة ابراهيم الخليل عليه السلام وكان اسكندر اذا مر على مكان ابراهيم ينزل عن فرسه حتى يفوت و يركب وهو الذى ملك البلاد وقهر العتاة من العباد وفتح المدائن والحصون والقلاع من المشرق والمغرب قال الامام على رضى الله تعالى عنه كان الاسكندر يسير والله مساعده فتطوى له الارض و يسهل الله له الامور ببركة صلاحه وحسن سيرته وقيل ان سبب تسميته ذا القرنين ماقاله الامام على لما غزا ودعا الى عبادة الله ضربه قومه على جانب رأسه فأثرت تلك الضربة فغاب عنهم ثم جاءهم فضربوه على الجانب الآخر فأثرت فيه فسمى ذا القرنين وقال ابن عباس لما سار الى مغرب الشمس والى مشرقها سمى ذا القرنين وقيل انه رأى فى منامه انه ماسك بقرون الشمس فسماه قومه ذا القرنين لما قص رؤياه عليهم وقيل انه ملك الروم وفارس فسماه قومه ذا القرنين وقيل كانت له ذؤابتان من الشعر فى رأسه فسمى بذى القرنين وقيل انه كريم الجدين فسمى بذى القرنين وقيل كان فى رأسه عظمان ناتئان مثل قرون الكبش ويلبس عليهما عمامة فيسترهما وهو أول من لف العمامة وأول من صافح بكفه وقيل انه سلك مكان الظلمة والنور فهذه عشرة أقوال فى ذلك * قال وهب بن منبه ان اسكندر كان يخفى القرنين عن الناس ولم يظهر عليهما أحد الا انه ذهب يوما الى الحمام فنزع عمامته عن رأسه فرآهما كاتبه فقال لكاتبه ان ظهر أمرى فيكون منك فكان الكاتب يأخذه الهيمان فلم يظهر الكتمان ولم

يستطع الاظهار غير انه يخرج الى الفضاء وينادى ويقول اسكندر له قرنان فيذهب حال الكتم ويأتى وكان هناك قصبتان يسمعان صوته فلما كبر القصبتان أنطقهما الله فقالا الاسكندر له قرنان فشاع ذلك فقال عند ذلك الاسكندر هذا أمر أراد الله اظهاره (قال) وهب بن منبه أوحى الله الى ذى القرنين فى منامه انى باعثك فى الارض الى سبع أمم مختلفة الالسن والصفات فأمتان يقال لهما هاويل وهى فى قطر الارض الايمن وتاويل وهى فى قطر الارض الايسر وأمتان أمة فى طول الارض عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مشرق الشمس يقال لها منسك وثلاث أمم فى وسط الارض يقال لهم يأجوج ومأجوج قال ذو القرنين يارب وهل أقدر على محاربة هذه الامم العظيمة فأوحى الله اليه أنى ألبسك هيبة وأسخر لك النور والظلمة حتى أجعلهما لك جندا ❊ قال الحسن البصرى كان ذو القرنين اذا ركب يركب معه فى خدمته من الجيوش ألف ألف وأربعمائة ألف انسان وكان الخضر عليه السلام وزيره ومدبر ملكه فسار ذو القرنين بهذه الجيوش العظيمة حتى بلغ مغرب الشمس وهو قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس الآية قال السهيلى هم قوم ناسك وكانوا من نسل قوم ثمود فلما نزل عليهم وأحاط بهم من كل جانب بمن معه من الجيوش استدعاهم اليه وأوقفهم بين يديه ودعاهم الى توحيد الله فمنهم من آمن ومنهم من بقى على كفره فسلط الله على الذين داموا على كفرهم ظلمة شديدة وغبار عاصف ودخلت تلك الظلمة والغبار فى أفواههم وآذانهم فايقنوا بالهلاك فأجابوا الى توحيد الله فتركهم ومضى الى أهل هاويل ففعل بهم مثل مافعل بالاولى فآمنوا ثم سار حتى أتى الى القطر الايمن فدخل على أهل منسك وهم عند مشرق الشمس ففعل بهم كما فعل بالاول وقد قال الله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال السدى هم أهل منسك الذين هم عند مطلع الشمس قال الامام السهيلى لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس رأى هناك مدينة عظيمة يقال لها جابلقا ورأى لها عشرة آلاف باب بين كل باب وباب فرسخ ووجد أهل تلك المدينة بشعى المنظر عراة الاجساد وليس لهم من دون الشمس ستر فاذا دخلت الشمس عليهم دخلوا فى أسربة تحت الارض من حر الشمس ليس لهم طعام الا ما تحرقه الشمس بحرها اذا طلعت فاذا مشت الشمس الى وسط الفلك طلعوا من الاسربة الى معاشهم فيتغذون مما أحرقته الشمس من طير ووحش وغير ذلك (قال) مجاهد ان أولئك القوم سود الالوان عراة الاجسام حفاة الاقدام وهم من جنس الزنج الاعلى وهم أمم لا يحصون لكثرتهم (قال) السدى ان الشمس تشرق عن عين ماء هناك فاذا طلعت على تلك العين تصير كهيئة الزيت فى

اللون من حر الشمس فتنفر من تلك العين الاسماك على وجه الارض فيخرج القوم من الاسربة فيلتقطونها و يأكلونها قال السدى لما بلغ الاسكندر مغرب الشمس رأى هنالك العين الحمئة التى ذكرها الله فى القرآن واذا غربت الشمس فى تلك العين يسمع لها دكدكة مثل صوت الرعد القاصف وتفور تلك العين وتغلى كغليان القدر فيفيض ماؤها على الارض مسيرة ثلاثة أيام فلا يمر ماؤها على طير أو وحش الا و يموت فتأكله أهل تلك المدينة * قال الثعلبى مر ذو القرنين على وادى النمل فرأى كل نملة كالنخلة فنفرت منها خيول الاجناد فجاء حتى مر بقوم آخرين فشكوا اليه وقالوا له ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين أقواما من خلق الله لا نعرف أهم من الانس أم من الجن يقال لهم يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض يفترسون الدواب والوحوش و يأكلونها وهو قوله تعالى ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا الآية قال بعض المفسرين ان افساد يأجوج ومأجوج اللواط بمن يظفرون به كبيرا أو صغيرا فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربى خير أى الذى أعطانيه ربى من المال خير فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد (قال) السدى وجد الاسكندر معدن الحديد فاتخذ منه لبنات من حديد وبنى بها السد قال الثعلبى ان ذا القرنين لما بنى السد قاس ما بين الجبلين ثم بنى ردما بلبن الحديد وجعل ارتفاعه من الارض نحو ستمائة ذراع وجعل عرضه ثلثمائة ذراع فكان يضع اللبنتين من الحديد و يذيب النحاس ويجعله بينهما (قال) الثعلبى كان مقدار ما بين الجبلين مائة فرسخ فحفر أساس ذلك الردم حتى نبع الماء منه ثم ردمه بالحديد حتى ارتفع بناء السد وساوى الجبلين فصار قطعة واحدة من حديد قال الله تعالى وما استطاعوا له نقبا فعند ذلك قال ذو القرنين هذا رحمة من ربى الآية * قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انى رأيت سد يأجوج ومأجوج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صفه لى فقال له الرجل انه ردم أسود وعليه صفائح من نحاس أحمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو هو (قال) الثعلبى كان من بناء السد الى الهجرة النبوية ألف وخمسمائة وثلاثون سنة * وفى بعض الاخبار ان هذا السد يفتح فى آخر الزمان عند اقتراب الساعة و يخرج منه يأجوج ومأجوج فيسيرون فى الارض و يشربون نهر سيحون وجيحون وبركة طبرية فى يوم واحد و يأكلون الاشجار والنبات جميعها فى يوم واحد فاذا كثر منهم الفساد فى الارض وحصل منهم الضرر العام يرسل الله تعالى عليهم ريحا أسود مثل الريح الذى أرسله الله على قوم عاد فيدخل فى أفواههم ويخرج من أدبارهم فيموتون أجمعون فى ساعة واحدة فتجيف

منهم الارض لكثرتهم فيرسل الله تعالى اليهم طيورا سودا لهم أعناق كالبخاتي فيلتقطونهم من الارض ويلقونهم في البحر ﴿ومن الحكايات الغريبة﴾ ما حكاه أبو الحسين بن المنادي البغدادي قال بلغني ان أمير المؤمنين الواثق بالله هارون ابن المعتصم رأى في منامه شخصا فقال له ان السد الذي بناه ذو القرنين قد انفتح وخرج منه يأجوج ومأجوج فانتبه من النوم مرعوبا فاحضر سلاما الترجمان وأمره ان يسافر الى مكان السد الذي بناه الاسكندر ويكشف أخباره ثم ان الواثق دفع اليه خمسة آلاف دينار وقال له هذه ديتك ادفعها الى أولادك ثم عين معه خمسين فارسا ثم كتب معه مراسيم الى من يرعليه من النواب في البلاد ثم ان سلاما الترجمان خرج من بغداد وسار معه الفرسان المذكورون الى ان وصل الى أرمينية فكتب له صاحب أرمينية الى ملك اللان ثم كتب له صاحب اللان الى ملك الخزرج فلما وصل الى ملك الخزرج أرسل معه جماعة من جنوده يدلونه على الطريق فلما سار من عنده مشى خمسة وعشرين يوما ودخل أرضا سوداء وخمسة فسار فيها عشرة أيام فرأى بها مدائن خربة فسأل عن خراب تلك المدائن فقالوا هذه المدن التي كان يفسدها يأجوج ومأجوج حتى خربت وهي الى الآن خراب ثم سار من تلك المدائن الخراب حتى أشرف على مدينة فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ويقرؤن القرآن وعندهم المساجد والجوامع ويصلون الجمعة والجماعة فقال لهم صاحبها من أين أقبلتم قال لهم سلام الترجمان نحن رسل أمير المؤمنين الواثق بالله هارون فلما سمعوا اتعجبوا من قوله أمير المؤمنين وهم يقولون ما سمعنا قط بهذا اللفظ الا في هذا اليوم منكم فتركهم ومضى حتى أشرف على جبل أملس وقدامه جبل منقطع وبينهما واد عرضه مائة وخمسون ذراعا ﴿قال السدي ان يأجوج ومأجوج لم يكن لهم مخرج الا من بين هذين الجبلين ومن ورائهم البحر المحيط ولولا ذلك ما كان يفيد السد شيأ ثم ان سلاما رأى عضادتين مما يلي هذا الجبل من جانبي الوادي عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا وكل ذلك مبني بلبن الحديد ورأى دروندا من حديد طرفه على تلك العضادتين وطول ذلك الدروند على العضادتين مائة وعشرون ذراعا وفوق ذلك الدروند بناء السد الى رأس الجبل الاملس وارتفاعه مقدار مد البصر اليه وفوق ذلك البناء شرافات من الحديد في كل شرافة قرنان ينثني كل واحد منهما على صاحبه وفي وسط ذلك البناء باب له درفتان عرض كل درفة منهما خمسون ذراعا في مثلها ارتفاعا وعلى ذلك الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وله مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنا عشر سنا كل سن قدر يد الهون وهو معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة اشبار

ولذلك الباب عتبة عرضها عشرة أذرع وطولها مائة ذراع وقد جعل لذلك السد حارسا يركب كل يوم ومعه جماعة من قومه نحو عشرين فارسا وبايديهم المرزبات من الحديد فيضربون على ذلك القفل ثلاث ضربات ثم يصغون بآذانهم الى ما وراء الباب فيسمعون دويا كدوى النحل فيعلم يأجوج ومأجوج ان هنالك حرسة وحفظة خلف الباب قال سلام الترجمان ورأيت بالقرب من السد عين ماء تجرى وحول تلك العين آلة البناء وهى قدور من حديد ومغارف وبقية من لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف فى سمك شبرين وقد مرت عليها الدهور وصدأت والتصق بعضها على بعض قال سلام فسألت أهل الحصون هل رأيتم أحدا من يأجوج ومأجوج فقالوا انهم نراهم مرارا عديدة فوق شرافات السدور بما يقع منهم أحد الى الارض من الريح الشديد فكتب سلام ذلك بجميعه كما رأى وسمع من السد وأخبار يأجوج ومأجوج فصار المكتوب درجا وعزم على الرجوع الى بغداد فسار فى برارى وقفار حتى خرج الى أرض سمرقند الى بغداد فكان مدة غيبته ثمانية وعشرين شهرا فلما دخل الى بغداد صار يحدث الناس بعجائب ما رأى وما سمع انتهى أورد ذلك ابن الجوزى فى كتابه تنوير الغبس

ذكر أخبار يأجوج ومأجوج

قال الحسن البصرى ان يأجوج ومأجوج أصلهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج من الترك (قال) وهب بن منبه انما سمى الترك تركا لان ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم جماعة غائبون لم يعلموا ببناء السد فتركوا خارجا عن السد فسموا تركا * وقال بعضهم ان يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين فاض منيه لما أهبط الى الارض فاختلطت تلك النطفة بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج وليسوا من حواء فأنكر بعض العلماء هذا القول وقال انه ليس بصحيح قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء والعالم بجميعه جزء واحد *ذكر صفاتهم* قال السدى انهم على ثلاثة أصناف صنف كالنخل الطويل حتى قيل ان فيهم من طوله عشرون ذراعا وصنف منهم طوله وعرضه سواء يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى فهذا الجنس لا يترك وحشا ولا ذا روح الا ويأكله ومن مات منهم أكلوه وصنف منهم فى غاية القصر فمنهم من طوله شبر وشبران لا يموت أحدهم حتى يرى له ألف ولد وهم لا يحصون لكثرتهم وقيل فى الاخبار ان يأجوج ومأجوج يلحسون السد بألسنتهم حتى يرون منه شعاع الشمس اذا غربت ويقولون غدا نفتحه فيأتون اليه فى اليوم الثانى فيجدونه كما كان أولا فى الشدة والسمك وهذا دأبهم الى قيام الساعة فيلحسونه فى آخر الزمان اذا جاء الوعد ويقولون غدا نفتحه ويقولون ان شاء الله تعالى فلما يعودون فى اليوم الثانى

يحدونه مفتوحا فيخرجون على الناس ويسيحون فى الارض ويأكلون الاشجار ويشربون الانهار ويرمون الناس بسهامهم ويفسدون على الناس معيشتهم ويأكلون زروعهم فيرسل الله عليهم الريح التى أهلك الله بها قوم عاد فيموتون فى ساعة واحدة وتنتن الارض من جيفهم فيرسل الله تعالى طيورا فتلتقطهم وتلقيهم فى البحر كما تقدم (قال) الثعلبى ان الناس يلتقطون أسلحتهم من الارض ولا يزالون يلتقطون ذلك سبع سنين

* ذكر قصة دخول ذى القرنين الى الظلمات *

(روى) الثعلبى عن الامام على رضى الله تعالى عنه انه قال لما سار ذو القرنين فى الارض أراد أن ينتهى الى جانب الارض وكان الله تعالى قد وكل بذى القرنين ملكا من الملائكة يقال له رفائيل فكان يسير معه أينما سار فبينما هو يتحدث مع ذلك الملك فقال له ذو القرنين يارفائيل حدثنى عن عبادة الملائكة فى السماء فقال ان فى السماء من هو قائم لا يرفع رأسه ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يرفع رأسه دائما أبدا فقال ذو القرنين أحب أن أعيش دهرا طويلا وأنا فى عبادة ربى فقال له الملك ان الله خلق عينا ماء فى الارض فسماها عين الحياة فمن شرب منها شربة لم يمت الى يوم القيامة أو حتى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلم أنت مكان هذه العين فقال الملك لا أعلم مكانها ولكن كنت أسمع عنها فى السماء انها فى الارض المظلمة فلما سمع ذو القرنين ذلك من الملك جمع علماء زمانه جميعهم وسألهم عن هذه العين فقالوا لا نعلم لها خبرا فقال عالم منهم انى قرأت فى وصية آدم عليه السلام قال ان الله تعالى وضع فى الارض ظلمة وفى تلك الظلمة عين الحياة فقال ذو القرنين أين موضعها من الارض قال فى مطلع الشمس فاستعد ذو القرنين للسير اليها وقال لاصحابه أى الدواب أبصر فى الظلمة قالوا الحجورة البكارة فجمع ذو القرنين ألف حجرة بكارة ثم انتخب من جيشه ستة آلاف انسان من أهل العقول وأهل الجلد وكان الخضر أبو العباس وزيره فسار الخضر امام الجيش وجدوا فى المسير نحو مطلع الشمس جهة القبلة فمازالوا يجدون فى السير نحو اثنتى عشرة سنة حتى بلغ طرف الظلمة فاذا هى ظلمة تفور مثل الدخان لا كظلمة الليل فنهاه عقلاء جيشه عن الدخول فيها وقالوا له أيها الملك ان الملوك السابقة لم يدخلوها لانها مهلكة فقال لابد من ذلك فلما رأوه عازما على الدخول تركوه فقال لهم أقيموا مكانكم هذا مدة اثنتى عشرة سنة فان جئتكم فيها وبعمت والا فامضوا الى بلادكم ثم قال ذو القرنين للملك رفائيل اذا سلكنا هذه الظلمة هل يرى بعضنا بعضا فقال لا ولكن انا أدفع اليك خرزة اذا طرحتها على الارض تصيح بصوت عال يرجع اليكم من يضل عنكم من رفقائكم ثم ان ذا القرنين دخل الى تلك

الظلمة ومعه بعض جماعة من جيشه فسار فيها ثمانية عشر يوما لا يرى شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا طيرا ولا وحشا فسار هو والخضر فبينما هما يسيران فيها اذ أوحى الله الى الخضران العين فى أيمن الوادى ولم أخص بها غيرك من الناس فلما سمع الخضر ذلك قال لاصحابه قفوا مكانكم ولا تبرحوا حتى آتيكم فسار الخضر فى ذلك الوادى فظفر بالعين فنزل الخضر عن فرسه وتجرد من أثوابه ونزل فى تلك العين واغتسل منها وشرب فوجد ماءها أحلى من العسل فلما اغتسل وشرب طلع منها ولبس أثوابه ثم ركب ولحق بذى القرنين ولم يشعر بما وقع للخضر من رؤية العين والاغتسال فيها قال وهب بن منبه ان الخضر كان ابن خالة اسكندر ذى القرنين واستمر اسكندر دائرا فى تلك الظلمة أربعين يوما اذ لاح له ضوء مثل البرق فرأى الارض بذلك النور فوجدها رملة حمراء وسمع خشخشة تحت قوائم الخيل فسأل الملك عن تلك الخشخشة فقال له هذه خشخشة من أخذ منها ندم ومن لم يأخذ منها ندم فحمل منها الجيش شيأ قليلا فلما خرجوا من تلك الظلمة وجدوها من الياقوت الاحمر والزمرذ الاخضر فندم من أخذ حيث لم يكثر وندم الذى لم يأخذ وقال ليتنى أخذت كثيرا (ومن النكت) ما يقال فى أمر الطمع نقل الشعبى ان رجلا من بنى اسرائيل فى أيام نبى الله سليمان رأى رجلا صاد قنبرة فأنطقها الله تعالى فقالت ما تفعل بى فقال أشويك وآكلك فقالت أنا ما أشبعك ولا أغنيك من جوع فان أطلقتنى اعلمك ثلاث فوائد يحصل لك بهن خير فقال لها هات فقالت الفائدة الاولى أعلمك بها وانا على كفك والاخرى اعلمك بها وانا على الجبل والثالثة اعلمك بها وانا على الشجرة فوضعها على كفه وقال لها هات ما عندك فقالت له لا تندم على ما فات ثم طارت وقالت له الفائدة الثانية لا تفرح بما هو آت والفائدة الثالثة لا تصدق بما لا يكون ان يكون ثم قالت انا اعلمك عن شئ فاتك وهى أن فى حوصلتى جوهرة لو ذبحتنى لحصلت عليها فندم على اطلاقها فقالت له أنذ تك أوّلا وثانيا وثالثا فلم تستفد لندمك على اطلاقى وقد فات مافات منى فصدقت ان عندى جوهرة ومن أين لى بالجوهرة وهذا من دلائل الطمع (قال) السدى فلما انتهى ذو القرنين فى الظلمة لاح له قصر من نحاس أصفر طوله فرسخ وعرضه فرسخ وله باب من حديد فنزل عن فرسه ودخل القصر فرأى طائرا أبيض قدر البختى فدنا منه وسلم عليه فأنطقه الله فرد عليه السلام وقال أما كفاك مافعلت حتى جئت الى هذا المكان فقال له ذو القرنين انى سائلك عن أشياء فأخبرنى عنها فقال سل ما بدا لك فقال ما وراء هذه الظلمة قال جبل قاف فقال الطائر وانى سائلك عن أشياء فقال ذو القرنين قل ما بدا لك فقال الطائر هل فشا فيكم الزنا وشرب الخمر قال نعم فانتفض ذلك الطائر وصار

الى القصر وصار له صوت كالرعد القاصف ثم قال هل فشا فيكم الربا وشهادة الزور فقال نعم فانتفض الطائر وفعل كالاول ثم قال هل كثر فيكم البناء المزخرف قال نعم فانتفض وفعل مثل الاول حتى سد ما بين الخافقين ففزع منه ذو القرنين ثم قال الطائر هل ترك الناس شهادة ان لا اله الا الله قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس صلاة الفريضة قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا فانضم قليلا حتى عاد مثل ما كان عليه أولا ثم قال يا اسكندر اصعد على ظهر هذا القصر وانظر ما فوقه فلما صعد اذا هو بشخص حسن المنظر قائم على أقدامه شاخص الى السماء وفي فيه بوق من نور فلما رأى ذا القرنين قال له من أنت قال أنا ذو القرنين قال ما كفاك ما فعلت في الارض حتى وصلت الى هذا المكان فقال اسكندر من أنت أيها الشخص المبارك قال أنا اسرافيل صاحب الصور فقال مالي أراك شاخصا قال أنتظر أمر ربي متى يأذن لي في النفخ ثم ان اسرافيل أخذ حجرا من بين يديه ودفعه الى ذي القرنين وقال خذ هذا الحجر فان شبع هذا الحجر شبعت وان جاع جعت فأخذه ذو القرنين ورجع حتى وصل الى جنده الذين تركهم خارج الظلمة فأخذ يحدث جنوده بما رأى من العجائب ثم ان ذا القرنين جمع العلماء الذين كانوا في عصره وأخرج لهم ذلك الحجر الذي أعطاه له صاحب الصور فوضعوه في كفة ميزان ووضعوا حجرا قدره في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فمال الحجر الذي أعطاه له صاحب الصور فلا زالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر وذلك الحجر يميل فقالت العلماء قد انقطع علمنا دون هذا الحجر فأحضر ذو القرنين الخضر وسأله عن ذلك فأخذ الحجر كفا من تراب ووضعه مقابل الحجر في الميزان ثم رفعه فاستوى التراب مع الحجر الذي أعطاه له صاحب الصور فقال العلماء هذا من العلم الذي لم نبلغه نحن ولا أمثالنا فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور فان الله قد ملكك البلاد وحكمك في العباد وأعطاك ملكا كبيرا وأنت لا تقنع ولا تشبع دون أن تكون في التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين *ومن اللطائف* عند أهل الظرف والطرائف قال أبو الفرج الاصبهاني لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه الى بلاد الصين فحاصر مدينتها أشد محاصرة فلما أشرف على أخذها نزل اليه ملك الصين تحت الليل ولم يعرف أحد انه ملك الصين وقال أنا رسول ملك الصين فلما وصل الى الحجاب أخبرهم انه رسول ملك الصين و يريد الدخول على الاسكندر فاعلموا الاسكندر به وأدخلوه عليه فلما دخل سلم ووقف بين يديه فقال له تكلم فقال اني مأمور ان لا أتكلم الا في خلوة ففتشه الرسل خوفا من أن يكون معه سلاح أو مكيدة فوجدوه خاليا من ذلك فتقرب الى الملك الاسكندر وقال له أيها الملك اعلم اني

ملك الصين بنفسي وارسلت برسوله وقد حضرت بين يديك لعلمي انك رجل عاقل عارف صالح مأمون الغائلة فان كان قصدك قتلي فها أنا بين يديك وأغنيك عن القتال وان كان قصدك المال فاطلب ولاتعجز فاني مجيبك فيما تطلب وقال الاسكندر خاطرت بنفسك فقال أيها الملك أنا بين أمرين اما ان تقتلني فيقيم أهل مملكتي غيري ويحاربوك وان تركتني أفد بلادي بما تريد وتنسب الى الجميل فلما سمع ذوالقرنين ذلك أطرق مليا متفكرا وعلم ان ملك الصين من ذوي العقول ثم انه رفع رأسه وقال أريد منك خراج مملكتك ثلاث سنين كوامل معجلا ثم بعد ذلك تعطي في كل سنة نصف الخراج فقال ملك الصين وهل تطلب غير ذلك شيأ قال لا فقال قد أجبتك الى ذلك فقال الاسكندر كيف يكون حال رعيتك بعد هذا المال المعجل فقال أعطيك من عندي ولم أكلف رعيتي الى التعجيل والله على مانقول وكيل فخرج ملك الصين شاكرا فلما طلع النهار أقبل ملك الصين بعشائره حتى سد مابين المشرق والمغرب وأحاطوا بعساكر ذي القرنين حتى أيقنوا بالهلاك فظن الاسكندر وقومه ان ملك الصين خدعهم فبينما هم في هذه الفكرة واذا بملك الصين جاء وعلى رأسه التاج فلما رآه ذوالقرنين قال أغدرت فيما قلت قال لا ولكن أردت ان أريك اني لم أخضع لك خوفا واعلم ان الذي هو غائب من جيوشي أكثر ممن حضر فقال له الاسكندر قد تركت لك جميع ماقررته عليك من أمر الخراج فلما رجع من بلاد الصين أرسل له ملك الصين تحفا وأموالا كثيرة على سبيل الهدية ﴿نكتة عجيبة﴾ قيل ان رجلا مجنونا كان اذا مر في الاسواق والطرقات يتبعه الاولاد الصغار ويرمونه بالحجارة فبينما هو كذلك اذ مر بذلك المجنون رجل وعلى رأسه عمامة مقرونة مفحشة في اقرانها فتعلق به ذلك المجنون وهو يقول ياذا القرنين خلصني من يأجوج ومأجوج فصار الناس يتعجبون من أمر المجنون وقوله ذلك (قال) وهب بن منبه كان الاسكندر اذا جمع أهل النجوم يسألهم عن موته فكانوا يقولون له انه يموت في أرض من حديد وسماؤها من خشب فيتعجب حتى مرض وكان مسافرا في أرض حارة فاشتد به المرض فشكا من الحر فوضعوا تحته الدروع وخيموا له بالرماح فنام فتأمل قول أرباب النجوم أرض من حديد وسماؤها من خشب فقال ما أنا فيه هو ذلك فأيقن بالموت فجد بالسير حتى وصل الى مدينة بابل فمات بها ودفن هنالك وكتب على قبره هذان البيتان

لاتأسفن على الدنيا وزينتها ❊ أرح فؤادك من هم ومن حزن
وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها ❊ هل راح منها بغير القطن والكفن

(قال) السدي قال بعض المؤرخين انه الله يسر لذي القرنين حتى فتح جميع البلاد وهو الذي بنى مدينة همدان والدبوسية وشبرك وبرج الحجارة ببعلبك وسرنديب

بالهند وغير ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم انتهى

﴿ذكر قصة أهل الكهف رضى الله تعالى عنهم﴾

قال الله تعالى أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا قال السدى الكهف هو غار فى الجبل والرقيم لوح من الرصاص كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم وذلك اللوح موضوع على باب الكهف والصحيح ان الرقيم غار التجأ فيه ثلاثة انفار فوقع على باب ذلك الغار صخرة سدت عليهم الباب فدعا كل واحد منهم بما فعله من الخير لوجه الله تعالى فزالت تلك الصخرة عنهم وخرجوا والله أعلم (قال) وهب بن منبه ان أصحاب الكهف كانوا فتية من أبناء الروم وكانوا فى زمن فترة المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يسكنون بأرض رومية فى مدينة يقال لها أفسوس فلما جاء الاسلام غيروا اسمها وسموها ترسوس وكان لهم ملك رجل صالح مؤمن فأقام عليهم مدة ومات فلما مات تولى عليهم ملك جبار من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان مشركا بالله تعالى يعبد الاصنام وكان يسكن بمدينة غرناطة من أعمال المغرب ثم سار الى مدينة أفسوس فملكها واتخذها دار مملكته وبنى بها قصرا من الرخام الملوّن طوله فرسخ وعرضه فرسخ وعلق به ألف قنديل من الذهب والفضة يسرجها كل ليلة بدهن اللبان واتخذ فى ذلك القصر سريرا مرصعا بالجواهر ومحلى بالذهب طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وجعل فيه أنواعا من الجواهر الفاخرة ونصب عن يمينه ثمانين كرسيا من الفضة وعن شماله ثمانين من الذهب ثم اتخذ من أبناء البطارقة خمسين غلاما حسانا كالاقمار وألبسهم الحلل الفاخرة والتيجان وبأيديهم قضبان الذهب يقفون على رأسه وقت الموكب ثم اتخذ من عقلاء مملكته ستين رجلا وجعلهم وزراء وكان من جملة هؤلاء الوزرا تمليخا وهو أكبرهم ثم ان الملك طغى وتجبر وادعى الربوبية وأطاعه قومه واستمر على ذلك مدة طويلة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض حجابه وقال له ان جيوش الفرس قد طرقت بلادك فاغتم دقيانوس لذلك غما شديدا حتى وقع التاج عن رأسه فلما رأى تمليخا ذلك تفكر فى نفسه وقال لو كان دقيانوس ربا كما يزعم لم يخف من أحد غيره ولا ممن يطرق أرضه فلما انصرفت الوزراء اجتمعوا عند تمليخا فى بيته فوجدوه مغتما لا يأكل ولا يشرب فقالوا يا تمليخا مالك متفكرا فقال قد وقع فى نفسى شئ منعنى عن الاكل والشرب قالوا وما هو فقال من دقيانوس فقالوا ونحن وقع لنا مثل ما وقع لك فقال بعضهم وكيف الحيلة فى خلاصنا من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا ما لنا حيلة أحسن من الهروب من هذه المدينة والخروج من أرضه فقالوا كلهم نعم الرأى فهبط تمليخا من وقته وساعته وباع له شيأ من غلال أرضه وجعله معه واجتمع الفتية كلهم فى مكان واحد ثم تواروا ومضوا * وقيل ان جبرائيل عليه

الصلاة والسلام أخبرهم بان يتخذوا كرة ويخرجوا بها على هيئة اللعب فيها فركبوا
على خيولهم وضربوا الكرة مرة بعد أخرى حتى خرجوا من المدينة ولم يشك بهم أحد
فلما صاروا في الصحراء نزلوا عن خيولهم ونزعوا ثيابهم الفاخرة ولبسوا غيرها ومشوا
نحو سبعة فراسخ فبينما هم يمشون واذا براعي غنم تلقاهم فطلبوا منه اللبن فاسقاهم
فقال انكم من أهل النعمة وان لكم شأنا فأخبروني فان لكم عندي ما تريدونه وأظنكم
قد هربتم قال فقصوا عليه قصتهم فقال وأنا قد وقع في نفسي كما وقع في نفوسكم ولكن
قفوا عندكم ساعة حتى أعطي هذه الاغنام لاصحابها ثم ذهب وأعطى الغنم لاصحابها
وعاد اليهم مسرعا ومضى معهم فتبعهم كلب الراعي فطردوه مرارا وهو يأبى
الانصراف عنهم فأنطقه الله الذي أنطق كل شئ وقال بلسان فصيح أشهد أن لا اله
الا الله وحده لاشريك له قال وكان الكلب اسمه قطمير وكان أبلق اللون ذا بياض
وسواد (قال) السدي كان أحمر اللون ثم ان الكلب قال دعوني معكم أحرسكم فتركوه
معهم ثم ان الراعي توجه بهم الى جبل فوجدوا به كهفا فدخلوا فيه وهو قوله تعالى اذ
أوى الفتية الى الكهف الآية ولما جلسوا حتى جن عليهم الليل ناموا والكلب
يحرسهم وهو قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد الآية فلما ناموا أمر الله ملك
الموت ان يقبض أرواحهم فقبضها ثم وكل الله تعالى بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين
وذات الشمال كما قال الله تعالى (قال) السدي كانوا في مغارة مظلمة وهم نائمون
وأعينهم مفتحة وهم يتنفسون ولا يتكلمون قال ولهم شعور مسبولة على أكتافهم
وقد طالت أظفارهم وكانت عليهم هيبة عظيمة وكأنهم ينطقون قال الله تعالى
وتحسبهم أيقاظا وهم رقود فلما رجع دقيانوس من محاربة الفرس سأل عن الفتية فقيل
له انهم اتخذوا الها غيرك فلما سمع بذلك ركب في طلبهم ولازال يقفو أثرهم حتى وصل
الى ذلك الكهف فدخل عليهم ونظر اليهم فوجدهم نائمين فقال لجيشه لو أردت ان
أعاقبهم لاأعاقبهم بمثل ماهم عليه ثم أمر بسد باب الكهف عليهم فسده بالحجارة
واستمروا في رقادهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كما أخبر الله تعالى في القرآن العظيم فلما
سد دقيانوس عليهم ظن انهم يهلكون من العطش ثم ان راعيا أدركه المطر عند ذلك
المكان فقال في نفسه لو فتحت باب الكهف وأدخلت اليه الاغنام لكان حسنا
فعالج حتى فتح الباب فدخل عليهم الراعي فرد الله عليهم أرواحهم وجلسوا فلما رآهم
الراعي ولى هاربا وأخذ غنمه معه فلما جلسوا صار بعضهم يسلم على بعض وقالوا لقد
غفلنا في هذه الليلة عن عبادة ربنا فقوموا بنا الى الصلاة فجاؤا الى عين ماء عند شجرة
بالقرب من الكهف فوجدوا العين قد غارت والشجرة قد جفت فصاروا يتعجبون من
ذلك وقال بعضهم لبعض في ليلة واحدة تغور هذه العين وتيبس هذه الشجرة ثم ان الله

تعالى ألقى عليهم الجوع فقال لبعضهم أيكم يذهب بهذا الورق أى الفضة التى باع بها تمليخا غلالا كما تقدم ذكر ذلك فيشترى لنا بها طعاما وهو قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الآية (قال) السدى أما قولهم فلينظر أيها أزكى طعاما قيل هو الطعام الذى لا يوضع به شئ من شحم الخنزير كما كان يعمل لدقيانوس فقال تمليخا أنا آتيكم بهذا الطعام ثم قال للراعى الذى معهم أعطنى ثيابك وخذ أنت ثيابى فأعطاه الراعى ثيابه ولبسها تمليخا ثم سار حتى أتى الى باب المدينة فوجد على بابها مكتوبا لا اله الا الله عيسى روح الله فجعل تمليخا يمر من باب الى باب فيجد على كل الابواب مكتوبا لا اله الا الله الخ فجعل يمسح عينيه ويجدد نظره فى تلك الاماكن فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فجعل يمر باقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى آخر السوق فاذا هو بخباز فوقف عليه وقال له ما اسم هذه المدينة فقال له الخباز اسمها افسوس فقال وما اسم ملكها قال عبد الرحمن ثم ان تمليخا دفع درهما الى هذا الخباز وقال له اعطنى به خبزا فلما رأى الخباز الدرهم صار يتعجب منه وقال لتمليخا يا هذا أنت ظفرت بكنز فقال تمليخا لا والله وانما هذا الدرهم من ثمن غلالى فقال الخباز ان كنت أصبت كنزا فاعطنى منه فقال له انى خرجت من هذه المدينة منذ ثلاثة أيام وكان بها الملك دقيانوس فقال له الخباز تقول بعت بهذا غلالا وتقول بعد ذلك كنت منذ ثلاثة أيام هنا وكان الملك دقيانوس ان أمرك عجيب فطال بينهما الجدال فأتوا به الى الملك وكان الملك من ذوى العقول فقال لتمليخا ما قصتك فقال تمليخا زعموا انى أصبت كنزا فقال له الملك لا تخف ان كنت أصبت كنزا فادفع لى منه الخمس وامض لشأنك سالما فقال تمليخا تثبت لامرى فانى من أعيان هذه المدينة فقال له الملك هل تعرف بها أحدا فقال تمليخا نعم وكان لى بها دار وكان لنا ملك يقال دقيانوس فقال له الملك لا نعرف شيأ مما قلته ولكن أتعرف دارك التى كانت فى هذه المدينة قال نعم فبعث الملك معه جماعة من أعوانه حتى يريهم داره فمشى معهم تمليخا فلم يعرف داره لان البناء قد تغير فشكا فى سره الى الله فأرسل الله اليه جبرائيل عليه السلام فجعل يسوق به حتى أوقفه على باب داره فقال تمليخا هذه دارى فقرعوا باب تلك الدار فخرج اليهم رجل كبير يرتعش من الكبر فقال رجل من جماعة الملك للشيخ ان هذا الرجل يزعم ان هذه الدار داره فغضب ذلك الشيخ من هذا الكلام ثم ان تمليخا تقدم الى ذلك الشيخ وقال له أيها الشيخ المبارك أنا اسمى تمليخا بن قسطين وكانت هذه دارى ولى فيها علامات فلما سمع الشيخ من تمليخا هذا الكلام جعل الشيخ يقبل يدى تمليخا فالتفت الشيخ الى أعوان الملك وقال لهم هذا جدى وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار وقد كان عيسى بن مريم يخبر بخبرهم وانهم ينتبهون بعد ثلثمائة وتسع سنين ثم بلغوا الملك هذا الكلام فركب الى تمليخا

وجاء نحوه وجعل يقبل يدي تمليخا فشاع أمره في المدينة فاجتمع الناس عليه وجعلوا يتبركون به ويتعجبون من أمره ثم ان تمليخا قال للملك ان بقية قومي في المغارة التي في الجبل وهم في انتظاري لاجل الطعام قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى كان يومئذ بالمدينة ملكان أحدهما مؤمن والآخر كافر فركبا وتوجها مع تمليخا الى الكهف فقال لهم تمليخا قفوا مكانكم حتى ادخل اليهم وأعلمهم بما جرى لي معكم واعلمهم ان الملك دقيانوس قد هلك حتى يطمئنوا على أنفسهم فانهم خائفون من الملك دقيانوس فوقفوا قريبا من الكهف فدخل عليهم صاحبهم تمليخا فقاموا اليه واعتنقوه وقالوا الحمد لله على سلامتك وخلاصك من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا دعوني من دقيانوس كم لبثتم في هذا الكهف قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فقال لهم تمليخا بل لبثتم ثلثمائة سنة وتسع سنين وقد هلك دقيانوس في مدة نيامكم وانقرض من بعده قرنان وقد ظهر نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ومضى ثم قال لهم ان ملك المدينة جاء هو وأهل المدينة ليسلموا عليكم ويتبركوا بكم وقد أوقفتهم لاخبركم فعند ذلك تفكر أصحاب الكهف ساعة ثم قالوا اذا الرأي فقالوا أجمعون ان الرأي ان ترفعوا أكفكم الى الله تعالى بالدعاء بان يقبض أرواحكم في هذه الساعة أجمعين فرفعوا أيديهم وقالوا الهنا بحقك أن تقبضنا اليك ولا تريد أن يطلع علينا أحد غيرك فامر الله تعالى ملك الموت ان يقبض أرواحهم في تلك الساعة فلما بطئ على الملك وأهل المدينة الخبر من تمليخا أتى الملك الى الكهف ودخل فوجدهم موتى فاخذ يقبل أقدامهم ويتبرك بهم وأمر بان يجعل كل واحد منهم في تابوت محلى بالذهب فلما نام الملك تلك الليلة رأى في منامه أصحاب الكهف فقالوا له أيها الملك انا خلقنا من تراب لا من ذهب ولا من فضة فاتركنا كما كنا في التراب الى يوم البعث والحساب فامر الملك ان يجعلوهم على التراب من غير توابيت كما أرادوا ثم ان الملك سد عليهم باب الكهف وأراد ان يبني على باب الكهف مسجدا فاعترضه الملك الكافر فقال أنا أبني على باب الكهف كنيسة فاقتتلا على ذلك قتالا عظيما فقتل المؤمن الكافر وبنى المسجد الذي هناك وهو قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا الآية قال السدي رحمه الله تعالى ان عدة الفتية ستة أنفس والراعي الذي تبعهم سابع وكلبهم ثامن كما أخبر الله تعالى في القرآن العظيم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل الآية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأنا من القليل أي الذين يعلمون عدتهم اه قال العزيزي رحمه الله تعالى ان الكهف الذي مات فيه الفتية هو مغارة في الجبل الذي يقرب من مدينة ترسيس ومكانهم مشهور معلوم بها ويزارون ويتبرك بهم رضي الله تعالى عنهم تمت قصة أصحاب الكهف على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر قصة نبي الله يونس بن متى عليه السلام﴾ واسم أمه زاد قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين (قال) كعب الاحبار رضي الله عنه كان في بني اسرائيل خمسمائة رجل زاهدون لباسهم من الشعر الاسود وطعامهم من خبز الشعير ولم يكن في القوم يومئذ من يوحى اليه الا نبي الله زكريا عليه السلام فأوحى الله الى زكريا عليه السلام ان يختار من الخمسمائة مائة رجل فاختار منهم مائة رجل ثم أوحى الله تعالى اليه ان يختار من المائة خمسين ثم يختار من الخمسين عشرين ثم يختار من العشرين واحدا فاختار زكريا يونس بن متى عليه السلام ولم يكن في القوم أزهد منه فاوحى الله تعالى الى زكريا أن يبشر يونس بالنبوة وقد جعله الله نبيا ورسولا فلما سمع يونس ذلك خر ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وقال لزكريا الحمد لله الذي جعلني نبيا قال العزيزي ان متى أبا يونس كان رجلا صالحا وكان بأرض فلسطين ولم يكن له ولد ذكر وقد كبر سنه فأتى الى العين التي اغتسل منها أيوب وعافاه الله فاغتسل منها متى وزوجته وصليا ركعتين ودعيا الى الله فاستجاب الله منهما ورزقهما يونس عليه السلام فلما كبر يونس خرج من بيت المقدس سائحا في الاودية والجبال فبينما هو سائح اذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام على صفة آدمي حسن الصورة وقال له يا يونس الله يأمرك بان تتوجه الى مدينة نينوى وهي قرية من قرى سوريا وكان بها ملك من الروم يعبد الاصنام من دون الله تعالى وكان هذا الملك يقتل كل من يدعوه الى الله تعالى فلما تحقق يونس ان الله تعالى يأمره ان يتوجه الى أهل نينوى حمل زوجته وأولاده على ناقة وأخذ معه جماعة من أعيان بني اسرائيل وكان عمره يومئذ أربعين سنة فلما دخل مدينة نينوى نزل في غار في جبل والى جانبه عين ماء وصار يأكل هو وعياله من نبات الارض ويشربون من تلك العين ثم قال لزوجته اني ماض عنكم فانتظروني أربعين يوما فان زدت عليها فاعلموا اني قد قتلت كمن قتل قبلي من الانبياء ثم ان يونس لبس جبة صوف وأخذ بيده عصا وتوجه حافيا مكشوف الرأس فصعد على تل عال في نينوى وصاح وقال لا اله الا الله يونس رسول الله فاجتمع القوم اليه وضربوه ضربا مؤلما حتى غشي عليه فأوحى الله الى طائر يقال له الورشان بان يغمس جناحيه في الماء ويرش بهما على وجه يونس عليه السلام فلما فعل ذلك أفاق يونس من غشيته ورجع الى القوم وقال لهم كما قال في الاول فحمل الريح كلام يونس وألقاه في اذن الملك فلما سمع ذلك الصوت فزع منه وتغير لونه فقال لمن حوله ما هذا الصوت فقالوا دخل المدينة غلام فقير مجنون يقال له يونس يزعم ان في السماء الها يعبد فلما سمع الملك ذلك غضب على يونس وأمر بسجنه فسجن في مكان مظلم ضيق فأمر الله جبرائيل بان يأتيه بقنديل من الجنة ويعلقه في ذلك السجن ويأتيه بطعام وشراب

من الجنة فأقام يونس فى السجن نحو أربعين يوما ثم ان الملك تذكره فقال لوزيره امض الى السجن وائتنى بالرجل حتى أقتله فدخل الوزير على يونس فوجده قائما يصلى وعنده قنديل يضىء ووجد السجن قد امتد مد البصر فتعجب الوزير ثم التفت الى يونس وقال من صنع معك هذا فقال يونس صنعه ربى فقال الوزير يا يونس ان أنا آمنت بربك ماذا يصنع معى فقال يونس يغفر لك ما تقدم من ذنبك ويسكنك جنته فقال الوزير أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله وخرج الوزير وأتى الى الملك وقال دخلت على يونس الى السجن الضيق فرأيته قد اتسع مد البصر ورأيته يصلى وفوق رأسه قنديل يضىء منه المكان ووجدت عنده مائدة عليها طعام طيب ليس مثل طعامنا فقلت يا يونس من فعل معك هذا قال فعله معى ربى فعلمت أن له ربا يقدر على كل شئ فآمنت به فغضب الملك على الوزير ثم أمر باخراج يونس من السجن واحضاره بين يديه فلما حضر قال له يا يونس اخرج من أرضنا فقد أفسدت رعيتى بسحرك فخرج يونس الى أهله فأوحى الله اليه يا يونس ارجع الى أهل نينوى وادعهم الى التوحيد ثانيا أربعين يوما فان أجابوك والا فانى منزل عليهم العذاب فقال يارب وما علامة العذاب فأوحى الله اليه كونهم فى اليوم الاول تصفر وجوههم وأبدانهم وفى اليوم الرابع تحمر وجوههم وأبدانهم وفى اليوم السابع تسود وجوههم وأبدانهم وفى اليوم العاشر أنزل عليهم العذاب فلما رجع يونس وصعد على التل العالى وقال يا قوم قولوا معى لا اله الا الله وأنى يونس رسول الله اجتمع حوله القوم وصاروا يقذفونه بالحجارة ويسبونه فقال لهم يونس ان لم تجيبونى الى توحيد الله بعد أربعين يوما والا ينزل ربى عليكم العذاب وعلامته فى اليوم الاول أن تصفر وجوهكم وأبدانكم ثم بعد أربعة أيام تحمر ثم بعد سبعة أيام تسود ثم فى اليوم العاشر ينزل بكم العذاب فلم يزل يونس يدعوهم الى الاربعين فلم يؤمن أحد منهم فأوحى الله تعالى الى يونس ان يخرج من بينهم فخرج يونس ودخل القوم الى الملك وقالوا له أما ترى ما قد نزل بنا وهو ما وعدنا به يونس من البلاء وكان قد اصفرت وجوههم وأبدانهم والملك معهم كذلك فقال لهم امضوا الى أصنامكم واسألوها كشف ذلك عنكم فعمد القوم الى أصنامهم وكانت أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة فسجدوا لها وذبحوا الذبائح لها وسألوها كشف هذه النازلة عنهم فأوحى الله الى الملك الموكل بالسحاب ان ينشر عليهم سحابة سوداء مظلمة محشوة بالعذاب والنيران والحجارة وأمر جبريل بأن يدنيها من القوم فادناها منهم فنزل منها الصواعق وأظلمت الدنيا عليهم ظلمة شديدة فدخل القوم على الملك وقالوا له ان كنت الها فادفع عنا هذا العذاب فقال لهم امهلونى قليلا ثم دخل الى داره

ولبس السلاح وركب جواده وخرج الى محل عال ولبث فيه مقدار ثلاث ساعات ثم رجع الى قومه فقال لهم لايهولنكم شأن السحابة فان بها مطرا شديدا ورعدا مهولا قال كعب الاحبار فلما دنت منهم السحابة وصارت فوق رؤسهم ضاقت أنفسهم من شدة حرها وزادهم القلق حتى غلت جماجم رؤسهم فكان الرجل اذا قرب من صاحبه يسمع غليان دماغه فعند ذلك دخلوا على الملك وقالوا ان هذا هو العذاب الذى وعدنا به يونس فقال لهم الرأى عندى ان يعمد كل منكم فيكسر صنمه بيده فكسروا أصنامهم فقال لهم الملك الحق عندى والحق ما أقول اطلبوا يونس فانه كان ناصحا لكم فطلب القوم يونس فلم يجدوه فقال رجل منهم وهو الوزير انى كنت اسمع يونس يقول ان ربى حاضر لا يزول أيها الملك ان كان يونس قد غاب فان ربه حاضر لا يغيب فلما سمع الملك ذلك قام من وقته ولبس جبة من الصوف الاسود وغل يده الى عنقه وقيد قدميه بقيد من حديد وجعله بعض عبيده وخرج الى القوم فى هذه الحالة ففعل القوم كلهم كما فعل الملك وجلوا أنفسهم وخرجوا الى الصحراء وصعدوا على تل عال ثم اصطفوا صفوفا فجعلوا الشيوخ امامهم والشباب خلفهم ومن ورائهم الاطفال والنساء وبسطوا أيديهم بالدعاء وقالوا يارب يونس اكشف عنا هذا العذاب فكانت الشيوخ تمرغ شيبتهم بالرماد والشباب يحثونه على رؤسهم والنساء والاطفال يبكون ناشرين شعورهم وصاروا يعلنون بالبكاء والضجيج الى الله تعالى فكانوا يقولون اللهم انك وعدت على لسان نبيك يونس ان لاتخيب سائلا سألك ولا داعيا دعاك ونحن سألناك ودعوناك فلا تردنا خائبين انه لاملجأ ولا منجا منك الا اليك فاكشف عنا هذا العذاب برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم انا آمنا بك وصدقنا رسولك يونس بن متى لا اله الا أنت وان يونس رسولك فلما اطلع الله على قلوبهم وجعلها خالصة مخلصة بما يقولون أوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بان يكشف عنهم العذاب فكشفه عنهم ورحمهم (وقد قيل فى المعنى)

يا طالبا ربه بصدق ✽ بادر وان جلت الخطوب

واقصد كريما بلا توان ✽ فسائل الله لا يخيب

(قال) كعب الاحبار لما صرف الله عنهم العذاب تقطع ذلك الغمام أربع قطع قطعة وقعت على جبال صنعاء فكان منها معادن الرصاص وقطعة وقعت على بعض الجبال فصارت لاتنبت شيأ الى ان تقوم الساعة وقطعة وقعت فى البحار فهى تفور الى يوم القيامة وقطعة وقعت فى نينوى فكانت أشد بياضا من الكافور وأطيب رائحة من المسك فهم يتطيبون بها الى الآن ثم ان الله تعالى رد على القوم ألوانهم وعافاهم وجعل يهنئ بعضهم بعضا ثم ان ابليس اللعين تصور فى صورة راع وجاء الى يونس عليه السلام

ره وعند أهله على الجبل فقال له يونس من أين جئت ياراعى قال من قرية نينوى
فقال يونس كيف حال أهلها فقال انهم انتظروا العذاب الذى وعدهم به يونس فلم
يأتهم فعزموا على قتل يونس لانه كذب عليهم فلما سمع يونس ذلك غضب غضبا
شديدا قال قتادة ان غضب يونس كان على أهل نينوى لا على ربه لانه نظر الى ان القوم
كذبوه ولما سمع كلام الراعى قال انهم يزيدون على ماهم عليه من تعذيبى وعداوتى
قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه الآية قال كعب الاحبار
فاتى الى زوجته وأولاده وحملهم على ناقته وأتى بهم الى شاطئ الدجلة فرأى هناك
سفينة فأشار اليها فأتت اليه فنزل فى تلك السفينة هو وزوجته وأولاده فلما سار فى
وسط الماء انخرقت بهم السفينة فتعلقت زوجته على لوح ووصلت الى البر فالتقطها
بعض من الناس فحملها الى داره وطلع يونس هو وأولاده على خشبة الى البر فصارت
الاولاد يبكون على امهم فاقام يونس على شاطئ الدجلة أياما ينتظر سفينة أخرى تحمله
واذا بسفينة تلوح من بعد فأشار اليها فجاءته فهم يونس ان ينزل فيها فبادر ابنه الكبير
النزول الى السفينة فأخذته موجة فقال ابنه الصغير ياأبت ادرك أخى فاراد ان يدركه
فنادته الموجة ارجع يايونس فليس لك من الامر شئ فبينما هو فى أمر ولده الكبير اذ نزل
من الجبل ذئب فاحتمل ولده الصغير فنادى يونس أيها الذئب لا تفجعنى فيه فقال له
الذئب يايونس ليس لك من الامر شئ قال كعب الاحبار وكان على وسط يونس
خريطة فيها دراهم فتبددت كلها فعلم يونس انه أخذ بذنبه فعند ذلك جلس يونس
وحيدا على الشاطئ فمرت به سفينة فأشار اليها فجاءته وحملته وهو مهموم مغموم فالقى
الله عليه النوم فنام وسارت السفينة الى وسط الماء فتوحلت وجلست فاعيا
الملاحين أمرها فقالوا للركاب هل فيكم رجل مذنب فقال لهم يونس أنا المذنب فظنوا
انه قال ذلك من حمه فاقرعوا بينهم القرعة فخرجت على يونس فاعادوها ثلاث مرات
وهى تقع على يونس وهو يقول ألم أقل لكم انى مذنب

ذكر قصة كيفية القرعة وسببها

كانوا يكتبون أسماء كل من كان فى السفينة فى ورقة ويلقونها فى ماء فكل من غاصت
ورقته فى الماء فهو المطلوب والسبب فى ان السفينة لا تسير فيعلم ان فى ركابها رجلا
مذنبا فيرمونه فى الماء فتخلص السفينة باذن الله فلما وقعت القرعة على يونس قام
على قدميه ولف جسده فى عباءة وشد وسطه وتقدم الى جانب السفينة وهم ان
يلقى نفسه فرأى الامواج تضطرب فتحول الى الجانب الآخر فرأى أيضا الامواج
تضطرب فتحير يونس فى أمره فأوحى الله الى الملك الموكل بالحيتان بان ادفع الحوت
الفلانى فانى جعلت جوفه سجنا ليونس بن متى فأحضر الملك ذلك الحوت وقال له

سر الى يونس فأدركه قبل أن يصل الى الماء فلا زال ذلك الحوت يخرق البحار الى أن
وصل الى السفينة فرمى يونس نفسه فالتقمه ذلك الحوت قال كعب الاحبار كان
يونس في آخر السفينة فلما هم يونس ان يرمى نفسه هم الحوت ان يلتقمه ففزع يونس
فناداه الحوت ما هذا الفزع يا يونس وأنت المطلوب من بين القوم فلما سمع يونس كلام
الحوت رمى نفسه فى فم الحوت فلما صار فى جوفه قال يونس آه وأغمى عليه فأوحى الله
الى الحوت أنى لم أجعل يونس لك رزقا ولا طعاما وانما جعلتك له حرزا فلا تخدش له لحما
ولا تمزق له جلدا ثم ابتلع الحوت الذى التقم يونس حوت آخر أعظم منه فى الخلقة ثم
ان يونس قام فى بطن الحوت على قدميه وقال الهى لم يسجد لك فى مثله ملك مقرب ولا
نبي مرسل فصار يونس يسجد على كبد الحوت قال كعب الاحبار ان جلد الحوت رق
ليونس حتى كان ينظر منه ما فى البحار من العجائب من حيوانات البحر وعظم أسماكه
وغير ذلك فطاف به الحوت فى البحار السبعة ورأى غرائبها وما فيها من الملائكة
الموكلين فى البحر وكان يونس يسبح فى بطن الحوت فلما سمعته الملائكة يسبح فى بطن
الحوت قالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا لم نسمعه قبل ذلك فأوحى الله تعالى اليهم هذا
صوت عبدى يونس عصانى فسجنته فى بطن الحوت فلما سمعوا ذلك سجدوا لله أجمعون
وهو قوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وقوله تعالى
فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وكذلك ننجى المؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى
فنادى فى الظلمات هى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وكان اسم ذلك
الحوت النون فسمى يونس ذا النون قال كعب الاحبار أمر الله تعالى الحوت ان يقذف
يونس من بطنه فى تلك الساعة فقذفه من بطنه فى الحال فى المكان الذى أخذه منه
فلما دنا الحوت ليقذف يونس من بطنه أتاه جبرائيل عليه السلام ودنا من فم الحوت
وقال السلام عليك يا يونس رب العزة يقرئك السلام فقال يونس مرحبا بصوت
كنت أخشى ان لا أسمعه أبدا فقال جبرائيل للحوت اقذف يونس من بطنك باذن
الله فقذفه من بطنه فجعل يبكى لفقده ويقول لا أوحش الله منك يا يونس ومن
تسبيحك فخرج من بطنه مثل الفرخ الذى لا ريش له ووقع شعره وذاب جسده ولان
عظمه من حرارة بطن الحوت قال الشعبى ومجاهد مكث يونس فى بطن الحوت أربعين
يوما وفى رواية مكث ثلاثة أيام وذلك قوله تعالى لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء
وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين قال كعب الاحبار لما خرج يونس من
بطن الحوت خرج عريان فانبت الله عليه شجرة من يقطين كالقبة لها أربعة أبواب

تخرج منها الرياح قال ابن عباس هى شجرة اليقطين يعنى القرع قال كعب الاحبار
ان تلك الشجرة حملت فى ذلك اليوم اثنين وثلاثين صنفا من الفواكه لا يشبه بعضها
بعضا وأنبع الله فى أصلها عينا أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأرسل الله اليه غزالة
تدر من ثديها اللبن فيتغذى به قال السدى ان الغزالة التى تغذى يونس عليه السلام
منها جعل الله قرونها وأظفارها بلون الذهب قال الثعلبى ان ببلاد الحبشة من أعالى
الصعيد دابة تشبه الغزلان ولها قرون كلون الذهب وكذلك أظفارها وهى قليلة
البقاء اذا اصيدت لا تعيش أكثر من ثلاثة أيام فذكر انها من نسل الغزالة التى تغذى
بلبنها يونس عليه السلام قال كعب الاحبار فألقى الله على يونس النوم فنام تحت
تلك الشجرة فلما انتبه من نومه فلم يجد الشجرة ولا العين ولا الغزالة وكان يستأنس
بهن فحزن على ذلك فأوحى الله اليه ان لا تحزن يا يونس امض الى أهل نينوى فانهم
قد آمنوا بى فاقم عندهم ومرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر فسار يونس اليهم
فبينما هو سائر اذ مر براع ومعه أغنام فقال له هل من شربة لبن فقال له الراعى أبشر
فاحتلب له اللبن وأسقاه ثم جلس عنده ساعة يتحدث معه فقال له يونس من أين
أنت يا راعى فقال من نينوى فقال كيف حال القوم قال الراعى يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر فقال يونس أتحب أن يكون لك عندهم منزلة قال نعم فقال امض
اليهم وبشرهم بان نبيهم يونس بن متى باق على قيد الحياة فقال له الراعى يكذبونى
فقال له يونس خذ معك هذه الشاة فانها تشهد لى بانى يونس بن متى فلما علم الراعى
صدق مقاله توجه الى أهل نينوى وأخذ الشاة معه فلما دخل على الملك قال له البشارة
قال وما بشارتك قال له ان يونس قد ظهر وهو فى مكان كذا وكذا فاجتمع عليه القوم
وكذبوه فقال لهم ان معى من يشهد لى قالوا وما شاهدك قال هذه الشاة وأحضرها بين
يدى الملك وقال لها أيتها الشاة بماذا تشهدين فأنطقها الله تعالى وقالت ان يونس حى
وانه احتلب منى اللبن وشربه فلما سمع القوم ذلك صدقوا الراعى وخرجوا وصحبتهم
الملك الى ذلك المكان فوجدوا يونس قائما يصلى فجعل القوم يأخذون التراب من
تحت أقدامه ويجعلونه فوق رؤسهم للتبرك ثم ان يونس سار معهم ودخل المدينة
وجدد اسلامهم وآمنوا برسالته وأقام بينهم يبين لهم الحلال والحرام فبينما هو
جالس بينهم اذ أتاه رجل صياد وقال له يا نبى الله انى طرحت شبكتى يوما فطلع لى صبى
من أحسن الناس وجها فقال له يونس هذا ولدى ورب ابراهيم فأحضره اليه ثم أتى
اليه رجل آخر وقال له يا نبى الله انى كنت فى الفلوات اذ رأيت ذئبا على ظهره مولودا وهو
من أحسن الناس وجها فقال يونس هذا ولدى ورب ابراهيم ثم أتاه رجل آخر وقال

له انى رجل تاجر خرجت فى طلب سفينة الى شاطئ الدجلة فرأيت امرأة على البر عريانة وقد غرقت فى الدجلة فضيت بها الى منزلى وأحسنت اليها والبستها ثيابا فقال يونس هذه زوجتى ورب ابراهيم قال فجمع الله شمله بولديه وبزوجته على احسن وجه فأقام يونس بنينوى مدة طويلة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم بعد ذلك توجه الى الكوفة فمات بها ودفن هناك على ما قيل وقيل دفن بالقرب من مدينة صيداء من أعمال الشام على شاطئ البحر المالح وبنى عليه مسجد يزار ويتبرك به وهو باق الى الآن وهو المشهور والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار

(ذكر قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام) قال الله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا (قال) وهب بن منبه هو زكريا بن أدن من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام قال الطبرى هو زكريا بن يوحنا وكان نبيا صالحا فى الدين فلما مر عليه مائة وعشرون سنة من العمر ولم يرزق ولدا ذكرا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب يا زكريا ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال السدى هو أول من تسمى بيحيى قبل الخلائق فلما سمع زكريا ما قالته الملائكة قال لهم وما علامة ذلك فأتاه جبرائيل عليه السلام وقال له يا زكريا الا تكلم أحدا من الناس ثلاث ليال سويا فقال زكريا يا جبرائيل انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا أى كيف يجىء لنا ولد ونحن على هذه الشيخوخة قال له جبرائيل كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال السدى ان زوجة زكريا حاضت فى يومها فلما واقعها زكريا حملت منه بيحيى فلما وضعته وكبر وانتشى اعتكف على عبادة الله تعالى وصار باكيا حزينا ليلا ونهارا لا يأكل ولا يشرب ولا يمل من البكاء فقال زكريا يارب انى طلبت منك ولدا أنتفع به وهذا مشتغل بالبكاء دائما فأوحى الله اليه يا زكريا أنت قلت فهب لى من لدنك وليا والولى لا يكون الا على هذه الصفة وكان يحيى عليه السلام لين الجانب رضى الخلق كما قال الله تعالى واجعله رب رضيا قال السدى ان يحيى كان فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان ذلك الملك مغرما بحب النساء الحسان وكان للملك زوجة قد طعنت فى السن وكان لها بنت من غير الملك جميلة فأراد أن يتزوج بغيرها عندما كبر سنها فعمدت الى تلك البنت وزينتها بأحسن زينة وأحضرتها بين يدى الملك وقالت له تزوج بها فقال لها حتى نسأل يحيى بن زكريا هل يجوز ذلك أم لا فأحضر يحيى وسأله عن ذلك فقال له لا تحل لك ولا يجوز وانها محرمة عليك فغضب منه الملك فقالت له زوجته ان لم تقتل يحيى والا ما بقيت أقيم عندك فأمر الملك بقتل يحيى فقالت علماء بنى اسرائيل للملك ان وقع من دم يحيى قطرة على

الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين الآية (قال) وهب بن منبه كانت حنة أم مريم أخت زوجة زكريا وكان أبو مريم رجلا من بنى اسرائيل يقال له عمران وكان امام المسجد الاقصى فلما حملت حنة أملت أن يكون مافى بطنها ولدا ذكرا فقالت ان ولدت ذكرا أجعله خادما للمتعبدين بمسجد الاقصى يسقى لهم الماء عند الافطار ويحمل الزاد على رأسه ولهذا قالت رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فلما أخبرت زوجها بما نذرت قال لها لقد أخطأت فيما نذرت فربما تلدين أنثى فكيف تخدم الرجال فى المسجد فلما وضعتها وجدتها أنثى وهو قوله تعالى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم الآية فضاق صدرها من ذلك النذر حيث كانت أنثى ثم ان حنة سمتها مريم ومعنى ذلك لاعيب فيها ثم ان عمران أبا مريم مات وهى صغيرة مرضع ثم ان حنة أقامت بعد زوجها عمران مدة يسيرة وماتت فلما ماتت حنة أخذ مريم زكريا زوج خالتها أم يحيى وكفلها من بعد أمها كما أخبر الله تعالى حيث قال وكفلها زكريا قال السدى كان زكريا رجلا فقيرا ضيق المعيشة فلما كفل مريم صار اذا دخل عليها يجد عندها فاكهة الشتاء فى أوان الصيف وفاكهة الصيف فى أوان الشتاء وهو قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (قال) وهب بن منبه كانت مريم خالفت عادة النساء لان النساء لا يرجعن الى الطاعة والعبادة الا بعد مضى الشباب ومريم تعبدت وهى طفلة صغيرة وأخذت عادة العجائز فى العبادة والاعتكاف عن الناس فكان زكريا يتعجب من حال مريم فى العبادة فلما بلغت مبلغ النساء أتاها الحيض فلما طهرت أرادت الاغتسال فخرجت الى عين ماء هنالك فجاء اليها جبرائيل عليه السلام فى صورة شاب من بنى اسرائيل يسمى تقيا وكان مشهورا فى زمانه بالشقاوة من الفساد والزنا قال تعالى فأرسلنا اليها روحنا أى جبريل فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقال لها جبريل عليه السلام انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فمد جبرائيل يده وأخذ بزيق قميصها ونفخ فيه فلما بلغت النفخة الى صدرها خلق الله تعالى من تلك النفخة عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين (قال) العلماء ان الله تعالى خلق آدم من غير أب وأم وخلق حواء من أب من غير أم وخلق سائر المخلوقات من

الارض لم ينبت فيها الزرع أبدا قال العزيزي فلما سمع الملك ما قالته العلماء أحضر طستا من نحاس وأمر بذبح يحيى فى ذلك الطست النحاس وأن لا ينزل من دمه شئ على الارض فلما ذبحه طلب أباه زكريا ليذبحه أيضا فهرب منه فلم يرفى وجهه الا شجرة قال لها أيتها الشجرة أجيرى نبى الله زكريا من القتل فانشقت الشجرة نصفين فدخل زكريا فى جوفها وانطبقت عليه كما كانت فلما تتبعوه ولم يجدوه جاء اليهم ابليس اللعين فى صفة شيخ زاهد وقال لهم ان زكريا قد دخل فى جوف هذه الشجرة فأحضر الملك منشارا ونشر به تلك الشجرة قال السدى لما بلغ المنشار رأس زكريا صاح آه فنزل اليه جبرائيل وقال له يا زكريا ان الله تعالى يقول لك لئن قلت بعد ذلك آه مرة أخرى لأمحونك من ديوان الانبياء فسكت زكريا وصبر على البلاء حتى نشروه نصفين وهو لا يتكلم واعلم أن الانبياء أشد بلاء من جميع الناس * قال الثعلبى مات زكريا وله من العمر نحو ثلاثمائة سنة وقيل دون ذلك والله أعلم (قال) السدى ان الشجرة التى نشر فيها زكريا كانت بنابلس ودفن هنالك ثم نقل بعد ذلك الى حلب وقبره مشهور بها الآن * قال السدى ان يحيى بن زكريا ذبح بفلسطين ودفنت جثته بها ورأسه حمل الى الشأم ودفن بها وذراعه دفن فى بيروت ورجله فى صيداء صلوات الله وسلامه عليهما * قال الثعلبى مات يحيى بن زكريا وله من العمر خمسة وتسعون سنة (قال) قتادة لما دخل بختنصر البابلى الى بيت المقدس ورأى دم يحيى يفور ويغلى على الارض كغليان القدور شرع يقتل بنى اسرائيل حتى بلغ من قتله منهم سبعين ألف انسان فعند ذلك سكن الدم قليلا (قال) زيد بن واقد لما عمر الوليد بن عبد الملك ابن مروان مسجده الذى انشأه بدمشق وكانى على المناذين فبينما أنا واقف عليهم اذ لاحت لنا مغارة بابها مسدود بالحجارة فعرفنا الوليد بذلك فلما دخل الليل أتى الوليد الى المسجد وبين يديه الشموع فوقف على تلك المغارة وأمر بفتحها ففتحت بحضرته فرأى بها مكانا مربعا فى ثلاثة أذرع فى مثلها ووجد بها صندوقا مقفولا بقفل من حديد ففتحه فرأى رأس انسان وعليها شعر وهى على هيئتها لم يتغير منها شئ من محاسن وجهها وفى ذلك الصندوق لوح من رخام أبيض مكتوب فيه هذه رأس يحيى ابن زكريا فلما رأى الوليد ذلك قبل الرأس وأمر بردها الى الصندوق تحت العمود الذى فى شرقى الجامع المعروف بعمود السكاسك وهو فى الصف الثانى بالقرب من المقصورة التى بها محراب المسجد وقبره مشهور يزار ويتبرك به عليه السلام انتهى ما أوردناه من قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام

* ذكر قصة عيسى بن مريم وقصة أمه عليهما السلام * قال الله تعالى واذ قالت

أب وأم فأراد الله تعالى أن يكمل الدور أربعة فخلق عيسى من أم من غير أب فكمل بديع حكمته الدور وقد قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (قال) وهب بن منبه لما حملت مريم بعيسى كان مدة حملها ساعة واحدة لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان مدة حملها ثمانية أشهر وقد جرت العادة أن من ولد لثمانية أشهر لا يعيش قال مجاهد بل كان حملها تسعة أشهر كعادة النساء قال السدي وكان وضعه ببيت لحم بالقرب من بيت المقدس وولدته ليلة الاثنين في التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط المعروفة بليلة الميلاد وهي ليلة عيد النصارى وفيها يشتد البرد * فلما قالت مريم ياليتني مت قبل هذا ناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا (قال) وهب بن منبه ان النخلة التي أمرت مريم بهزها كان لها نحو سبعين سنة يابسة لم تثمر فلما وضعت سيدنا عيسى عليه السلام أورقت في الحال وأثمرت وصار البلح رطبا جنيا من وقته معجزة له وكرامة لها وأمرها بالهز تعاطيا للأسباب فتساقط عليها الرطب كما أخبر الله تعالى (وقيل في المعنى)

ألم تر أن الله قال لمريم * فهزي اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أجنى الجذع من غير هزه * ولكن ماشئ يكون بلا سبب

(قال) السدي لما أتت مريم بعيسى تحمله الى قومها قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا (قال) وهب بن منبه ليس المراد بأخت هرون أنها كانت أخت هرون بن عمران أخي موسى عليهما السلام من النسب ولكن كانت أخته في العبادة لان هرون كان مشهورا بالعبادة وهي أيضا مشهورة بالعبادة فلما سمعت كلام قومها من المعاتبة أشارت اليه أي بأن كلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فأنطقه الله تعالى لهم وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا فأول كلمة قالها عيسى اني عبد الله لان الله تعالى أعلمه أنهم سيقولون عنه بانه ابن الله فكان ذلك تكذيبا لهم (قال) ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يتكلم في المهد غير أربعة وهم شاهد يوسف بقد القميص والثاني صاحب الاخدود والثالث الذي شهد لجريج الراهب بانه ابن الراعي والرابع سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام (قيل) ان جماعة من النصارى سألوا عليا رضي الله تعالى عنه ان من كرامات عيسى انه نطق في المهد فهل نطق نبيكم وهو في المهد فقال علي رضي الله تعالى عنه ان عيسى كان محتاجا الى النطق لانه ولد من غير أب فخاف من

التهمة فاحتاج الى النطق ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحتج اذ ذاك الى النطق (قال) وهب بن منبه لما كبر عيسى عليه السلام كان سواحا فى الارض لا يتخذ دارا ولا مسكنا ولا زوجة ولا دابة وكان يلبس جبة صوف على لحمه و يلبس على رأسه قلنسوة من لباد وكان لا يأكل الا من غزل أمه وكانت تغزل الصوف * قال السدى أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى ان لم يكن لك زوجة فأزوجك فى الآخرة ألف حورية من العين ولا طعمن فى عرسك ألف عام وينادى مناد احضروا وليمة عيسى الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة * قال الواقدى لما ساح عيسى عليه السلام فى الارض أتى الى الربوة التى بجيرون من أراضى الشام فأقام بقرية هناك يقال لها الناصرة واليها تنسب النصارى فأوى اليها هو وامه قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين والصحيح أن الربوة فى دمشق الشام ومحلها مشهور ومعلوم بها الى الآن وتحتها الانهار والاشجار وهى ذات القرار والمعين (قال) الواقدى لما أراد الملك هردوس ملك اليهود ان يقتل عيسى عند ظهور معجزاته وآمن غالب الناس به أخذته أمه مريم وخرجت به من بيت المقدس وكان معها يوسف النجار وهو رجل من عباد بنى اسرائيل فدخلوا الى مصر ومروا بمدينة عين شمس التى بالمطرية فوجدوا هناك بئرا وكانت أثواب عيسى قد اتسخت من السفر فنزلوا بجانب تلك البئر وغسلت مريم أثواب عيسى وغسلته واغتسلت ورشت الماء حول ذلك البئر فأنبت الله هناك البلسان و يعرف بالبلسم وهو لا يوجد بأرض مصر الا فى هذا المكان فقط وهذا سبب تعظيم النصارى البلسان وتغاليهم فيه خصوصا الافرنج و يقولون انه لا يصح التنصر عندهم الا اذا كان فى ماء المعمودية دهن البلسان ويتغمسون فيه وكان البلسم من محاسن مصر وقد انقطع منها فى أواخر القرن التاسع وتبع من بعد ذلك * وقال الواقدى لما دخلت مريم مصرا انقطع عنها اللبن لان عيسى كان رضيعا فالهمها الله أن تغلى النهيد وتطعمه لعيسى ففعلت فكان يغنيه عن اللبن قال فلما كبر عيسى وساح فى أراضى مصر حتى دخل الى الاشمون وكان بها فرس من نحاس اذا دخلها غريب يصهل ذلك الفرس النحاس حتى يسمعه كل من فى المدينة فيعلموا انه دخل غريب فلما وصل عيسى عليه السلام سقط ذلك الفرس وتكسر فلما دخل عيسى المدينة رأى جمالا محملة غلالا فراحوه فى الطريق فصرخ عليهم فصاروا حجارة سودا ثم انه مر بسفح الجبل المقطم هو وامه فالتفت اليها وقال يا اماه هذه البقعة تصير مقبرة لامة محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وهو غراس الجنة * قال وهب بن منبه ثم ان عيسى خرج من مصر وتوجه الى البلاد الشامية وقد اشتهر أمره بأنه يحيى الموتى باذن الله تعالى ويبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فاجتمعت اليه اليهود وقالوا

ياعيسى لن نؤمن لك حتى تحيي لنا العزير فقال لهم عيسى واين مكان قبره فأتوا به الى قبره فصلى هنالك ركعتين ودعا الى الله تعالى بأن يحيي له العزير فجعل القبر ينفرج عنه قليلا قليلا حتى ظهر منه العزير عليه السلام وقد ابيض شعر رأسه ولحيته فقال لعيسى هذا فعلك معي يا ابن مريم فقال بل بطلب قومك لانهم قالوا لن نؤمن لك حتى تحيي لنا العزير فعند ذلك جلس العزير بين قومه وقال لهم يا معشر بني اسرائيل آمنوا برسالة عيسى بن مريم واتبعوا ملته فانه على الحق من ربه فقال بنو اسرائيل انا كنا نعهدك حين مت شابا وأنت أسود شعر الرأس واللحية وقد ابيضا فقال لهم لما سمعت هذه الصيحة وقال لي قم باذن الله تعالى ظننت انها صيحة القيامة فابيض نصف رأسي ولحيتي من هول ذلك اليوم وأتاني ملك وقال لي هذه دعوة عيسى بن مريم فلما أحيا الله العزير وظهر لبني اسرائيل معجزة عيسى عليه السلام آمن منهم في ذلك اليوم جماعة كثيرة ثم دعا الله تعالى عيسى ان يعيد العزير لما كان عليه ميتا فاعاده كما كان

﴿ذكر نزول المائدة لعيسى عليه السلام﴾

(قال) سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فقال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا لابد لنا من ذلك فخرج عيسى الى الصحراء ولبس المسوح وطأطأ رأسه خاشعا لله تعالى يبكي ويتضرع وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين فأوحى الله اليه اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه الآية قال الترمذي فأنزل الله عليهم سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون اليها فلما نظرها عيسى قال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة فلازالت تنزل قليلا قليلا حتى هبطت بين يدي عيسى عليه السلام وكان عليها منديل مغطى به السفرة فعند ذلك خر عيسى ساجدا لله تعالى وسجد معه الحواريون ثم قالوا لعيسى قم واكشف عن هذه السفرة حتى ننظر ما فيها فقام عيسى وكشف عنها فاذا فيها سمكة مشوية وعند رأسها شئ من الخل والملح وعند ذنبها خمسة أرغفة كبار كل رغيف عليه شئ من الزيتون والتمر وحول ذلك من سائر البقول وكان الحواريون الذين سألوا عيسى اثني عشر انسانا فقال شمعون وهو أكبر الحواريين يا عيسى ان هذه السمكة من طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال عيسى ما أخوفني عليكم من عذاب الله تعالى كما أخبر الله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ثم قال عيسى للسمكة أيتها السمكة قومي باذن الله تعالى فاحياها الله تعالى فجعلت تضطرب وتنظر بعينها الى بني اسرائيل فخافوا منها فقال لهم عيسى مالي أراكم تسألون الشئ فاذا حصل لكم كرهتموه ثم قال

عيسى للسمكة عودي كما كنت مشوية فعادت باذن الله تعالى فقال الحواريون ياروح الله أنت أول من يأكل من هذه السمكة فقال لهم معاذ الله انما يأكل منها من سأل عنها فأبى الحواريون ان يأكلوا منها خشية ان تكون فتنة فعند ذلك نادى عيسى عليه السلام للفقراء والمساكين وأصحاب العاهات من المجذومين والبرصى والعميان والمقعدين بأن يأكلوا منها فأكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم وكانوا نحو ألف وثلاثمائة انسان فبرئ منها أصحاب العاهات جميعهم باذن الله تعالى * وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى * وينطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو جليت يوما على اكمه غدا * بصيرا ومن راووقها يسمع الصم

قال فلما سمع الناس بذلك ازدحموا على الاكل منها وجاؤا اليها من سائر الاقطار فلما رأى عيسى ازدحام الناس عليها جعلها أقساما بينهم فللفقراء يوم وللاغنياء يوم فكانت هذه المائدة تنزل كل يومين مرة كما كانت ناقة صالح تختفي يوما وتظهر يوما فاستمرت على ذلك أربعين يوما قال مجاهد انها كانت تنزل فى وقت الضحى فتنزل قليلا قليلا ثم ترتفع قليلا قليلا والناس ينظرون اليها وهى بين الغمام حتى تتوارى قال الواقدى ان المائدة كانت تنزل بكنيسة صهيون (قال) وهب بن منبه ان جماعة من بنى اسرائيل شكوا فى أمر المائدة وقالوا انها ليست من عند الله فلما ظنوا ظن السوء مسخ منهم جماعة قردة فكان عدة من مسخ ثلاثين انسانا فجاؤا الى عيسى وهم يبكون بين يديه فقال لهم ألست أنت فلانا وأنت فلانا فأومؤا برؤسهم أى بلى فأقاموا على ذلك سبعة أيام انتهى حديث المائدة * قال السدى فرق بعضهم بين المائدة والسفرة فقال ان المائدة ما امتد وانبسط مثل المنديل والثوب وما أشبه ذلك وأما السفرة فهى التى تكون مضمومة بغلائف وحلق لانها اذا كانت مضمومة وفتحت سفر ما فيها أى بان فلذلك سميت سفرة والسماط من الموائد وأما المائدة فمن عرف العجم وأما السفرة فمن عرف العرب وتسمى المائدة خوانا أيضا (قال) كعب الاحبار لما ظهرت ملة عيسى عليه السلام وانتشرت فى الآفاق رغب اكثر الناس الدخول فى ملته فانحطت ملة اليهود وضعفت فى أيام عيسى واقبل الناس على عيسى وأنزل الله عليه الانجيل وكان يحيى الموتى باذن الله تعالى فلما رأى الملك هردوس المعجزات الباهرة عول على قتل المسيح عيسى عليه السلام بموافقة جماعة من أحبار اليهود فهجموا على عيسى وهو عند امه مريم فدخل عليه منهم واحد البيت فرفع الله تعالى سيدنا عيسى من سقف البيت فلما استبطأ القوم صاحبهم دخلوا عليه فشبه لهم انه عيسى عليه السلام وكشفوا رأسه وألبسوه تاجا من شعر وأركبوه على جريدة خضراء وطافوا به فى المدينة

م نصبوا له خشبتين مثل صارى المركب وأوثقوا الحبال فى يديه ورجليه وصارت
اليهود حوله ثم قدموه الى هاتين الخشبتين وصلبوه عليهما وصلبوا معه اثنين من
اللصوص وهو مصداق قول الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقوله تعالى
وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه قال العزيزى ان الرجل الذى اشتبه عليهم بعيسى
اسمه اشيوع وكان من أحبار اليهود (قال) وهب بن منبه لما صلب شبيه عيسى عليه
السلام كان ذلك يوم الجمعة فى الساعة الثالثة من النهار وكان رفعه فى خامس عشر
نيسان من شهور الروم الموافق للتاسع والعشرين من برمهات من شهور القبط قال
الثعلبي كان عمر عيسى عليه السلام لما ان رفع الى السماء نحوا من ثلاث وثلاثين سنة
على ما قيل * قال السدى ان عيسى رفع من كنيسة السليق ببيت المقدس فلما رفع الى
السماء كساه الله تعالى أوصاف الملائكة وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكا
سماويا أرضيا وهو حى الى الآن وهذا مذهب أهل السنة (قال) الثعلبي ان مريم عليها
السلام توفيت بعد رفع ولدها عليه السلام بست سنين وكانت مدة حياتها نحوا من
ستين سنة ولما ماتت دفنت ببيت المقدس وقبرها يزار هنالك الى الآن صلوات الله
تعالى وسلامه عليها * وقد أجاد الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى بهذه
الابيات الرد على من يعتقد ان عيسى قتل أو صلب وقيل ان الابيات لابن تيمية

عجبا للمسيح بين النصارى * حيث قالوا ان الاله أبوه
* ثم قالوا ابن الاله اله * ثم قاموا بجهلهم عبدوه
ثم جاؤا بشئ أعجب من ذا * حيث قالوا بأنهم صلبوه
ليت شعرى وليتنى كنت أدرى * ساعة الصلب أين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الاعادى * أتراهم أرضوه أم أغضبوه
عجبى للمسيح بين النصارى * والى أى والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
* واذا كان ما يقولون حقا * وصحيحا فأين ما نسبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم * فاحمدوهم لانهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه * واعبدوهم لانهم غلبوه

(وقال) شمس الدين بن الصائغ الحنفى من عروض ذلك وأجاد حيث قال

أعباد المسيح لنا سؤال * نريد جوابه ممن وعاه
اذا مات الاله بفعل عبد * يهودى فما هذا الاله
وهل بقى الوجود بلا اله * سميع يستجيب لمن دعاه
ومن رزق البرية وهو ميت * ومن حفظ الوجود ومن حواه

وهل هو عاد لما شاء حيا * الها أم تولاه سواه *
وهل رضى المسيح الصلب عمدا * وسكنى القبر أم أرضى أباه
والا عنوة فالعبد أقوى * من المعبود يفعل ما يراه
فمن يفهم لما قلنا جوابا * يجاوب أو يتب مما افتراه

قال ابن رزق ان الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين الأكبر هى التى بنت كنيسة القيامة ببيت المقدس ولما توجهت الى هنالك وجدت تينك الخشبتين اللتين صلب عليهما المسيح بزعمهم وخشبة ثالثة فالجملة ثلاث أخشاب فزعمت النصارى ان ثلاثة من الاموات ألقوا على تلك الاخشاب فعادوا احياء فى الحال فلما رأت الملكة هيلانة ذلك صنعت لتلك الاخشاب غلفا من الذهب فاتخذوا من ذلك اليوم لها عيدا وسموه عيد الصليب وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثمائة وثمان وعشرين سنة وهذا غاية اعتقاد النصارى فى أمر الصليب وكان عيسى نبيا مرسلا وهو من أولى العزم من الرسل الخمسة وقد قال الله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد الآية قال مقاتل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريب من ستمائة سنة * وقال الكلبى كان بينهما خمسمائة وأربعون سنة وهو زمن الفترة فى غير العرب لان الله تعالى لم يرسل لاهل تلك الجهة نبيا بعد عيسى بن مريم وشريعة الانبياء قبل نبينا كانت تنقطع بموته حتى يرسل غيره اما بشرع أو يوحى اليه بتقرير شريعة من قبله من الانبياء الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شريعته لم تنسخ بل هى باقية الى قرب قيام الساعة اه

ذكر نزول عيسى عليه السلام الى الارض (قال) أويس الثقفى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينزل عيسى بن مريم عند قيام الساعة ويكون نزوله على المنارة البيضاء التى بشرقى جامع دمشق وصفته مربوع القامة اسود الشعر أبيض اللون فاذا نزل يدخل الى المسجد ويقعد على المنبر فتسامع الناس اليه فيدخل عليه المسلمون والنصارى واليهود فيزدحمون هنالك حتى يطأ بعضهم رأس بعض فيأتى مؤذن المسلمين فيقيم الصلاة وهى صلاة الفجر فيصلى عيسى مأموما مقتديا بالمهدى (ومن النكت اللطيفة) ما أورده الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى بعض مصنفاته ان الشيخ أبا القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه كان مقيما فيما وراء النهر وكان شابا عاقلا علامة عصره فى علم الشريعة والحقيقة فصنف ألف كتاب فى علوم شتى وكان له تلميذ لا يفارقه ساعة واحدة ولما كان فى بعض الايام أخرج الشيخ أبو القاسم ما كان صنفه من الكتب المقدم ذكرها ووضعها فى صندوق من الخشب ووضع مع تلك الكتب مصحفا شريفا وأغلق ذلك الصندوق بقفل وقال لتلميذه خذ هذا الصندوق

به الى نهر جيحون وارمه فيه فحمل المريد ذلك الصندوق وخرج من عند الشيخ فقال في نفسه وكيف أرمي ألف كتاب من مصنفات الشيخ وقد تعب في جمعها وأفنى عمره فيها فرجع بالصندوق الى داره وجاء الى الشيخ فقال الشيخ أرميت الصندوق في النهر قال نعم قال الشيخ فما رأيت عند رميه قال ما رأيت شيأ فقال اذهب فارمه ولا تخالف فذهب المريد فألقى الصندوق في النهر فلما ألقاه خرجت يد من الماء وتلقت ذلك الصندوق وأخذته فقال المريد من أنت أيها الشخص فقال عبد ربي مأمور بحفظ هذا الصندوق فرجع المريد الى الشيخ وقال اني قد رميته فخرجت يد فتلقته فقال الشيخ الآن قد ألقيته ثم ان المريد صار في قلق على الصندوق ولم يقدر على أن يسأل الشيخ عن حقيقة الصندوق والقائه في النهر ومن تناوله فعلم الشيخ مراد تلميذه فقال له يوما من الايام يا فلان أتريد أن تعلم حقيقة حال الصندوق فقال التلميذ بلى يا سيدي فقال الشيخ انه اذا خرج الدجال لا يبقى على وجه الارض كتاب فينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال ويكون على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويأمره الله تعالى ان يحكم على شريعته فيتطلب مصحفا وكتبا فلم يجد فعند ذلك ينزل جبرائيل عليه السلام ويقول لعيسى عليه السلام ان الله يأمرك ان تتوجه الى نهر جيحون وتصلي ركعتين وتنادي وتقول يا أمين الله على كتب أبي القاسم القشيري سلم الي الصندوق فان الله تعالى أمرني ان أحكم بين الناس بالشريعة المحمدية فيذهب عيسى ويفعل ما أمره به جبرائيل فينشق النهر بقدرة الله تعالى ويخرج منه الصندوق فيأخذه عيسى عليه السلام فيجد في الصندوق المصحف والكتب فيقرؤها ويحكم بين الناس بمقتضاها انقل ذلك ابن الجوزي * قال ولما يظهر الدجال يخرج من بلاد أصفهان طوله عشرة أذرع واحدى عينيه ممسوحة من أصل الخلقة كأنه نزل بعين واحدة نرجوه سبحانه وتعالى أن يعمي له الاخرى مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل قارئ من قرب ومن بعد ومكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقي من أطاعه ويظهر للناس ان له جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فيطوف البلاد ويقتل العباد ويقول أنا ربكم الاعلى فيجتمع اليه الجم الغفير من الناس من جميع الطوائف فيجتمع عنده من العساكر نحو ألف ألف وستين ألفا فيزحف بهم من أصفهان الى دمشق في أربعين يوما ثم يدخل بيت المقدس ويكثر فيه من القتل والسبي فيظهر في ذلك الوقت شخص يقال له المهدي وصفته على خده الايمن شامة وبين كتفيه شامة فيجتمع عليه الناس فيسير بهم الى محاربة الدجال فيدخل الى دمشق الشام ثم ينزل بعد ذلك عيسى بن مريم على المنارة البيضاء الشهيرة الآن بمنارة عيسى عليه السلام فيلتقي مع المهدي بجامع بني أمية في دمشق الشام فيصلي هناك المهدي اماما وعيسى مأموم به ثم يخرج

اليها الدجال بمن معه من العساكر فيلتقى معهما على مدينة لد فيحاربه عيسى عليه السلام فينكسر الدجال ويقتله عيسى بحربته التى تكون بيده * ثم ان عيسى بعد قتل الدجال يهد الارض شرقا وغربا ولا يدع على وجه الارض يهوديا ولا نصرانيا ويصير الدين كله واحدا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويعدل بين الناس برا وبحرا فعند ذلك يوحى الله الى الارض بأن تخرج بركتها الى الناس كما كانت فى الاول حتى قيل ان عشرة من الناس يجتمعون على عنقود من العنب وعلى رمانة واحدة فيأكلون منها ويبقى من المأكول أكثر مما أكلوا منه وعلى هذا فقس فى جميع الاشياء التى تؤكل ويكثر العدل حتى ان الحية تكون بيد الطفل فلا تؤذيه وهو يلعب بها وهى لا تضره ويكون الاسد مع الشاة فلا يفترسها ويكون الذئب مع الغنم فلا يؤذيها وهو الى جانبها حتى ان الحى يمر على الميت فيقول له ليتك لو كنت حيا ورأيت هذه الايام فيستمر الحال على ذلك أربعين سنة ثم ان عيسى يتزوج بامرأة من أهل عسقلان ويولد له ولدان منها ثم ان عيسى عليه السلام يحج الى بيت الله الحرام ويزور قبر محمد صلى الله عليه وسلم ثم يمرض هناك فيموت ويدفن الى جانب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى فى بعض الاخبار ويرسل الله تعالى ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن على وجه الارض ويبقى أشرار الناس فتقوم عليهم الساعة ويصير الناس يتهارجون كتهارج الحمر فعند ذلك يفتح سد يأجوج ومأجوج ويخرجون الى الارض ويفسدون ما فيها من أشجار ونبات ويشربون الانهار والبحار ويصلون الى بحيرة طبرية ويشربون ماءها جميعا وقد تقدم الكلام على ذلك ولا يسلم من فتنة يأجوج ومأجوج سوى أهل مكة والمدينة المشرفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منهما ملك فلا يدخلها الدجال ولا يأجوج ومأجوج ولا الطاعون * وقد قال ابن أبى حجلة مشيرا الى ذلك بقوله

مدينته شاعت أحاديث فضلها * وسارت بها الركبان فى كل بلدة
فما روع الدجال ساكن أرضها * ولا مات فى الطاعون فيها وبكة

(قال) فلما تفسد الاحوال يخرج الله تعالى الى الناس دابة مما يلى المسعى عند الميلين الاخضرين يقال لها السحاب وهو قوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال وهب بن منبه بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت فتضطرب الارض وتنشق مما يلى المسعى فتخرج من هناك الدابة فأول ما يخرج منها رأسها وهى ذات ريش وزغب كريش الطير ولها جناحان ورأسها يمس السحاب ورجلاها تحت تخوم الارض وقال السدى ان

رأس الدابة كرأس الثور وعينيها كعيني الخنزير واذنها كاذن الفيل ولونها كلون
النمر وصدرها كصدر الاسد وقرونها كقرون الايل وذنبها كذنب الكبش وقوائمها
كقوائم البعير ووجهها كوجه الانسان فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ومعها
عصى موسى وخاتم سليمان تختم وجوه الكفار بخاتم سليمان وتجلو وجه المؤمن بعصا
موسى فيعرف الكافر من المؤمن بالرسم الذي في وجوههم وهو هذا مؤمن وهذا كافر
ثم بعد ذلك تطلع الشمس من مغربها فمن شدة حرها يموت من بقي من الناس من انس
وجان ويغلق باب التوبة عن الناس قال أبوذر ان عدد الانبياء مائة ألف نبي وأربعة
وعشرون ألف نبي فمنهم المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلا أو أربعة عشر أو خمسة
عشر قال الثعلبي مجموع الكتب التي أنزلت على المرسلين أربعة كتب التوراة
والانجيل والزبور والفرقان ✽ وأما الصحف المنزلة فهي مائة وعشرة صحف نزل منها على
شيث بن آدم ستون صحيفة ونزل منها على ادريس ثلاثون صحيفة ونزل منها على ابراهيم
عشرون صحيفة قال وهب بن منبه أنزل الله تعالى التوراة على موسى عليه السلام في
الواح من الزمرد الاخضر فكتبها موسى في أربعة وعشرين سفرا وهي ألف سورة في
كل سورة ألف آية فسكها بنو اسرائيل من بعد موسى برهة من الزمان ثم حرفوها
وغيروها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يجوز للجنب ان يمس شيأ من الكتب
المنزلة وأما الانجيل فانه انزل على عيسى عليه السلام وان قومه بدلوا أكثر تبديل من
التوراة فان علماء بني اسرائيل كانوا أربعة وهم مرقس ولوقا ومتى ويوحنا ولما مات
عيسى عليه السلام كتب كل واحد منهم انجيلا وأحاله الى نفسه وليس لهم في ذلك
حجة فصار كل انجيل مخالفا للآخر اما بزيادة أو نقصان واظهار تصويرهم في كنائسهم
ليس لهم به حجة وكذلك تركهم للختان ونقلهم صيامهم الى زمن الربيع وزيادتهم
الصوم الى خمسين يوما ليس لهم في ذلك حجة وأكلهم لحم الخنزير وترك تزويج الرهبان
ليس لهم به حجة ومشوا على ذلك الى الآن (سؤال لطيف) وهو أن الكتب المنزلة كلها
ذهبت وحرفوها وغيروها فمشى على ذلك التغيير علماؤهم ولم يشكوا في ذلك والقرآن
لم يتغير ولم يتبدل من حرف واحد (الجواب) ان الله تعالى قال في القرآن العظيم انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله من التغيير والتبديل والعدم حتى قيل انه
لا يحترق وان قال قائل اذا حرقته يحترق نقل نعم يحترق لان المعنى اذا كان في الدنيا مصحف
واحد فانه اذا احرق لم يحترق لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكانت
الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريبة من ستمائة سنة وقال الكلبي
خمسمائة وأربعين سنة وقال وهب بن منبه ان آدم عاش من العمر ألف سنة وقال

الثعلبي من هبوط آدم الى الهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائة وثلاثون سنة (قال) وهب بن منبه كان بين موت آدم وطوفان نوح ألفان ومائتا سنة وكان بين ابراهيم وموسى ستمائة سنة وكان بين موسى وداود خمسمائة وأربعون سنة وكان بين داود وابنه سليمان وبين عيسى ألف ومائة سنة وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ستمائة سنة والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل * أقول * وبالله التوفيق قد طالعت هذا التاريخ من عدة تواريخ منها ماروى الثعلبي ونقله الكسائي والجرى وابن الجوزى وابن سلام عبد الرحمن وابن كثير عماد الدين ووهب ابن منبه والسدى والواقدى وغير ذلك من الرواة والمؤرخين وماوافق مما وقع عليه اختياري وذلك على سبيل الاختصار ليكون طالبه على اقتدار وأنا أسأل الواقف عليه ان يصلح شيأ لا يوافق لديه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

* يقول راجي غفر المساوي السيد حماد الفيومي الحجاوي *

بحمد من دبر بديائع حكمته جميع الكائنات وجعل أسوار الدهور محتدا محتويا على جميع أصناف المخلوقات قد أجادت يد الطبع صقال هذا الكتاب المسمى ببدائع الزهور المحتوى على ما تضطرب رنات أخباره الاسماع من وقائع الدهور باعانة من التزم نشر عبيره العاطر واتاحة ريانده في ارجاء الاكوان ليعم شذى عرفه البادي والحاضر المكرم الشيخ شرف موسى لازال برعاية عناية الله موفقا محروسا بمطبعة حضرته العامرة السنية ذات الادوات الكاملة والآلات البهية التي مركز ادارتها في مصر خان أبي طاقية لازالت رياض محاسنها مورقة الافنان وكواكب سعدها مشرقة منيرة على ممر الزمان وفاح مسك الختام وبدر بدر التمام يوم الاربعاء غاية ثاني الربيعين رابع شهور عام ألف وثلاثمائة وواحد من هجرة سيد الكونين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم وشرف وعظم وكرم ماهبت نسمات وانبعثت حركات

تم

